

التَّفْسِيرُ الْمُبِينُ

ألفه وكتبه :
الفقيه إلى عفو ربه

الدكتور / عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب
مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد الثامن

٢٠٢٩ هـ مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ١٤٢٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

التفيسه ، عبد الرحمن بن حسن

التفسير المبين : المجلد الثامن . / عبد الرحمن حسن التفيسه . -

الرياض ، ١٤٢٩ هـ

ص.. ص : ٤٠٠

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٠٣٠-٩-٠

١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان

ديوي ٢٢٧,٦ / ٢٥٢٤ / ١٤٣٠

رقم الايداع : ٢٥٢٤ / ١٤٣٠

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٠٣٠-٩-٠

جميع الحقوق محفوظة

لـ «مجلة

البحوث الفقهية المعاصرة»

المملكة العربية السعودية - الرياض

يطلب هذا التفسير وكتب المؤلف من

الدار التدمرية للنشر والتوزيع بالرياض

هاتف : ٤٩٢٤٧٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة غافر

مكية وآياتها خمس وثمانون آية

﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾

بيان الآيات:

﴿حَمَّ﴾ من الحروف المقطعة، والله أعلم بمراده منها ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ هذا بيان من الله أنه نزل القرآن على عبده ورسوله ووصف ذاته العلية بأنه العزيز بعظمته وقوته فينصر أوليائه، وينتقم من أعدائه وأنه العليم بخلقه وأحوالهم وما يبدونه في سرهم وعلاانيتهم ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ كما وصف جل وعلا ذاته العلية بأنه يغفر ذنوب عباده ويتجاوز عنها، ويقبل توبتهم ورجوعهم إليه، فلا يؤاخذهم بما كسبوا قبل توبتهم، ولكنه شديد العقاب إذا كفروا به واستمروا على كفرهم وماتوا عليه ﴿ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو ذو الفضل الكبير والإنعام الواسع والغني العظيم، ليس في الوجود رب ولا إله إلا هو، المدبر للكون والمتصرف فيه ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: إليه المرجع يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن القرآن منزل من الله تنزيلا على نبي الله ورسوله محمد ﷺ، فاقترضى هذا دحض كذب المكذبين وتشكيك الكافرين كما قال تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١). وفيها: الحكم بعظمة الله وقدرته في غفران ذنوب عباده وقبول توبتهم والانتقام من العصاة منهم لقوله تعالى ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢). ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾^(٣). وفيها: الحكم بتوحيد الألوهية المقتضي وجوب صرف العبادة لله وحده والتبرئ من عبادة غيره.

﴿مَا يُجَدِّلُ فِيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَعْرِزُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَدِ﴾^(٤) كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ^(٥) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ^(٦).

بيان الآيات:

﴿مَا يُجَدِّلُ فِيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هذا بيان من الله

(١) سورة البقرة الآية ٢ .

(٢) سورة الحجر الآية ٤٩ .

(٣) سورة الحجر الآية ٥٠ .

لرسوله أنه لما ظهر الحق بنزول القرآن ومافيه من البراهين والبيّنات، فلا يجادل فيها إلا الكفرة الذين فسدت عقولهم وفطرتهم فأعرضوا عن الله فأعرض عنهم ﴿فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْأَلْبَدِ﴾ ❀ أي: لا يخدعك ما هم فيه من النعيم من الأموال والأولاد فإن هذا لا يدل على الرضى عنهم، وإنما هو إمهال واستدراج لهم وسيلاقون العذاب ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ❀ أي: كذب قوم نوح نبيهم، وكذب آخرون أنبياءهم كقوم هود وصالح ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ ❀ أي: همت تلك الأمم بقتل رسلها ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ❀ أي: جادلوهم بالباطل، وأعرضوا عن الحق كما يفعل قومك معك ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ ❀ أي: قضيت عليهم بالهلاك؛ بسبب كفرهم وعنادهم وتكذيبهم لرسلم وإيذائهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ❀ أي: انظر كيف جرى عقابهم وإهلاكهم ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ❀ أي: كما حق العذاب على أولئك المكذبين من الأمم لرسلم حقت الكلمة على الكافرين جميعاً أنهم من أصحاب النار، ومنهم الذين كذبوك وخالفوك وجادلوك بالباطل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أنه يجب على العبد ألا ينخدع بما يكون

فيه الكفار من النعيم؛ لأن ذلك إمهال واستدراج لهم لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١). ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾^(٢). وفيها: الحكم بأن من يجادل بالباطل ويكذب بآيات الله سيكون مصيره إلى العذاب؛ لأن الله قضى بذلك وقضاؤه الحق فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ﴾^(٧) رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(٩).

بيان الآيات:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ هم أربعة من الملائكة وهم أفضلهم ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ أي: الذين يحفون بالعرش ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: يسبحون بحمده أعظم تسبيح ويقدسونه أعظم تقديس ويؤمنون بأنه الإله الواحد الذي لا شريك له في ملكه ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٢.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٣.

لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿١﴾ أَي: يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض لمحببتهم لهم على إيمانهم بالله واستقامتهم على دينهم الذي ارتضاه الله لهم ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ ويقولون في استغفارهم للمؤمنين: لقد وسعت رحمتك يا ربنا كل شيء في الوجود وأحاط علمك بأعمال خلقك المؤمنين ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ ﴿٢﴾ أَي: تجاوز عن سيئات الذين تابوا من ذنوبهم واتبعوا ما أمرتهم به من المعروف، وانتهوا عما نهيتهم عنه من المنكر ﴿وَقِهِمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٣﴾ أَي: أنجهم من عذاب جهنم ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ ﴿٤﴾ أَي: أدخلهم جناتك جنات الخلد التي أعددتها للمتقين ووعدتهم بها إذا آمنوا واتبعوا ﴿وَمَنْ صُلِحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ ﴿٥﴾ أَي: وأدخل معهم الذين صلحوا بالإيمان من أولادهم وأزواجهم وذرياتهم واجمع بينهم وإن قصروا في نيل درجاتهم؛ فإن اجتماعهم بهم سيقر أعينهم بهم ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٦﴾ أَي: العزيز بعظمتك وجلالك، الحكيم في تدبيرك لخلقك ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ ﴿٧﴾ أَي: احفظهم من السيئات وتجاوز عما يحصل منهم من تقصير ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ ﴿٨﴾ أَي: من تقه جزاء خطئه فلم تؤاخذ به عليه فقد فاز يوم القيامة برحمتك ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٩﴾

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فضل تسبيح الله وتحميده ففي الحديث: (من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر)^(١). وفيها: تقرير اجتماع المؤمنين وذرياتهم في الجنة لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾^(١٠) قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَشْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَتُنْتِنِ فَأَعْرِفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾^(١٢).

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ المراد بالكافرين كل من كفر بالله أيا كان نوع الكفر الذي كان عليه؛ فالكفار عندما يقاسون العذاب يمقتون أنفسهم ويبغضونها؛ لأنها كانت السبب في عصيانهم في الدنيا فتناديهم حينئذ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح برقم (٦٤٠٥)، صحيح البخاري مع

فتح الباري ج ١١ ص ٢١٠.

(٢) سورة الطور من الآية ٢١.

الملائكة وتقول لهم: إن مقت الله لكم في الدنيا أشد من مقتكم لأنفسكم؛ لأنكم كنتم ﴿إِذْ نَدَعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ أي: كنتم تدعون إلى توحيد الله وطاعته وعدم الشرك به وكنتم تصرون على الكفر وتستهنئون بمن يدعوكم إلى الله فلهذا مقتكم وأبغضكم.

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَانِ﴾ أي: يقولون: يا ربنا قد كنا عدما فأوجدتنا ثم أمتنا بعد ما أوجدتنا ﴿وَأَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ﴾ أي: الحياة في الدنيا والحياة في الآخرة ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: اعترفنا بما ارتكبناه في الدنيا من الخطايا والذنوب فهل لنا من مخرج من النار ونعود إلى الحياة الدنيا لنتوب مما اقترفناه في حق أنفسنا ونعمل صالحا يبعدنا عن هذا العذاب الذي نقاسيه؟ وما كان قولهم هذا لينفعهم لقوله تعالى ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ أي: كنتم إذا دعيتم إلى الله وتوحيده استكبرتم وأعرضتم ﴿وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ أي: تؤمنوا بالأصنام والأوثان وتعبدونها من دون الله ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ أي: هو الذي حكم عليكم وهو الحكم العدل الذي لا يظلم ولا يجور ولا يبخس لأحد حقه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن مقت الكفار لأنفسهم لا ينفعهم؛ لأن مقت الله عليهم أكبر من مقتهم لأنفسهم؛ ذلك أنهم كانوا يُدْعَوْنَ إلى الإيمان

بالله فلم يستجيبوا لما دعوا إليه، بل أصروا على كفرهم فمقتهم الله وأبغضهم. وفيها: تقرير عدم قبول الأعذار يوم القيامة لقوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَ نَارُذُ وَلَا نَكُذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١). ﴿بَلْ بَدَاهُمْ مَّا كَانُوا يَخْفَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمُ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢). وقوله ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٣).

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧).

بيان الآيات:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ (١٣)

وبخ الله الكفار وبيّن مقتته لهم خاطب جل وعلا عموم الناس بأنه

(١) سورة الأنعام الآية ٢٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٨ .

(٣) سورة فاطر الآية ٣٧ .

يريهـم آياته الدالة على قدرته العظيمة، وأنه مدبر الكون ومصرفه، وأنه الذي ينزل المطر من السماء فينبـت لهم أرزاقهم وأقواتهم ثم قال ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ أي: ما يعتبر بهذه الآيات إلا من أناب إلى الله بقلبه ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ أي: كما رأيتم آياته الدالة على عظمته، فعليكم أن توحدوه وتخلصوا له العبادة وحده وتتبرؤوا من الشرك به ولن يضركم كره الكافرين لكم فأنتم على حق وهم على ضلال ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ هذا وصف لذاته العلية فهو ذو الدرجات العالية وعرشه العظيم عال على جميع مخلوقاته وهو كالسقف لها ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي: يلقي الوحي الحامل لأمره على من يشاء من عباده وهم الرسل الذين اختارهم لإبلاغ أوامره ونواهيه إلى عباده ﴿لِنُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ أي: لكي ينذرونهم عاقبة يوم القيامة حين تجتمع الخلائق كلها للجزاء والحساب ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ أي: يوم يجتمعون بعد أن برزوا من قبورهم لا تخفى على الله منهم خافية، وفي ذلك المشهد العظيم من مشاهد يوم القيامة ينادي الله عز وجل ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلا أحد يقدر أن يجيب ليس بسبب رهبة وشدة ذلك اليوم فحسب، بل إن الكل يعرف أنه لا مالـك إلا الله، ولا قادر إلا هو، ولا قاهر إلا هو فينصتون وعندئذ

يجيب عز وجل نفسه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: في هذا اليوم يوم الفصل والقضاء يجزى كل عامل بما عمل من خير أو شر ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ أي: ليس في ذلك اليوم ظلم لأحد فلا ينقص من عمل عمله، ولا يزداد على سيئاته سيئة لم يعملها ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: أنه بلطفه بعباده يعجل حسابهم ليلقى كل واحد منهم مكانه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير لطف الله بخلقه، وذلك ببيان آياته لهم ليدركوا أنهم لا يعبدونه عبثاً، وإنما يعبدونه بعد أن بين لهم قدرته العظيمة في خلقهم ورزقهم، وأن ما أمرهم به فيه نفع لهم وما نهاهم عنه فيه ضرر لهم. وفيها: وجوب صرف الدعاء وكل أنواع العبادة لله وحده والإخلاص في ذلك. وفي حديث ابن الزبير رضي الله عنه: كان ابن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وقال: كان رسول الله ﷺ يهمل بهن دبر كل صلاة^(١).

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم (٥٩٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٩٢٧.

وفيهما: الحكم بأن الله يرسل الرسل بأمره، ليبلغوا رسالته إلى خلقه وينذروهم ويحذروهم من عذاب يوم القيامة وهو اليوم الذي تجتمع فيه الخلائق للحساب والجزاء فيفصل الله بينهم وهو سريع الحساب فيلقى كل واحد منهم عاقبة عمله.

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ (١٨) ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١٩) ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢٠).

بيان الآيات:

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَفَةِ﴾ الأرفة اسم من أسماء يوم القيامة كما قال تعالى ﴿أَرَفَتِ الْأَرْزَفَةُ﴾ (١). قوله ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ﴾ أي: قلوب العباد عند حناجرهم من الخوف وهم كاظمون أنفاسهم من هول ذلك اليوم وشدته ﴿مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ أي: ليس لهم قريب يعينهم ولا شفيع يشفع لهم لأنهم ظالمون، ولا يقبل الله الشفاعة للظلمة، بل هم في ذلك اليوم وحيدون متقطعون يلاقون مصيرهم الذي وضعوا أنفسهم فيه ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ هذا من عظيم قدرته

أنه يحيط بعلمه جميع الأشياء والموجودات كبيرها وصغيرها فيعلم العين إذا زاغت نظرتها ويعلم ما تخفيه صدور عباده من الظنون والوساوس وما يخطر فيها ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ أي: يقضي بالعدل ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ أي: إن الذين يدعوه المشركون من دون الله لا يقضون بشيء؛ لأنهم جمادات لا يعقلون ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي: السميع لعباده البصير بأمورهم وأحوالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير مشاهد يوم القيامة وما فيها من الأهوال كما قال تعالى ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(١). وفيها: أن الظلمة لا يجدون يوم القيامة قريباً ينفعهم ولا شافعاً يشفع لهم. وفيها: الحكم بأن الله يعلم بعلمه المطلق خيانة عيون خلقه إلى ما لا يحل لهم وخفايا صدورهم وما فيها من المكنونات. وفيها: الحكم بأن الله يقضي بالعدل بين عباده، فيقتص للمظلوم ممن ظلمه، ويقتص للضعيف ممن طغى عليه.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا

(١) سورة الحج الآية ٢.

مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ
﴿٢٢﴾

بيان الآيتين:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أولم يَسِرْ في الأرض هؤلاء المكذبون
لك ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من
الأمم التي كذبت رسلها كقوم نوح وقوم هود وغيرهم ﴿كَانُوا هُمْ
أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: كانوا أعظم من قومك قوة
وأعظم أثرا في الأرض، وذلك بما تهيأ لهم من الزروع والأشجار والنبات
﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أهلكهم بسبب ذنوبهم وطغيانهم ﴿وَمَا
كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ أي: ما كان لهم مانع يمنعهم من الهلاك
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: كانت تأتيتهم
بالبراهين والدلائل الواضحات ﴿فَكَفَرُوا﴾ بما جاءهم من العلم
﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أهلكهم ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي:
قوي في أخذه للظالمين شديد العذاب عليهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير دعوة المكذبين لرسول الله أن يسيروا في

الأرض فينظروا ماذا حل للأمم قبلهم من الهلاك، بسبب تكذيبهم لرسولهم، مع أن هؤلاء كانوا أكثر قوة وحضارة وبأسا من قريش؛ فلم تنفعهم قوتهم بل أهلكهم الله فأصبحوا أثرا بعد عين، فمن عمل مثل عملهم لابد أن يلاقي من العذاب مثل مالاقوه. وفيهما: أن من عاقبه الله بسبب ذنوبه لن يجد واليا يواليه ولا شفيعا يشفع له.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَقَتَرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ٢٤ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ٢٥ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٢٥﴾
 وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ٢٦ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ٢٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ٢٣ ما بين
 الله في الآيات السابقة ما حل بالأمم السابقة من العذاب؛ بسبب تكذيبهم لرسولهم وأن على كفار قريش أن يعتبروا بهم، بين لرسوله محمد ﷺ حال موسى مع فرعون وقومه؛ ليكون في ذلك عزاء له أن

الأنبياء قبله لاقوا من أقوامهم التكذيب فصبروا فكان النصر عاقبة لهم. والمراد لقد أرسلنا موسى بن عمران ومعه البراهين والدلائل الواضحة ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقُرُون﴾ ﴿فَهُؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ كَانُوا﴾ هم المتنفذين في مصر، ففرعون ملكها، وهامان وزيره وأشد أعوانه، وقارون ليس من آل فرعون ولكنه صاحب ثروة كبيرة ﴿فَقَالُوا سَحَرُ كَذَّابٍ﴾ ﴿أَي:﴾ لما دعاهم موسى إلى توحيد الله وعبادته اتهموه بالسحر والكذب ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ والمراد به الآيات الدالة على صدق نبوته ورسالته زاد عداؤهم له وهو الأمر بقتل أبناء الذين آمنوا معه واستحياء بناتهم أي: تركهن للخدمة لإذلالهن وهو ما أخبر الله عنه بقوله ﴿قَالُوا أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ ﴿قوله﴾ ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ﴿أَي:﴾ أن كيد الكافرين ومكرهم في أي: زمان أو مكان لا يضر أولياء الله وإنما يضر الكافرين أنفسهم ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ﴿لما بدأ أمر موسى ينتشر ويكثر معه المؤمنون اشتد غضب فرعون عليه فَهَمَّ بِقَتْلِهِ﴾ بعد أن صارح قومه في اجتماع اجتمعوه في أمره فادعى أن موسى سوف يبدل دينهم، وأنه سوف ينشر الفساد في أرضهم فيغير حياتهم ويسلبهم ما هم فيه وهو ما أخبر الله عنه بقوله ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾

أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿١﴾ فلما بلغ موسى ما قاله فرعون خاطب موسى المؤمنين معه قائلاً ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢﴾ أي: استعذت بربي وربكم وتحصنت به وتوكلت عليه من كل معاند للحق متكبر كافر بيوم البعث والحساب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الإخبار عما عاناه المرسلون من أقوامهم واتهامهم لهم بالسحر والكذب لقوله تعالى ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ ﴿١﴾. ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ﴿٢﴾. وفيها: أن الطغاة عندما يأتيهم الحق يخشون من انتشاره بين قومهم فيعملون على تضليلهم وتخويفهم من دعائه. وفيها: تقرير بطلان كيد الكافرين ومكرهم وحيلهم وأن النصر يكون لأولياء الله. وفيها: أن الله عز وجل هو الحصن الحصين والملاذ الأمين للمظلومين من المؤمنين.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ

(١) سورة الذاريات الآية ٥٢ .

(٢) سورة الذاريات الآية ٥٣ .

كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي
يَعِدُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقُومُ لَكُمْ الْمَلَكُ
الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ
فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

بيان الآيتين:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ لما اجتمع
فرعون مع قومه للتشاور في أمر موسى كان أحد آل فرعون يؤمن بما
جاء به موسى، ولكنه يخفي إيمانه فأخذ ينصحهم بقوله ﴿أَنْتَقُتُلُونَ
رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ أي: كيف تقتلون رجلا ليس له من ذنب
سوى أنه يقول: ربي الله ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي:
أتاكم بالبينات الدالة على صدقه ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾
أي: إن يك كاذبا فيما يقول فكذبه عليه ولن يضركم منه شيء وسيعاقبه
الله على كذبه ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ﴾
أي: إن يك صادقا فيما يقوله ويعد به من العذاب فسوف يصيبكم
حينئذ بعض ما يقول إذا آذيتموه، فاتركوه وشأنه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ أي: لو كان هذا كاذبا فيما يقول لما هداه الله،
لأن الله لا يهدي المسرف والكذاب وإنما يهدي المهتدين والمؤمنين به.

﴿يَقُومُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهَرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿١﴾ لما قال المؤمن من آل فرعون قوله ونصحه لقومه بدأ يحذرهم من عواقب أعمالهم ومعاداتهم لموسى مبينا لهم أن ملكهم وقوتهم ظاهرة في الأرض وهم في نعم كثيرة وأن تعرضهم له سوف يؤدي إلى غضب الله وحينئذ لن يجدوا ناصرا ينصرهم أو معينا يعينهم. وقد أخبر الله عن ذلك بقوله ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ ﴿٢﴾ وإمعانا في الطغيان والعناد ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ ﴿٣﴾ أي: ما قلت لكم إلا الصواب ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ﴿٤﴾ أي: ما أدلكم إلا على طريق الهدى، ويعني ذلك أنه يصر على رأيه بمعاداة موسى والكيد له.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل المؤمن الذي يؤمن بين قوم لا يؤمنون مما يجعله عرضة لأذاهم، فإذا صبر على إيمانه كان ذلك أعظم في ثوابه. ومن الأحكام: وجوب المجادلة بالحق والتعريف به بالكلمة الحسنی كما قال تعالى لنبيه ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿١﴾. وفيها: تحريم الإسراف في كل شيء كالإسراف في القول والمبالغة فيه، والإسراف في الأكل واللبس ونحو ذلك كما قال تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٢﴾.

(١) سورة النحل من الآية ١٢٥.

(٢) سورة الأعراف من الآية ٣١.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مُدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ ما زال السياق في نصح مؤمن آل فرعون لقومه وتحذيره لهم من سوء عملهم ومعاداتهم لموسى ورسالته مبينا لهم أنه يخشى أن يحل بهم من العذاب ما حل بالأحزاب من الأمم السابقة لهم، ثم ما وصفهم بقوله ﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من الأمم الهالكة بسبب تكذيبها لرسولها ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ أي: إن الله إنما أهلكهم بسبب ذنوبهم وليس بظلمه لهم فحاشاه ذلك.

ثم استمر في نصحه ودعوة قومه وتحذيره لهم بقوله ﴿وَيَقَوْمِ إِنِّي

أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ ﴿١﴾ المراد به يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْرِبِينَ﴾ ﴿٢﴾ أي: يوم تحاولون الهرب من العذاب الذي تشاهدونه بأعينكم يوم القيامة ﴿مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِّنْ عَاصِمٍ﴾ ﴿٣﴾ أي: لا عاصم ولا ناصر ولا معين ولا شفيع لكم يومئذ إلا أعمالكم وإيمانكم بالله ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٤﴾ أي: من أضله الله، فلن يهديه أحد ثم استمر المؤمن في نصحه لقومه وتذكيره لهم بما جاءهم من البينات من قبل ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ﴿٥﴾ أي: جاءكم يوسف في مصر يدعوكم إلى الهدى وإقامة العدل ونفي الظلم ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ ﴿٦﴾ أي: شككتم فيما جاءكم به فلم تؤمنوا ﴿حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ﴾ ﴿٧﴾ أي: مات ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ ﴿٨﴾ أي: لن يأتي بعده رسول، وهذا مجرد ظن وتخمين وقد أخلف الله ظنكم وبعث اليوم رسولا فاتبعوه فإن استمررتم على تكذيبه أضلکم الله ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ ﴿٩﴾ أي: يضل من هو مسرف في كذبه على رسله، ومن هو مرتاب في دعوته، وفي سياق نصحه لقومه قال لهم ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ﴾ ﴿١٠﴾ أي: إن الذين ينكرون الحق بغير دليل ولا حجة، جاءتهم من عند الله، فإن الله يمقتهم أي: يبغضهم ويبعدهم من رحمته كما يبغضهم المؤمنون كما قال تعالى ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ

اللَّهُ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿٢٥﴾ ثم قال ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ أي: يضل كل متكبر يتبع الباطل، ويحيد عن الحق وهو متحيز ظالم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير خوف المؤمن على قومه أو بلده من عواقب الذنوب والخطايا التي تسود فيهم. وفيها: تقرير سوء الإفراط في كل قول أو فعل لا فائدة فيه. وفيها: سوء الارتياب في الحق وعدم اليقين فيه. وفيها: تحريم الجدل المبني على الهوى واتباع الباطل كما يفعل المشككون والمترابون. وفيها: أن الله يطبع على قلوب المتكبرين والجبابرة؛ بسبب إصرارهم على خطاياهم وعدم استجابتهم للحق الذي يدعون إليه.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرَاحًا لَّعَلِّي أُنْبِئُكَ بِالسَّبَبِ﴾ ﴿٣٦﴾
 ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾
 ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ ﴿٣٧﴾

بيان الآيتين:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرَاحًا﴾ يبين الله تعالى أن فرعون حين كذب موسى قال لوزيره هامان: ابن لي صرحاً أي: بناء شاهقاً

وهو البناء المكون من الطين المشوي لتقويته كما قال تعالى ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا﴾^(١). قوله ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ أي: طرقها ومسالكها ﴿فَأُطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ أي: فيما يقوله لنا ويدعيه من رسالته. وما قاله فرعون وادعاه ليس بصادق فيه؛ لأنه يعرف استحالة مطلبه وعدم قدرته لبلوغ غايته، فهو يعرف أنه أحقر من ذلك، ولكنه يبحث عن المخارج التي توهم قومه وتصرفهم عن التفكير في أمر موسى ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: زين فرعون لنفسه خبث عمله وصدده ذلك عن اتباع الطريق الصحيح وهو الإيمان بما جاء به موسى ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ أي: ليس له من كيده لموسى إلا التباب وهو الخسارة والهلاك.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين بيان فساد بعض قادة الأمم في إيهام أممهم بتصرفات تبعدهم عن التفكير في سلوكهم أثناء قيادتهم لها، وهذا محسوس ومشاهد في سلوك الطغاة في كل زمان ومكان، كما يفعله اليوم تجار الحروب من دعاوى تبيح لهم استغلال البلدان واستغلال

(١) سورة القصص من الآية ٣٨.

ثرواتها بعد أن يوهموا شعوبهم أنهم يتعرضون للمخاطر من هذه البلدان كما يقولونه اليوم عن بلاد المسلمين. وفيهما: أن المرء إذا ضل عن طريق الحق أصبحت نفسه تزين له ارتكاب الأفعال المحرمة، فيرى الحُسن سوءا والسوء حُسنا، فلا يبالي حينئذ بما يفعله كما قال تعالى ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ (١).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٣٨) يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتْعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٤٠).

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ لما أخبر الله في الآيتين السابقتين عن إيهاام فرعون لقومه بالاطلاع على إله موسى، بين تعالى نصائح مؤمن آل فرعون لقومه ودعوته لهم إلى اتباعه؛ لكي يهديهم إلى طريق الحق ويبعدهم عن فرعون وكفره ﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتْعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ وهنا يخاطب مؤمن آل فرعون قومه قائلا: إن هذه الحياة

التي تعيشونها ماهي إلا مجرد متاع سوف يزول، أما الآخرة فهي دار البقاء والقرار الأبدي ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: أن من عدل الله ورحمته بخلقه أن من عمل سيئة فلا يجزى إلا بواحدة مثلها ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: من عمل بما شرعه الله لعباده من الأعمال الصالحة، فهذا لا يُقدَّر الله جزاءه بما عمل بل يعطيه أجره أكثر مما بلغه عمله لأن الله عزوجل يعطي بغير حساب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الدنيا دار وجود مؤقت سرعان ما ينتهي ببلوغ الأجل مما يقتضي عدم الركون إليها والاعتثار بزينتها كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطَرَهَا أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِمْ أَتَيْهَا أَتْمُومًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾^(١). وفيها: أن من رحمة الله ولطفه بعباده أنه يجازي السيئة بواحدة مثلها، أما الحسنة، فإما أن يضاعفها إلى عشر حسنات، أو يجزي صاحبها بأكثر من ذلك بلا عد أو إحصاء.

(١) سورة يونس من الآية ٢٤.

﴿وَيَقَوْمٍ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾
 ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا
 أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ
 دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبِ الْمُسْرِفِينَ
 هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَيَقَوْمٍ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾
 ما زال السياق في ذكر نصائح مؤمن آل فرعون لقومه حيث قال
 لهم: إني أدعوكم إلى النجاة، وهي الإيمان بالله وعدم الشرك به
 حتى تدخلوا الجنة، بينما أنتم تدعونني إلى الكفر الذي عاقبته النار
 ثم فصله بقوله ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي
 بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَرِ﴾ أي: تدعونني للكفر
 والشرك مع أنه ليس لكم دليل ولا حجة في دعوتكم لي بينما أنا
 ادعوكم إلى عبادة العزيز الغفار الذي له العزة والغلبة وهو الذي
 يغفر الذنوب لعباده ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي
 الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ لا جرم أي: حقا أن ما تدعونني إليه من
 الأصنام والأوثان ليس له قوة حتى يدعى بها فهو جماد مخلوق
 لا ينفع ولا يضر ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: أن رجوعنا كلنا إلى

الله وسوف يحاسبنا لا محالة على أعمالنا ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي: أن المشركين الذين أسرفوا بشركهم هم أهل النار المخلدون فيها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب التفرقة في المعاملة بين من يدعو إلى الخير ومن يدعو إلى الشر، فالذين يدعون إلى الخير هم الذين يدعون إلى عبادة الله وحده، وهم الأنبياء ومن في حكمهم من الأولياء والصالحين وهؤلاء يكونون يوم القيامة على منابر من نور. والذين يدعون إلى الشر هم الطغاة وأهل الضلال الذين يدعون إلى الشرك والكفر وهؤلاء يأتون يوم القيامة وعلى وجوههم غبرة من ظلام شركهم وكفرهم.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ٤٤ فوقه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب ٤٥ النار تعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ٤٦ ﴿

بيان الآيات:

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾ لما أبدى مؤمن آل فرعون نصيحته لقومه ورأى عدم قبولهم لها حذرهم عاقبة عملهم، وأنهم سيتذكرون لا محالة ما قاله لهم حين يحل بهم العذاب ثم قال ﴿وَأَفَوضُ

أَمَرْتُ إِلَى اللَّهِ ﴿١﴾ أي: أبتعد عنكم وأعتصم به وألجأ إليه وأتوكل عليه
﴿إِنَّ اللَّهَ بِصِيرُكُمْ بِالْعَبَادِ﴾ ﴿٢﴾ أي: بصير بأحوالهم فيهدي من يشاء
ويضل من يشاء وكل ذلك بحكمته .

﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكَّرُوا﴾ ﴿٣﴾ في هذا دليل على أن
فرعون وقومه لم يقبلوا نصيحته فحسب، بل إنهم حاولوا قتله فوقاه
الله من مكرهم وغدرهم ونجى موسى ومن معه من المؤمنين ﴿وَحَاقَ﴾
﴿بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ﴿٤﴾ أي: أحاط بفرعون وقومه وجنده الهلاك
في البحر حين انطبق عليهم فأصبحوا عبرة للمعتبرين ﴿النَّارُ﴾
﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ ﴿٥﴾ أي: تعرض أرواحهم على النار في
الصباح والمساء في البرزخ إلى أن تقوم الساعة وحينئذ تعرض أرواحهم
وأجسادهم على النار وهو ما بينه عز وجل بقوله ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾
﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ﴿٦﴾

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الداعي إلى الله إذا عجز عن قبول قومه
لدعوته يتركهم لأمر الله فهو حسبه بهم كما قال نوح لما عجز عن
قومه ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي﴾ ﴿١﴾ ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾
﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا نَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا﴾ ﴿٢﴾. وفيها: أن الله ينجي عباده

المؤمنين ويسيئهم شر المكاييد إذا عرف إيمانهم وإخلاصهم. وفيها: تقرير عذاب القبر حيث تعرض أرواح المؤمنين على الجنة في الصباح والمساء، وتعرض أرواح المشركين والكفار على النار في صباح كل يوم ومساءه إلى أن تقوم الساعة.

﴿وَإِذْ يَتَحَاوَتُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ۖ﴾ (٤٧) **قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِبْرَاهِيمُ** **قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ** (٤٨) ﴿

بيان الآيتين:

﴿وَإِذْ يَتَحَاوَتُونَ فِي النَّارِ﴾ هذا بيان من الله عن تحاج أهل النار عموماً وتخاصمهم فيها ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ أي: يقول الأتباع المستضعفون لكبرائهم الذين اتبعوهم ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي: كنا نصدق ما تقولون ونفعل ما تأمروننا به ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ أي: هل تأخذون قسطاً من عذابنا لتخففوا عنا ما نعانیه ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ أي: يقول المتبوعون: نحن وأنتم سواء في عذاب النار فلا نتحمل إلا ما نحن فيه ﴿إِبْرَاهِيمُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ

الْعِبَادِ ﴿١﴾ أي: قضى لكل منا بنصيبه من العذاب.
أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: تقرير التخاصم حين العذاب بين التابعين الذين ضلوا بسبب اتباعهم وطاعتهم العمياء لرؤسائهم ومخالفة الأنبياء الذين كانوا يدعونهم إلى اتباع أوامر الله وبين المتبوعين الذين يتبرؤون منهم، وهذا يقتضي وجوب تفكر المرء فيما يعرض له وقبول ما ينفعه ونفي ما يضره حتى لا يكون إمعةً يتبع كل مدع وقوال. وفيهما الحكم بأن كل واحد يلقي يوم القيامة مصيره بنفسه فلا يجد من يواليه أو يناصره كما قال تعالى ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^(١).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾^(٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتٍ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ

بيان الآيتين:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ حينما يجد أهل النار أنفسهم يقاسون العذاب، يسألون خزنة جهنم المكلفين بها أن يشفعوا لهم؛ ليخفف عنهم العذاب ولو يوما واحدا كما أخبر الله عنهم بقوله

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ فتجيبهم الملائكة بما أخبر الله عنهم بقوله ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: ألم تبين لكم رسلكم بالبينات ماهو واجب عليكم في الدنيا فكذبتموهم ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي: نعم، بينوا لنا كل شيء ﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾ أي: قال الملائكة لن ندعو لكم وليس بيننا وبينكم مودة ولا صلة فادعوا ربكم أنتم ولكن سواء دعوتهم أم لم تدعوا فلن يستجاب لكم وهو معنى قوله تعالى ﴿وَمَا دَعَتُوا إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير عدم قبول دعاء الكافر؛ لأنه لا يملك مقومات الإجابة وهي التقوى، وقد بين الله ذلك في قوله عز ذكره ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُنْقِبِينَ﴾^(١).

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٥١) يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار^(٥٢).

بيان الآيتين:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هذا وعد

(١) سورة المائدة من الآية ٢٧ .

من الله ووعده الحق أنه ينصر رسله، وينصر المؤمنين في الحياة الدنيا، وقد فعل ذلك فقد نصر نوحا وإبراهيم وهودا وصالحا ولوطا وغيرهم على أممهم حين كذبوهم وأذوهم، فعجل الله لأقوامهم بالعقاب في الدنيا كما فعل عز وجل مع نبيه ورسوله محمد ﷺ فقد نصره نصرا مبينا على قومه الذين استضعفوه وأذوه وهموا بقتله، فتمكن منهم يوم بدر، وتمكن منهم يوم فتح مكة فكسر كبرياءهم وأزال طغيانهم وأصنامهم. وكما نصر الله رسوله فقد نصر الذين آمنوا به، ففتح لهم خزائن الأباطرة والأكاسرة، ونشروا دين الله في أرجاء الأرض. ووعده الله للمؤمنين بالنصر وعداً ثابتاً ووعداً دائماً في كل زمان ومكان فالمهم تحقيق الإيمان الذي يترتب عليه تحقيق وعد الله. قوله ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ أي: ينصر الله رسله والمؤمنين يوم القيامة حين تشهد لهم الملائكة بأنهم بلغوا رسالات ربهم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ أي: لا يقبل منهم عذر ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي: الطرد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ أي: بنس المكان والقرار.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير نصر الله لأنبيائه وللمؤمنين وهو نصر في الدنيا ونصر في الآخرة، أما نصر الدنيا فمعاقبته للمكذبين لهم ونجاته للمؤمنين بهم والمصدقين لهم. وأما نصر الآخرة فهو الثواب العظيم جزاء صبرهم

في دعوتهم. وفيهما أن العذر لا يقبل من الكافرين يوم القيامة، وذلك لفوات وقته وهو التوبة في الدنيا.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْثَنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ٥٣ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ٥٤ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ٥٥ وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ٥٥﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ أي: بعثناه ليدعو الناس إلى الهدى
﴿وَأَوْثَنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ أي: أنزلنا عليهم الكتاب وهو
التوراة ﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: ليكون هذا الكتاب
مرشدا لهم إلى عبادة الله وحده، وإخلاص العبادة له وليكون كذلك
ذكرى لأولي العقول منهم بأن الله سائلهم عما أمرهم به في هذا الكتاب
وما نهاهم عنه.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ٥٥﴾ لما بين الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ ما لاقاه موسى من المكاييد، سواء من فرعون وقومه أو من بني إسرائيل أمره بالصبر على ما يناله من الأذى من قومه قريش، وليعلم أن وعد الله حق في نصره وغلبته على أعدائه ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿١﴾ أي: اطلب من ربك مغفرة ذنوبك وسبح بحمده بكرة وعشيا؛ لما في ذلك من تقوية النفس على الصبر والتحمل؛ لأن استغفار الله والتسبيح بحمده من أسباب التقوى، فإذا توفرت التقوى للعبد صار أكثر قوة وأشد بأسا وأقدر على تحمل المتاعب .

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أن الله ينزل الكتب السماوية على أنبيائه ورسله؛ لتكون وسيلتهم في الدعوة إلى الله على بصيرة فيأمرهم من أرسلوا إليهم من الأمم أن يأتروا بما تأمرهم به هذه الكتب وينتھوا عما تنهاهم عنه وقد نزل القرآن على رسول الله محمد ﷺ وفي هذا قال تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١). وفيها: أمر الله لنبيه بالصبر في دعوته مع وعده له بالنصر على أعدائه. وفيها: الدلالة على أن الاستغفار من الذنوب والتسبيح بحمد الله وذكره وسيلة كبرى للصبر وتحمل المتاعب؛ لأن استشعار العبد لعظمة ربه يمنحه القوة والعون كما قال تعالى ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ

(١) سورة البقرة الآية ٢ .

(٢) سورة البقرة الآية ٤٥ .

إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرُ مَا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

بيان الآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ أي: إن الذين يجادلون في آيات الله بالباطل وهم كفار قريش دون أن يكون لهم في ذلك حجة أو برهان ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرُ مَا هُمْ بِبَلِّغِيهِ﴾ أي: في صدورهم كبر عليك يا محمد؛ بسبب ما أوتيت من النبوة، وهم يريدون أن تكون تابعا لهم، ولن يبلغوا مبتغاهم هذا؛ لأن دينك دين الحق ودينهم الباطل، وقد وعدك الله أنك سوف تنتصر عليهم ﴿فَاستَعِذْ بِاللَّهِ﴾ من شرورهم ومكايدهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأحوالهم ونواياهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تحريم المجادلة بالباطل، والمجادلون بالباطل على قسمين: إما متبوع فاسد ويجادل بالباطل لكي يصرف أتباعه عن الحق كما فعل فرعون مع وزيره هامان حين أمره أن يبني له قصرا عاليا يطلع منه على الله، مع أنه يعرف أنه أصغر من التفكير في هذا الطلب. القسم الثاني: متعال ومتكبر يريد الرئاسة فيجادل بالباطل ليستهوي

به فئام الناس؛ لكي يتبعوه ويحقق بهم غاياته. ومن الأحكام: وجوب الاستعاذة من شرور الأعداء وتسلطهم وقد أمر الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يستعيز من الشيطان عند قراءة القرآن كما قال تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١). كما أمره أن يستعيز من شر الوسواس في قوله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(٢). إلى قوله ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾^(٣).

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥٧) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

بيان الآيتين:

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ يبين الله تعالى أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وفي هذا رد على منكري البعث الذين يقولون: كيف يحيي الله الموتى بعد أن بليت عظامهم. قوله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يتفكرون فيعرفون أن الذي خلق الأمر العظيم وهو السموات والأرض قادر على ما هو أقل منه وهو إحياء الموتى.

(١) سورة النحل الآية ٩٨ .

(٢) سورة الناس الآية ١ .

(٣) سورة الناس الآية ٤ .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ لما ذكر الله عز ذكره أن أكثر الناس لا يتفكرون، بَيَّنَّ أن الأعمى لا يتساوى مع البصير فالأول لا يرى الأشياء، فلهذا لا يعقلها بينما البصير يراها فيعقلها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ﴾ كذلك لا يتساوى المؤمن مع المسيء، فالؤمن قد أضاء الإيمان قلبه فعبد الله حق عبادته، والمسيء أظلم قلبه بالذنوب، فلم يعد يفرق بين الحسن والسيئ من العمل، كذلك الذين ينكرون البعث مثل الأعمى والمسيء لا يقدرّون على تمييز الحسن من السيئ والحق من الباطل قوله ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: ما تذكرون ولا تتعظون إلا قليلا.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير حقيقة كونية هي أن خلق السموات والأرض بما فيهما من الأسرار أكبر من خلق الناس، إذ إن خلقهم لا يساوي في علم المقارنة العقلية شيئا بالنسبة لخلق السموات والأرض. ومن الأحكام: فشوّ الجهل في كثير من الناس وبسبب ذلك تغيب عنهم الحقائق ولهذا أمر الله بسؤال أهل العلم في قوله ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١). وفيهما: أن الأضداد لا تتساوى؛ فالإيمان لا يتساوى مع الكفر، والحق لا يتساوى مع الباطل، فمن أراد أن يجمع بين هذه المتضادات ويرتب على ذلك أحكاما فعمله باطل.

(١) سورة النحل من الآية ٤٣ .

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لما ذكر الله جل وعلا عدم اجتماع الأضداد، وأن الناس قليلا ما يتذكرون آيات الله فينسون أنفسهم ويلهون في حياتهم بل منهم من ينكر البعث كما قالوا ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ (١). ﴿إِلَّا مَوْلَانَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٢). لما كانوا على هذه الحال ذكرهم الله أن الساعة آتية لا محالة، وأن الشك فيها ليس إلا عبثا وغرورا زينه لهم الشيطان ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: قليل منهم الذي يؤمن بقيام الساعة وهم عباد الله الأتقياء الأبرار.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ لما بين عز وجل قدرته العظيمة في خلق السموات والأرض وإحياء الموتى من قبورهم وبين أن الساعة قائمة لا محالة قال لعباده: ادعوني أستجب لكم، وهذا من رحمته ولطفه بهم، فما أعظم أن يقول الخالق للمخلوقين: ادعوني، لكي أعطيكم سؤلکم وأستجيب لكم فأقضي حوائجكم في الدنيا والآخرة

(١) سورة الصافات الآية ٥٨ .

(٢) سورة الصافات الآية ٥٩ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾ ﴿١﴾ لما بين عزوجل أنه سوف يستجيب لعباده إذا سألوه اقتضى هذا أن يعاقب من يستكبر عن هذا السؤال؛ لأن الدعاء عبادة ومن يستكبر عن العبادة يرتكب إثمين: الأول: عصيانه لأمر خالقه والثاني: خطؤه في حق نفسه حين أعرض عن عبادة تنفعه في دنياه وأخراه قوله ﴿دَاخِرِينَ﴾ ﴿٢﴾ أي: صاغرين مهانين.

أحكام ومسائل الآيتين:

توكيد قيام الساعة حين ينتهي الأجل الذي وضعه الله وأخفاه عن خلقه في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعِهَا إِلَّا هُوَ﴾ ﴿١﴾. ومن الأحكام: وجوب دعاء الله؛ لأن الدعاء عبادة؛ لما رواه النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: (إن الدعاء هو العبادة) ثم قرأ قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ﴿٢﴾. ومنها: تحريم الكبر ومجازاة من يستكبر عن دعاء الله بالعذاب الشديد. والأدلة النقلية والعقلية في قبح الكبر كثيرة.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ ﴿١﴾
﴿اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿١١﴾

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٤١)، من سورة المؤمن، برقم (٣٢٤٧)، سنن الترمذي

ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَنَاقِظُونَ
 ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾

بيان الآيات:

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾
 هذا من لطف الله ورحمته بعباده أنه يذكرهم بما يشهدونه في حياتهم؛
 لكي يعبدوه فيستحقوا ثوابه ولا يعصوه فيستحقوا عقابه، فقد جعل
 الليل سكنا وراحة لأجسامهم، وجعل النهار مبصرا لهم؛ لكي يعملوا
 فيه لمعاشهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: أنه قد تفضل
 على الناس وامتن عليهم بهذا العمل الإلهي ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
 يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يشكرونه على فضله ونعمه وذلك بسبب صوارف
 الشيطان لهم وتزيينه لهم سوء أعمالهم ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾
 أي: أن هذا الذي تفضل عليكم بهذه النعم هو ربكم ﴿خَلَقَ كُلَّ
 شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: خالق كل ما في الوجود، فلا رب غيره ولا
 معبود بحق إلا هو ﴿فَنَاقِظُونَ﴾ أي: كيف تصرفون عن عبادته
 وهو المنعم والمتفضل عليكم وتلجؤون إلى عبادة أوثان لا تملك لكم
 نفعا ولا ضرا ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾
 أي: كما ضل كفار قريش بعبادتهم للأوثان، كذلك يؤفك أي: يصرف
 عن الهدى من كان قبلهم ممن جحدوا آيات الله.

أحكام ومسائل الآيات:

توكيد فضل الله على خلقه وما أنعم به عليهم من سائر النعم. ومن الأحكام: تشديد الإنكار على المشركين الذين يصرفون عبادتهم إلى أوثان وأصنام لا تنفعهم ويتركون عبادة الله الذي خلقهم وما كان هذا الضلال إلا من الذين يجحدون آيات الله وينكرونها رغم أنهم يعيشونها في حياتهم مثل جعل الليل سكنا لهم والنهار مبصرا لهم.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٤) ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥).

بيان الآيتين:

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: جعلها لكم ثابتة لا تميل ولا تضطرب ولا تتحرك إذ لو كانت كذلك لما استطعتم العيش فيها ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ أي: وجعل لكم السماء سقفاً يظللكم وأنتم تعيشون تحته آمنين من انشقاقه أو سقوطه عليكم ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ أي: صوركم أحسن تصوير وقوّمكم أحسن تقويم منذ أن كنتم في بطون أمهاتكم إلى حين اكتمال خلقكم وخروجكم إلى الدنيا ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: خلق لكم

كافة المعاش والملاذات من الطعام والشراب ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: خالق كل هذه النعم لكم، هو ربكم الذي لا رب غيره ولا إله إلا هو ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: تعالى في ملكوته وتقدس في ذاته وفي أسمائه وصفاته ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ أي: هو الحي الدائم والأول والآخر والظاهر والباطن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا ند له ولا نظير ولا مثيل.

﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: ادعوه وأنتم في غاية الإخلاص له، والإقرار واليقين بأنه لا إله إلا هو ولا معبود بحق إلا هو وقولوا دائما ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أحكام ومسائل الآيتين:

توكيد مظاهر قدرة الله وعظمته في جعل الأرض قرارا لخلقه لا تميد بهم، فلننظر كيف إذا وقع الزلزال في مكان كيف يتحول إلى خراب وكيف يموت الناس بمئات الآلاف، وما هذا إلا تذكير للعباد بما هم فيه من نعمة الأمن والقرار على الأرض. وكذلك توكيد قدرة الله في جعل السماء سقفا لمخلوقاته وتصويره لعباده في أحسن الصور لقوله تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ الآية (١)، وقوله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٢). ومن

(١) سورة التغابن من الآية ٣.

(٢) سورة التين الآية ٤.

الأحكام: تأكيد قدرة الله في تيسير الرزق للإنسان بما هيأه له من الطيبات من المطاعم والمشارب. ومنها: تأكيد توحيد الله ووجوب إخلاص العبادة له وحده.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٦﴾

بيان الآية:

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين: إن ربي نهاني أن أعبد الأصنام والأوثان التي تعبدونها من دون الله؛ لأنها أوثان لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا فكيف تملك لغيرها وقد جاءني هذا النهي ﴿لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي﴾ وهي البراهين التي تدل على أن عبادة الله وحده هي العبادة الصحيحة، وأن عبادة غيره عبادة شركية باطلة ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: وكما أمرني ربي ألا أعبد أحدا إلا هو، فقد أمرني أن أستسلم له وأخضع لأمره ونهيه وأن أطيعه وأتبرأ مما سواه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: وجوب عبادة الله وحده وجوب عين إذا لا معبود بحق إلا هو فمن صرف شيئا من العبادة لغيره فهو مشرك حُرمت عليه

الجنة، والآيات في هذا كثيرة منها قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(١). وقوله ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٢). وفي هذه الآية: أيضا وجوب الإسلام لله رب العالمين، فلا دين إلا دين الإسلام، فمن ابتغى غيره فلن يقبل منه.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِنَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٣) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^(٤).

بيان الآيتين:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ مازال الله عز وجل يعرف عباده بقدرته العظيمة وإنعامه عليهم، لعل ذلك يحفزهم للإيمان به ابتغاء نفعهم ونجاتهم من العذاب فقد ذكرهم بأن خلقهم من تراب نسبة إلى الأصل وهو آدم الذي خلقه الله من طين ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي: من مني ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ﴾ وهي الدم المترسب ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أي: يخرجكم من الأرحام أطفالا لا تعون شيئا ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ أي: تصيرون مكتملي القوة ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾

(١) سورة النساء من الآية ١١٦.

(٢) سورة النساء من الآية ١١٦.

أي: بتجاوزكم مرحلة الخمسين من العمر ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنَوِّفُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: يتوفاه الله في صغره قبل بلوغ هذه المراحل من العمر ﴿وَلْيَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ أي: جعل لكم هذه المراحل من أعماركم إلى أن تستوفوا آجالكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: تتفكرون أن الذي خلقكم وأنشأكم مرحلة مرحلة هو الأحق وحده بالعبادة وأنه ما من إله إلا هو فاعبدوه وحده مخلصين له الدين. ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: هو المتفرد وحده بإحياء الخلائق وإماتتها والتصرف فيها بحكمته وقدرته ﴿فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: ومن أعظم مظاهر قدرته أنه يقول للشيء كن فيكون لا معقب في ذلك لحكمه ولا راد لقضائه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير حقيقة خلق الله للإنسان وتدرجه في مراحل عمره من مرحلة إلى أخرى، كل ذلك يدل على عظيم قدرة الله مما يقتضي وجوب تفكير الإنسان في هذا الخلق كما قال تعالى ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١). ومن الأحكام: تأكيد قدرة الله في إحياء الخلائق وإماتتهم. وفيهما: الحكم أن قضاء الله يتمثل في الأمر بكيونته، فيكون لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

(١) سورة الذاريات الآية ٢١ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصَرِّفُونَ ﴿٦٩﴾
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ
تُمْرُّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾
مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ
يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ
مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ۞

بيان الآيات:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصَرِّفُونَ ﴾ أي:
ألم تعجب يا نبينا محمداً من هؤلاء المكذبين وهم يجادلون في القرآن
وما جاء به من البينات كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل وعن
الهدى إلى الضلال ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا
بِهِ رُسُلَنَا ﴾ هذا تعريف لهم بأنهم الذين كذبوا بالقرآن وبما
جاء به الرسل من وجوب توحيد الله وطاعته والإخلاص في عبادته
﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ هذا تهديد ووعد لهم بأنهم سوف يعلمون
عاقبة تكذيبهم وهذه العاقبة وضع الأغلال في أعناقهم ثم تسحبهم

الزبانية في الحميم وهو الماء الذي اشتدت حرارته وهم مكبلون بالسلاسل، ثم يقذفون في النار لتتوقد بهم وهو معنى قوله تعالى ﴿إِذَا الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ أي: يقال لهم أين أوثانكم وأصنامكم التي كنتم تعبدونها وتقصدونها؟ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: مع الله ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ أي: ذهبوا عنا فلم نر لهم أثرا ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ أي: لم نكن ندعوهم وهذا جحد منهم لعبادتها كما قال تعالى عنهم ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ^(١) ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ ^(٢). أو يكون مرادهم أننا لم نكن نعبد شيئا حقيقيا؛ لأنه باطل من حيث الأصل فعبادتنا له باطلة.

﴿كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يضل الله الكاذبين مثل إضلال هؤلاء؛ لأنهم متساوون في الضلال فلا فرق بينهم.

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾

(١) سورة الأنعام الآية ٢٣ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٤ .

أي: تقول لهم ملائكة العذاب: هذا العذاب الذي تلاقونه اليوم هو جزاء فرحكم ولهوكم عند أصنامكم وبعدمكم عن توحيد الله وطاعته وهو أيضا جزاء مرحكم وابتهاجكم بالفجور وتكذيب آيات الله. ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: مقيمين فيها مخلصين فبئس مقامكم ومقركم أيها المتكبرون.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تعجب الله من المجادلين في آيات الله المكذبين بها، وذمهم على صرف عقولهم عن الحق إلى الباطل كما قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾^(١). وفيها: وصف حالة العذاب التي يكون عليها المكذبون بالرسول يوم القيامة كما قال تعالى ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾^(٢). ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ﴾^(٣). وفيها: سوء عاقبة الفرح المترتب من اللهو واللعب والإعراض عن آيات الله، وشاهده قول الله تعالى إخباراً عما قاله قوم قارون له ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(٤). وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^(٥). وفيها: تقرير سوء

(١) سورة الحج من الآية ٤٦ .

(٢) سورة الرحمن الآية ٤٣ .

(٣) سورة الرحمن الآية ٤٤ .

(٤) سورة القصص من الآية ٧٦ .

(٥) سورة الحديد الآية ٢٣ .

عاقبة المتكبرين بسبب إعراضهم عن الحق ومجادلتهم بالباطل.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَاِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (٧٧).

بيان الآية:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ هذا أمر من الله لرسوله أن يصبر على أذى من كذبه من قومه؛ لأن الله وعده بالنصر عليهم وسينجز له ما وعده قوله ﴿فَكَيْمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أي: نريك عذابهم في الدنيا، وقد حدث هذا فعلا في غزوة بدر حين قُتل رؤساء الكفار من قريش ﴿أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ﴾ قبل ذلك ﴿فَاِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أي: نذيقهم العذاب في الآخرة.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية وجوب الصبر في الدعوة إلى الله؛ ذلك أن الداعي سوف يدعو، إما قوما جهلة بدين الله، أو قوما يجادلون فيه بالباطل، وقبول هؤلاء للدعوة يتطلب الصبر والقدرة على تحمل الأذى، فقد صبر الرسل عليهم السلام على ما عانوه من أقوامهم حين تربصوا بهم، وهموا بقتلهم واتهموهم بالجنون والسحر والكذب. وقد صبر رسول هذه الأمة محمد ﷺ كما أمره ربه فقد سفّه قومه وكذبوه وآذوه وهموا بقتله وأخرجوه من بلده

وعذبوا أتباعه واستعبدوهم حتى أظهر الله دينه وتحقق ما وعد الله به أوليائه حيث زالت الوثنية من بلاد العرب وغيرها وحل محلها دين الله.

قلت: والصبر على الدعوة لا يجب على الأنبياء والمصلحين فحسب، بل يجب على كل من أؤذي في دينه. ومن هذا الأذى ما يحدث في هذا القرن الذي نعيشه من جاهلية جهلاء تنتهك فيه حرمان الله، فيباح اللواط والزنى والفواحش علانية، ويباح فيه الربا بكل صورته، ويستتهزأ فيه بدين الله وبرسوله محمد ﷺ في وسائل الإعلام، وتعاني فيه الأقليات المسلمة في بعض البلاد من التمييز والسخرية من دينها وأحكام شريعته، كل هذا يحتاج إلى الصبر والتمسك أولاً بالإسلام وبرسالة رسول الله محمد ﷺ، والاعتزاز بها والدفاع عنها، وهذا هو أساس الصبر، ثم تحمل الأذى النفسي الذي يعانيه المسلمون الذين اضطرتهم وقائع حياتهم أن يكونوا بين أكثرية غير مسلمة؛ بسبب ظروف وأسباب تاريخية أو يكونوا ممن اضطرتهم ظروفهم المعاشية إلى السفر إلى تلك البلاد للعمل فيها، وليعلم هؤلاء الذين يُستَهْزَأُ بدينهم أنهم هم الغالبون في النهاية؛ لأن الله جل وعلا وعد بذلك ووعدده حق وصدق فقال في محكم تنزيله ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَدُ ﴿١﴾. وقوله ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٢﴾.
 وقوله ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ
 مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
 فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿٧٨﴾

بيان الآية:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ
 مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ لما أمر الله عز وجل نبيه ورسوله بالصبر،
 بين له أنه قد أرسل من قبله رسلا إلى أمم كثيرة منهم من قص عليه
 خبرهم، ومنهم من لم يقصه عليه وهم كثير وذلك حسب مراد الله في
 توجيهه لرسوله وما يكون مفيدا له من هذه القصص وهو يدعو قومه
 إلى الله ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: ما كان
 لأي واحد من هؤلاء الرسل أن يأتي بآية معجزة إلا بإذن الله ومشيئته
 فهو يبعث الرسل بالبينات لتأييدهم في دعوتهم، ولكن بعض أقوامهم لا
 يكتفي بذلك، بل يطلب آيات أخرى الهدف منها التكذيب كطلب بعض

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢) سور الصافات الآية ١٧٣ .

(٣) سورة المجادلة من الآية ٢٢ .

كفار قريش من رسول الله ﷺ أن يفجر لهم الأرض ينابيع، أو يسقط عليهم كسفا من السماء ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: يقضي الله حينئذ بقضائه العادل فينجي أوليائه المؤمنين ويهلك المفسدين.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله أرسل رسلا إلى أقوامهم فقص أخبارهم على رسول الله محمد ﷺ، وأرسل رسلا آخرين فلم يقص أخبارهم عليه؛ وذلك لما اقتضته حكمته في ذلك. وقد ورد في حديث أبي ذر قلت: يا رسول الله كم عدد الأنبياء؟ قال: (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، والرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشرة)^(١). ومن الأحكام: أنه ليس لأحد من الرسل أن يأتي بآية إلا إذا كان الله قد أعطاه إياها فالآيات كلها راجعة لأمره ومشيئته.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٦٥-٢٦٦.

بیان الآیات:

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ بهذا يخاطب الله المكذبين لرسوله أنه جعل لهم الأنعام التي بين أيديهم فيركبون منها الإبل في سفرهم، ويحملون عليها أمتعتهم وأثقالهم ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: تأكلون لحوم الإبل والبقر والغنم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ ومنها: اللبن والصوف والجلود والشعر ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ منها: حرث البقر للأرض لإنبات الزرع ومنها: ركوب الإبل للانتقال من مكان إلى آخر ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ أي: على الإبل والسفن يحملون حيث سخرها الله لكم وما كنتم تقدرُونَ على ذلك لولا تسخير هذه المخلوقات لكم ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: أنه عز وجل يريكم أيها العباد آياته في تسخير الأنعام لكم وفيما ترونه من آياته الكبرى في السموات والأرض والكون كله ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ أي: لا تستطيعون إنكار هذه الآيات؛ لأنكم ترونها في كل شيء وفي أنفسكم، فإن أنكرتموها فإنكم تعاندون وتكذبون، وليس حينئذ أحد أظلم منكم كما قال تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾^(١).

(١) سورة الأنعام من الآية ١٥٧.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير نعم الله على خلقه، ومنها: تسخير الأنعام لهم وهي الإبل والبقر والغنم، وهذا التسخير على نوعين: أولهما: تذليل هذه الأنعام لهم مع شدة وقوة بعضها كما هو الحال في الإبل. وثانيهما: التسخير لمنفعة العباد حيث توفر لهم هذه الأنعام طعاما يحتاجون إليه في معاشهم. وفيها: الحكم بأن آيات الله واضحة لخلقه فمن ينكرها فهو جاحد للحق ومجادل بالباطل.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَاكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

بيان الآيات:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ إن من رحمة الله بعباده ولطفه بهم دعوتهم إلى الهدى وتحذيرهم من الضلال، حتى لا يصابوا بالعذاب،

فهنا يوجه كفار قريش أن يسيروا في الأرض التي حولهم؛ ليروا آثار الأمم التي كانت قبلهم كقوم هود وصالح ولوط وما حل بهم من الهلاك؛ بسبب تكذيبهم لرسلمهم مع أنهم أكثر في عددهم من قريش وأكثر قوة وآثارا أي: عمراننا في أرضهم وهو ما أخبر عنه عز وجل بقوله ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: لم تمنع عنهم قوتهم ولا عددهم ولا آثارهم العذاب الذي أصابهم حيث أصبحوا أثرا بعد عين.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ المراد أن المكذبين لرسلمهم لما جاؤوهم بالبينات التي تبين لهم وجوب توحيد الله وطاعته، والإيمان بالبعث والحساب والجزاء، أعرضوا عنها وفرحوا بما عندهم من العلم المتأتي لهم من أصحاب العقائد المادية المبنية على الفلسفة المجردة من الدين والمشبعة بالإلحاد والظن وإنكار الدين والاستهزاء به وأهله، فكان عاقبتهم الهلاك كما قال تعالى ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي: لما رأوا العذاب قد أحاط بهم ﴿قَالُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ أي: قالوا: إننا نؤمن بالله ونوحده وبما جاءت به رسلنا ونكفر بكل ما يعبد من دون

الله، فنفى الله عنهم الإيمان بقوله ﴿فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا﴾ أي: لم تنفعهم التوبة ولا الإيمان عند معابنتهم العذاب؛ لأن هذه ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ أي: حكمه وقضائه في خلقه ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ أي: خسر الذين استهزؤوا بدين الله ثم آمنوا لما رأوا العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب التدبر والتفكر فيما حلّ بالأُمم المكذبة لرسالتها؛ لما في ذلك من العبر والإدراك بأن ما حل بهم سوف يحل بمن بعدهم إذا كانوا مثل ما هم عليه من التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها. ومن الأحكام: أن القوة مهما كانت عظمتها لا ترد عذاب الله، فالخلق مهما بلغت قوتهم لا يستطيعون منع وقوع زلزال، ولا منع ثورة بركان، ولا هيجان بحر، ولا منع عاصفة، وهي كلها حوادث بسيطة في جانب قدرة الله وعظمته. وفيها: أن التوبة لا تنفع عند حلول النقم؛ لأن سنة الله في خلقه أن تكون التوبة في حال الإمهال، وليس في حال العذاب بدليل أن فرعون لم ينفعه إيمانه لما أدركه الغرق فقال ﴿ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١). فقال الله ﴿ءَاَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

(١) سورة يونس من الآية ٩٠.

(٢) سورة يونس الآية ٩١.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة فصلت

مكية وآياتها أربع وخمسون آية

﴿حَمْدٌ ١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ ﴿كُتِبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ٣﴾
 قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٤ ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا
 يَسْمَعُونَ ٥﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِي ذَا انَّا
 وَقرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ٥﴾

بيان الآيات:

﴿حَمْدٌ ١﴾ من الحروف المقطعة، والله أعلم بمراده منها ﴿تَنْزِيلٌ ٢﴾
 مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ ﴿أي: هذا القرآن منزل من الله الرحمن الرحيم
 المتعالي في ذاته وملكوته ﴿كُتِبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ٤﴾ أي: هذا القرآن
 مفصل في آياته، واضح في دلالاته، محكم في ألفاظه ومعانيه ﴿قُرْءَانًا
 عَرَبِيًّا ٥﴾ أي: نزل بلسان عربي مبين، لا يشكل لفظه، ولا يصعب
 فهمه على ذي فهم ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٦﴾ أي: لقوم يريدون أن يهتدوا
 بما فيه من الأحكام، أما الذين لا يريدون أن يهتدوا بما فيه، فلا يحبون
 أن يعلموه ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا ٧﴾ أي: فيه البشارة للمؤمنين بأن لهم
 الحسنَى في الدارين إذا آمنوا بما فيه واتبعوا أحكامه، وفيه: النذارة

بأن للمعرضين عنه سوء العاقبة في الدارين ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: أعرض عنه أكثر قريش فهم لا يحبون أن يسمعه ولا يفهموا ما فيه ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْثَرَةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ أي: مغطاة فلا نحب سماعه ﴿وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ أي: فيها صمم عن سماع ما جئت به يا محمد ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ أي: بيننا وبينك ساتر، فلا صلة لنا بك، ولا صلة لك بنا ﴿فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ أي: اعمل أنت على ما تقول من دينك ونحن عاملون على ما نحن عليه من دين آبائنا وأسلافنا.

أحكام ومسائل الآيات:

توكيد نزول القرآن من عند الله كما قال تعالى في موضع آخر ﴿وَلَئِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١). ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(٢). ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾^(٣). ومن الأحكام: أن آيات القرآن مفصلة وأن لغته عربية، وهذا يقتضي أن يتعلم المسلم قراءة القرآن باللغة العربية حتى يكون أكثر إدراكاً لألفاظه ومعانيه؛ لأن ترجمته إلى اللغات الأخرى لا تحقق نفس الفهم الذي يفهمه القارئ له باللغة العربية. ومنها: أن القرآن ذو بشارة ونذارة؛ فالبشارة للمؤمنين به

(١) سورة الشعراء الآية ١٩٢.

(٢) سورة الشعراء الآية ١٩٣.

(٣) سورة الشعراء الآية ١٩٤.

المصدقين به العاملين بأحكامه، والندارة للعصاة الذين يعرضون عنه. ومنها: أن من طبع الله على قلبه؛ بسبب كفره ومعاصيه لم يعد يسمع ما ينفعه من القول بل يبقى على ضلاله.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۖ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾

بيان الآيات:

﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد للمكذبين بك من قومك ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: لست بملك عليكم ولا زعيم أو رئيس لكم، وإنما يوحى إلي لأبلغكم رسالة الله ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ أي: لا إله في الوجود غيره فهو المستحق وحده للعبادة ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ أي: أخلصوا له العبادة، واتركوا عبادة غيره من الأصنام والأوثان ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي: اطلبوا منه المغفرة مما سبق من خطيئاتكم ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: سوف يلاقون سوء العذاب الشديد ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قيل: المراد أنهم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله ^(١) وقيل: هم الذين

(١) تفسير ابن وهب ج ٢ ص ٢٦٥، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٢ ص ٩٢، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

لا يزكون أنفسهم بالأخلاق ولا يطهرونها من الأرجاس والأنجاس^(١)، وقيل: لا يؤدون زكاة أموالهم^(٢) ولعل هذا هو الأظهر؛ لأن قوله تعالى ﴿لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي: لا يعطونها لمستحقها فصرف المعنى إلى تركية النفس قد يكون بعيدا، ويؤيد ذلك أن المراد بالزكاة إخراج شيء من أموالهم ولو كانوا مشركين؛ ذلك أن المتعارف عليه في المجتمعات أيا كانت دياناتها أن الأغنياء يساعدون الضعفاء، وأن عدم إيتاء المشركين المقصودين هنا للزكاة أو الصدقة يدل على شحهم وهو أمر مذموم عند سائر الناس. قوله ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب والجزاء ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ المراد بهم الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الأعمال الصالحات من صلاة وزكاة وصيام وصدقة وبر واستقامة على الدين لهم أجر دائم لا ينقطع.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تأكيد نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ بما يوحيه الله إليه. وفيها: تقرير توحيد الألوهية وهو أنه لا إله إلا الله المعبود بحق وأن عبادة غيره باطلة. وفيها: وجوب الاستقامة على دين الله لمن يريد النجاة. وفيها: وجوب استغفار العبد من

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٩٤ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٢ ص ٩٣ .

سابق ذنوبه وخطيئاته. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (إني لأستغفره وأتوب إليه في اليوم مائة مرة)^(١). وفيها: تهديد المشركين الذين لا يؤدون صدقة من أموالهم ولا يؤمنون بالبعث والحساب. وفيها: أن الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الأعمال الصالحة لهم أجر دائم.

﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ١٠ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١١ فَفَضَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٢﴾

بيان الآيات:

﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد للمكذابين من قومك ﴿أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: إنكم تكفرون بالخالق العظيم الذي خلق الأرض بما فيها من الموجودات والعوالم العظيمة في يومين، فمن كانت هذه عظمته وقدرته هل يعبد غيره من الأوثان والأصنام التي لا

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأدب، باب الاستغفار برقم (٣٨١٥)، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٢٥٤، والدارمي في كتاب الرقائق، باب في الاستغفار، برقم (٢٧٢٣)، سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٩١.

تملك نفعا ولا ضرا؟ وهو معنى قوله ﴿وَيَجْعَلُونَ لَهُٗٓ أُنْدَادًا﴾ ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: هذا الذي تجعلون له نظراء هو رب العالمين الذي خلقكم وأوجدكم من العدم إلى الوجود ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِنْ قَوْقَهَا﴾ أي: جعل في الأرض جبالا راسيات تمنعها من الحركة والاضطراب ﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾ أي: أودع البركة في موجوداتها من المياه والنبات وغيره ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي: قدر أقوات الخلائق وحاجاتهم ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِّلسَّالِيلِينَ﴾ أي: كان هذا التقدير في أربعة أيام تامات ومن سأل أو يسأل عنها فهكذا الأمر.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أي: عمد بعد ذلك إلى السماء وهي دخان لم تكن بعد قد تكونت، بل كانت بما يشبه الدخان ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي: استجيبا لما أمركما به طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ أي: مطيعين لك بما تأمرنا به ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: أحكم خلقهن في يومين، فأصبح خلق السموات والأرض في ستة أيام أولها: يوم الأحد وآخرها: يوم الجمعة ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أي: رتب ونظم في كل سماء من السموات السبع ما تحتاجه من المخلوقات التي قدرها بحكمته، ولا يعلمها إلا هو ﴿وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ المراد بها الكواكب السيارة ﴿وَحِفْظًا﴾ أي: وقاية من الشياطين أن

تسترق السمع فإذا حاولوا قذفتهم الشهب من الكواكب فيحترقون ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ أي: كل هذا الذي حدث بفعل وقدرة العزيز في ملكوته العالم بجميع مخلوقاته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الكفر بالله خلل عظيم في حياة الإنسان؛ لأنه إنكار للخالق، وليس من ذنب أعظم من هذا الذنب. وفيها: تقرير أن الله خلق الأرض والسموات وما فيهما في ستة أيام أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، مع أنه قادر على خلقهما بمجرد أمره لهما بالكينونة ولكن حكمته اقتضت أن يكون خلقهما مقدرًا بهذه المدة وليس ثمة تعارض بين قوله تعالى ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ وقوله في سورة النازعات لما ذكر خلق السموات فقال ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(١)؛ ذلك أن خلق الأرض سابق لخلق السموات ودحو الأرض وإخراج مائها ومرعاها تال لخلق السموات كما ورد في سورة النازعات، فالذي حدث بعد ذلك هو دحي الأرض وليس خلقها هذا هو ما قاله سلف الأمة. وقد روى البخاري في تفسير هذه الآية ما ذكره سعيد بن جبير: أن رجلاً قال لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي، منها قوله ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ إلى قوله ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ

ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿١﴾ فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال تعالى ﴿أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾. فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء فقال ابن عباس: إن الله خلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والأكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله ﴿دَحَاهَا﴾ وقوله ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلقت السموات في يومين^(٢).

وفي هذه الآيات: تقرير أن الكواكب زينة للسماء وأنها حفظ لها من دخول الشياطين إليها لاستراق السمع، فإذا حاول أحد منهم دخولها أدركه أحد الشهب فيحرقه كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾^(٣).

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾^(١٣) إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا تَعَبُّدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا

(١) سورة النازعات الآيات ٢٧ - ٣٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة حم السجدة، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٤١٧-٤١٨ .

(٣) سورة الملك الآية ٥ .

عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا
 أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾
 فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ
 فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ
 بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

بيان الآيات:

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ المراد بهم كفار قريش أي: إن تولوا عما جاءهم من
 البينات ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ أي: قل لهم إني أنذركم من صاعقة
 تحيط بكم ﴿مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أي: تصيبكم كما أصابتهم
 فتهلككم كما أهلكتهم والمراد بهم قوم هود وقوم صالح المكذبون
 لهما، فأرسل الله عليهم الصواعق التي مزقتهم شر ممزق وقد بين
 الله سبب عذابهم بقوله ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
 خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: أتتهم رسلهم تدعوهم إلى توحيد الله
 وطاعته وعدم الشرك به، فلم يستجيبوا لهم وقالوا لهم ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا
 لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ أي: لو كان ربنا يريد إرسال رسل لنا بالذي تقولون
 لأنزل ملائكة من عنده لهذا ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أي: لن
 نقبل قولكم ولا دعوتكم.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: طغوا وعتوا وعصوا ما جاءهم به رسوله من الهدى ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ وهذا غاية في الاستكبار والطغيان إذ إنهم لما وجدوا أنفسهم في قوة من الدنيا، ظنوا أنه ليس أحد أقوى منهم، وهذا من جهلهم وسفاهتهم فقال عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: لم يكونوا يفكرون لفرط جهلهم أن الذي خلقهم وأخرجهم من العدم إلى الوجود هو أقوى منهم، ولو كانوا يعقلون لعلموا أن قوة الخالق غير قوة المخلوق ﴿وَكَانُوا يَتَّيَنُّونَ يَجْحَدُونَ﴾ أي: ما كان هذا القول يصدر منهم إلا لأنهم كانوا يجحدون آيات الله وينكرونها. ولما علم الله مقولتهم ومبارزتهم له العداوة قال عز وجل ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: ريحا باردة قوية الصوت ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ أي: مشؤومات كما قال تعالى ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ﴾^(١).

﴿لَنَذِقَنَّهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: أذاقهم الله عذابا أخزاهم وأذلهم في الحياة الدنيا، حيث أصبحوا عبرة وموعظة للناس ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ أي: أشد وأعظم من خزي الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يَنْصَرُونَ﴾ أي: لن يجدوا لهم نصيرا ينصرهم من دون الله، بل

يلاقون العذاب جزاء استكبارهم واغترارهم بقوتهم بقولهم ﴿مَنْ أَشَدُّ مَنَاوَةً﴾.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ﴾ أي: أرسلنا لهم أخاهم صالحا يبين لهم الآيات ويدعوهم إلى الهدى ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ أي: أبوا وأعرضوا وعصوا أمر ربهم حين عقروا الناقة التي أعطاهم الله؛ لتكون لهم آية ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ أي: بعث الله عليهم صيحة ورجفة أهلكتهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: كان هذا جزاء عملهم وتكذيبهم لرسولهم وجحودهم لآيات الله ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي: أنقذنا المؤمنين من بينهم، فلم يصبهم سوء فنجاوهم ونبههم صالح؛ بسبب إيمانهم وتقواهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سوء عاقبة المعرضين عن الدعوة إلى الحق لما في ذلك من الكبر ورد الحق وقبول الباطل وفي هذا قال تعالى ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾^(١). وفيها: الحكم بوجوب الإقرار بكلمة التوحيد وهي شهادة ألا إله إلا الله. وفيها: أن المعرضين عن الحق غالبا ما يحاولون تعجيز من يدعوهم إلى التوحيد، فيطلبون إنزال الملائكة لهم، كما يطلبون العديد من المعجزات كما طلب كفار

(١) سورة الجن من الآية ١٧.

قريش من رسول الله ﷺ أن يرقى إلى السماء، وينزل عليهم كتاباً يقرؤونه. وفيها: تحريم الاستكبار والاعتداد بالقوة والعجب بها كما يحصل اليوم من تسلط الدول القوية على الدول الضعيفة واستغلالها - كما سبق ذكره - وقد وعد الله المستكبرين بأشد العذاب كما قال تعالى في حق الكفرة يوم القيامة ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(١).

وفيها: بيان العذاب الذي أصاب الله به المكذبين لرسله كما حدث لقوم هود وصالح، ولم يكن ليصيبهم العذاب إلا بسبب أعمالهم وكفرهم بآيات الله. وفيها: أن الإيمان هو الفاصل بين العذاب والنجاة منه؛ لأن الله عهد على نفسه أنه ينجي المتقين كما قال تعالى ﴿وَسَجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٢٠) وَقَالُوا لِمَ لُجُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ^(٢١).

(١) سورة الزمر من الآية ٧٢.

(٢) سورة الزمر الآية ٦١.

بيان الآيات:

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ﴿ لَمَّا وَجَّهَ اللَّهُ رسوله محمدا ﷺ أن ينذر كفار قريش إذا أعرضوا عما جاءهم من البينات قال عز وجل بين لهم يا نبينا محمداً كيف يحشر أعداء الله يوم القيامة؟ حيث تجمعهم الملائكة فرقا فرقا بعد تجميعهم ثم يسحبون إلى النار ﴾ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا ﴾ ﴿ أي: إذا وقفوا على النار ﴾ ﴿ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ أي: تنطق هذه الجوارح بما كانت تعمل لا يخفى منه شيء فيقولون حينئذٍ لجلودهم ﴾ ﴿ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ ﴿ أي: كيف تشهدون علينا يقولون هذا لهم على سبيل اللوم والاستغراب ﴾ ﴿ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ﴿ أي: أنطقنا الله الذي أنطق الأشياء ﴾ ﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ﴿ أي: الذي أنشأكم النشأة الأولى ﴾ ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿ أي: تعودون إليه بعد أن يحييكم من موتكم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير كيفية حشر المعادين لله إلى النار فرقا فرقا كما قال تعالى ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا ﴾ ^(١). وفيها: أن جوارح الإنسان تشهد عليه بما فعل، فلا يستطيع إنكار ما كسب في الدنيا. وفي حديث

(١) سورة مريم الآية ٨٦.

أنس بن مالك رضي الله عنه -الذي سبق ذكره- قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: (هل تدرون مم أضحك؟) قلنا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: (من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول بلى، قال: فيقول فإني لا أجزى على نفسي إلا شاهدا مني. قال: فيقول الله تبارك وتعالى: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهوداً قال فيختم على فيه فيقال لأركانها: انطقي قال: فتنتطق بأعماله قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام قال: فيقول بعدا لكنّ وسحقا. فعنكن كنت أناضل)^(١).

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ۚ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَبَكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۚ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ۚ﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ قيل في سبب نزول هذه الآية: ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت مستترا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر كثير

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، برقم (٢٩٦٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٧٢٣٩.

شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، قرشي وختناه ثقفيان، أو ثقفى وختناه قرشيان، فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال بعضهم: أترون أن الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخر: إذا رفعنا أصواتنا سمع، وإذا لم نرفع أصواتنا لم يسمع. فقال الآخر: إن سمع منه شيئاً سمعه كله. قال عبد الله: فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١). والمراد أن الأعضاء حينما تشهد على أصحابها فيلومونها على هذه الشهادة تقول لهم: لم تكونوا تخفون عنا ما كنتم تفعلون من المعاصي، بل كنتم تجهرون بها؛ لأنكم كنتم تظنون أن الله لا يعلم ما تفعلون وهو ما أخبر به تعالى في قوله ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْكُمْ﴾ أي: إن ظنكم أن الله لا يعلم أفعالكم هو الذي أهلككم وأرداكم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: أصابكم الخسران والهوان والعذاب يوم القيامة.

﴿فَإِنْ يَصْبرُوا فَالْنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي: إن يصبروا على ما هم فيه من العذاب، فالنار مقرهم ومسكنهم ﴿وَإِنْ يَسْتَغْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ أي: إن يعتذروا فلن يقبل منهم عذر؛ لأن التوبة في الدنيا هي العذر، أما في الآخرة فليس ثمة أعذار

(١) أسباب نزول القرآن للواحدى ص ٥٩٢، وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، برقم (٢٧٧٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٩٤٧.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم سوء الظن بالله، سواء بالقنوط من رحمته، أو الظن أنه لا يطلع على أفعال العبد، أو الظن فيه عز وجل بما يتنافى مع قدرته وعظمته كما قال تعالى ﴿يُظُنُّوكَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُوا هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية^(١). وقوله ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(٢). وهذا يقتضي أن يكون المسلم حسن الظن بالله تعالى، فيعلم أنه ربه، وأنه قد تكفل برزقه وتكفل بقبول توبته إذا تاب من ذنوبه، وتكفل بأنه لن يظلمه، وتكفل بأنه سيرحمه لأن رحمته وسعت كل شيء.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ (٢٥)

بيان الآية:

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ المراد كفار قريش والمعنى أنهم لما عادوا الحق وأصروا على الباطل تداخلت معهم بالقول والفعل شياطين من الجن ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي:

(١) سورة آل عمران من الآية ١٥٤ .

(٢) سورة ص من الآية ٢٧ .

زينوا وحسنوا لهم أعمالهم الفاسدة من الكفر والمعاصي ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: حق عليهم حينئذ العذاب ﴿فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ أي: كانوا من جملة الأمم السابقة التي حق عليها العذاب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ أي: لم يكن لهم من المعاصي التي زينها لهم قرناؤهم من الشياطين إلا الخسران.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن المرء إذا استمر في المعاصي، وأعرض عن الحق ونسي ذكر الله وخشيته، بعث الله له قرينا من الشياطين، يزين له سوء أفعاله لقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّوهُمْ أَرْأَ﴾^(١) أي: تسول لهم المعاصي وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٢). ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٣).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢٦) فَلْيُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ إِمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ

(١) سورة مريم الآية ٨٣ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٣٦ .

(٣) سورة الزخرف الآية ٣٧ .

وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ هذا

بيان من الله تعالى أن كفار قريش تواصلوا بينهم، واتفقوا على ألا يسمعوا القرآن إذا تلاه رسول الله ﷺ، خشية أن يتأثروا به أنفسهم، ويتأثر بهم كذلك من يراهم يسمعونهم كما تواصلوا أن يكثروا من اللغو إذا كان محمد ﷺ يقرؤه، ومن ذلك رفع الأصوات والضجيج والصفير حتى يختلط لغوهم هذا مع صوت رسول الله ﷺ، فلا أحد يستطيع فهم ما يقول. ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ أي: إذا فعلتم هذا اللغو سوف تغلبون محمدا وأصحابه. ولما سمع الله مقاتلتهم توعدهم بالعذاب الشديد ومجازاتهم بأسوأ من أفعالهم فقال عز ذكره ﴿فَلَنَذِقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقد وصفه الله بقوله ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَمْحَدُونَ﴾ أي: إن هذا العذاب هو جزاء أعداء الله عامة ومنهم كفار قريش وسوف يخلدون فيه جزاء جحودهم لآيات الله وتكذيبهم لرسوله وإيذائه. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ أي: يقول الكفرة وهم في النار: يا ربنا أربنا الذين أضلانا من الجن

والإنس أي: من شياطين الجن والإنس قيل: المراد بالذي أضلهم هو إبليس من الجن وقايل من الإنس؛ لكونه أول من سن القتل^(١).
 ﴿لِكِي نَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: في الدرك الأسفل من النار حتى نشفي صدورنا منهم؛ بسبب إغوائهم لنا حتى صرنا إلى ما نحن فيه من العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سلوك المشركين تجاه القرآن ومعارضتهم له والاستهزاء به، وتقرير عقابهم وهو الخلود في العذاب. وفيها: أن المجرمين حين يقاسون العذاب يطلبون ربهم أن يريهم من أضلّوهم في الدنيا من شياطين الجن والإنس؛ لكي ينتقموا منهم فيضعونهم في الدرك الأسفل من النار كما قالوا فيما حكاه الله عنهم ﴿كَلَّمَا دَخَلْتَ أُمَّةً لَعَنْتُ أُخْنَهَا حَتَّى إِذَا أَذَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِبُهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا نَعْلَمُونَ﴾^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ١٠٠ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ٣٨ .

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ أَوَّلِيَّكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزُولَا
مَنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ لما ذكر الله في
الآيات السابقة حال الكافرين ومآلهم يوم القيامة، ذكر حال المؤمنين،
فوصفهم بأنهم الذين كانوا يقولون في الدنيا إن الله ربهم لا يعبدون
إلا إياه، ولا يخشون إلا إياه، ولا يرجون إلا إياه، فلم يدعوا صنما
أو وثنا ولم يتعلقوا إلا بربهم وقد استقاموا على ذلك إلى أن قدموا
عليه، فلم يبدلوا ولم يغيروا، بل كانوا ثابتين على دينهم مستقيمين
عليه ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي:
تأتيهم عند موتهم فتبشرهم برحمة ربهم، فلا يخافون من عذاب القبر
ولا هم يحزنون على ما تركوا في الدنيا من الأهل والمال كما تبشرهم
عند مبعثهم ألا يخافوا ولا يحزنوا من أهوال يوم القيامة وتقول لهم
﴿وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿نَحْنُ أَوْلَىٰ أَوَّلِيَّكُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: تقول لهم الملائكة عند موتهم: نحن الذين
كنا معكم في الدنيا نكتب أعمالكم ونحفظكم بأمر الله وسنكون
معكم في الآخرة نؤمنكم بأمر الله من وحشة القبر، وعند النفخة، وعند

العرض، فلا تخافوا أو تحزنوا فأنتم في حفظ الله ونحن معكم حتى تدخلوا الجنة بسلام ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ﴾ أي: لكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم، وما ترغبونه من المطالب ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ أي: ما تتمنون ﴿تُزَلَّ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ أي: هذا الذي تحظون به هو عطاء وإنعام وضيافة لكم من ربكم الذي غفر لكم ذنوبكم ورحمكم فوصلتم إلى هذه الدرجات من الكرامة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير عظم الاستقامة وفضل صاحبها قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١). وفي حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قلت: يارسول الله حدثني بأمر أعتصم به فقال عليه الصلاة والسلام: (قل ربي الله ثم استقم) قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه ثم قال: (هذا)^(٢). وفيها: تقرير أن الإيمان والاستقامة عليه يحققان البشري للمؤمن من حين موته إلى دخوله الجنة، وشاهده: قول الله تعالى على لسان الملائكة حين تحضر

(١) سورة الأحقاف الآية ١٣ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، برقم (٢٤١٠)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٥٢٤، ومسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، برقم (٣٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٦٠٢ .

المؤمن الوفاة ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(١). ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً
مَّرْضِيَةً﴾^(٢). ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾^(٣). ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^(٤).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٥).

بيان الآية:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أحسن قولاً
من الذين يدعون غيرهم إلى دين الله والمَدْعُونَ على قسمين: الأول:
من لم يؤمن بالله أصلاً من الملحدين والكفرة، فدعوتهم وترغيبهم
في الإسلام بذكر محاسنه مع تبسيطه وشرحه لهم بالموعظة المبنية
على الحكمة والمجادلة العلمية. وفي هداية هؤلاء أجر عظيم؛ لأنها دعوة
الأنبياء، ناهيك من أن فيها إنقاذ عدد أكبر من الناس من العذاب كما
قال رسول الله ﷺ: (فوالله لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر
النعم)^(٥). فكيف بمن يهدي الله على يديه أقواماً أو أمماً.

القسم الثاني: من هو أصلاً داخل في دين الله، ولكنه مقصر فيه

(١) سورة الفجر الآية ٢٧ .

(٢) سورة الفجر الآية ٢٨ .

(٣) سورة الفجر الآية ٢٩ .

(٤) سورة الفجر الآية ٣٠ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة، برقم (٢٩٤٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ١٣٠ .

بارتكابه المعاصي والمحرمات والانحراف عن منهج الدين، فدعوته هنا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الأمر يكاد يكون ركنا من أركان الإسلام؛ لأنه بدون هذا الأمر وهذا النهي يضعف الدين في النفوس إلا من وقاه الله؛ ذلك أن النفس البشرية ميالة إلى الهوى والملذات، فالدعوة عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو عن طريق الوعظ والارشاد أو بأي صفة أخرى تنبه إلى ما قد يحدث في النفوس من الخلل والميل عن المنهج الإلهي. ولا شك أن الدعاة في كلا القسمين يلاقون كيد أهل الباطل فيضعون أمام الدعاة الكثير من العقبات، ويصفونهم بأبشع الأوصاف وهذا هو ما حصل للأنبياء منذ أن حملهم الله إبلاغ رسالته ولكن هذه العقبات لا تقارن بما يحصل للدعاة من الثواب العظيم.

قوله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: كان هذا الداعي قدوة في دعوته إذ لا يمكن أن تبلغ الدعوة مبلغها أو تحقق أثرها إلا إذا كان الداعي ممن آمن بالله وعمل صالحا في نفسه، ولهذا كان الأنبياء سلام الله عليهم القدوة الكبرى لأمتهم في الصلاح والإيمان، فهذا رسول الله ﷺ وهو خاتمهم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه^(١). قوله

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُنْزِلَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾. برقم (٤٨٢٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري

﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: أكد انتماءه وتعلقه بالإسلام
مفاخرًا ومعتزًا به ومحافظًا على شعائره.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن المرتبة الأولى في حسن القول تتطلب
الدعوة إلى الله قولًا وعملاً، سواء دعوة غير المسلم إلى الإسلام، أو
دعوة المسلم إلى الحفاظ على منهج الإسلام والالتزام به في السلوك،
كما تتطلب هذه المرتبة تحقق العمل الصالح للداعي، إذ إن الدعوة
ليست مجرد شعار بل هي التزام وعمل كما تتطلب هذه المرتبة
الإقرار بالانتماء إلى الإسلام قولًا وعملاً.

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا
الَّذِي يَبْنِيكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ
صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥).

بيان الآيتين:

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ هذا توجيه من الله وتربية
لعباده، ليعلموا أنه لا تماثل بين الحسنة والسيئة، فالخير لا يتساوى
مع الشر، والإيمان لا يتساوى مع الكفر، والعقوق لا يتساوى مع البر،
والظلم لا يتساوى مع العدل وهكذا ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي:

لما كانت الحسنة لا تساوي السيئة فعليك يا محمد أن تدفع السيئة
بضدها ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: يتخلى
عدوك عن عداوته ويصبح صديقا حميما لك وقد فعل ذلك رسول
الله ﷺ فكان القدوة والمثال في حسن الخلق والحلم عن الجاهل،
والصفح والعفو عن العدو فقال لمن كانوا يعادونه وأخرجوه من
مكة وهموا بقتله: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)^(١). ولم يغضب عليه
الصلاة والسلام على من جفا عليه بالقول، بل كان سيد الحلم إلا إذا
انتهكت محارم الله.

﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: ما يلقي فضيلة دفع السيئة
بالحسنة إلا الذين يصبرون على ما يسمعون بعد أن زكت نفوسهم
وحسنت أخلاقهم ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: ما تحصل
هذه الفضيلة إلا لمن منحه الله حظا وافرا من الأخلاق وسمو النفس.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن الحسنة لا تتساوى مع السيئة، فهما
ضدان لا يجتمعان بحال. وفيهما: وجوب دفع السيئة بالحسنة من
القول أو العمل، وقد أرشد الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ وهو في الوقت
نفسه إرشاد لأئمة أن يكون متسامحا رقيق القلب وأن يعفو عن

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج ٢ ص ٢٠٨ .

المسيء، ويستغفر له ويشاور فيما ينزل به من أمر كما قال تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١). وفيهما تقرير قاعدة من قواعد السلوك لدى الإنسان وهي أن الإحسان إلى المسيء يصرفه عن الاستمرار في إساءته، بل يعدل به من الإساءة إلى الحسنى، ومن البغضاء إلى المودة ومن الكره إلى المحبة.

﴿وَمَا يَزَعْنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣٦).

بيان الآية:

﴿وَمَا يَزَعْنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ الشيطان عدو للإنسان كما قال تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾^(٢). وشياطين الإنس قد يندفعون بالإحسان إليهم أوبعقوبتهم إذا كان لا يردعهم إلا العقوبة، ولكن شياطين الجن أعظم خطرا، إذ إن رئيسهم إبليس قال للرب عز وجل ﴿فِعِزَّنَاكَ لِأَعْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣). ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾^(٤). فاقتضى هذا أن الشيطان يدخل على الإنسان من

(١) سورة آل عمران من الآية ١٥٩.

(٢) سورة فاطر من الآية ٦.

(٣) سورة ص الآية ٨٢.

(٤) سورة ص الآية ٨٣.

طرق عدة فيشغله في صلاته وفي منامه وفي أخص خصائصه فيأمره بالمعصية ويزينها له، ولا يزال بالإنسان يناصبه العداوة فلا يندفع إلا بالتعوذ منه لرد وساوسه ومكايده وقد أمر الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ أن يتعوذ منه بقوله ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وقوله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(١). إلى قوله ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾^(٢). ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾^(٣). ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(٤). وكان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل قال: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه)^(٥).

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: وجوب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم إذا تعرض المسلم لوساوسه فإنه لا يرد كيده إلا الالتجاء إلى الله بالتعوذ منه.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

(١) سورة الناس الآية ١ .

(٢) سورة الناس الآية ٤ .

(٣) سورة الناس الآية ٥ .

(٤) سورة الناس الآية ٦ .

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب أبواب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، برقم (٢٤٢)، سنن الترمذي ج ٢ ص ٩، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، برقم (٧٦٤)، سنن أبي داود ج ١ ص ٢٩١ .

تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْقِعُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

بيان الآيات:

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن من آياته العظيمة الدالة على قدرته المطلقة وجود الليل بسكونه والنهار بضياءه وكونهما يتعاقبان في نظام دقيق لا يتبدل ولا يتغير، كما أن من آياته الشمس والقمر وجريانهما في نظام دقيق يعجز العقل عن إدراك أسرارهما ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ هذا نهي تحريم عن السجود لهما؛ لأنهما مخلوقان لا يملكان نفعا ولا ضرا، وإنما العبادة يجب أن تكون للذي خلقهما وقدرهما وسيرهما كما قال تعالى ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ قوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي: خصوه وحده بالعبادة وأخلصوها. ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا﴾ أي: أعرضوا عن عبادة الله وتوحيده ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ أي: لا يفترون ولا يملون.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ أي: ومن آياته الدالة على

عظمته وقدرته أن الإنسان يرى الأرض خاشعة أي: ميتة لا نبات فيها ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أي: إذا نزل الله عليها المطر أنبتت الزروع ومختلف النبات ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ﴾ أي: أن القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على فعل ما يريد فيقول للشيء كن فيكون.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان قدرة الله وعظمته كما دلت عليه آياته، ومنها: الليل والنهار والشمس والقمر. وفيها: تحريم السجود لغير الله كما كانت تفعل بعض الأمم من عبادتها للشمس، وهذا يقتضي حكماً تحريم كل ما في معنى السجود لغير الله كالجثي على الركب تعظيماً للمخلوق ونحو ذلك مما يفعله بعض جهلة المسلمين تجاه رؤسائهم من أصحاب الزعامات ورؤساء الطوائف والطرق. وفيها: تحريم الاستكبار عن ذكر الله وعبادته كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(١). وفيها: تقرير عظمة الله وقدرته في إحياء الموتى، وفي فعل كل ما يريد حيث يقول للشيء كن فيكون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ

(١) سورة غافر من الآية ٦٠.

خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ؕ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكُنْتُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ ؕ تَزِيلُ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا﴾ الإلحاد هو الميل بالشيء عن موضعه، فالذين يلحدون في آيات الله وأسمائه وصفاته هم الذين يميلون بها عن حقيقتها فيحرفونها ويغيرونها لخدمة أغراضهم الباطلة قوله ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ أي: نعرفهم وسوف يحل بهم العقاب ﴿أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: هما لا يستويان، فمن يلحد في آيات الله سوف يلقي العذاب والهوان يوم القيامة، ومن يؤمن بهذه الآيات سوف يأتي آمناً يوم القيامة فالعاقل من يختار الإيمان على الكفر حتى يكون إيمانه مانعاً له من الإلقاء في النار ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هذا تهديد ووعد للذين يلحدون في آيات الله، ويستهزئون بها ويجادلون بالباطل فيها فيقول الله لهم اختاروا ما شئتم من الإيمان أو الكفر فالله بصير وعالم بما تعملونه وسوف يجازيكم على هذا العمل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ المراد به القرآن وهذا تهديد ووعد لمن كفر به، والخبر محذوف وهو أن من كفر به سيلقى العذاب

﴿وَلَئِنَّهُ لَكُنْتُ عَزِيزٌ﴾ أي: منيع غالب لا يقدر أحد على الإتيان بمثله
 ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: لا يتطرق إليه
 الباطل بالتحريف أو الزيادة أو النقص؛ لأن الله حفظه بحفظه فلا
 يأتيه الباطل من أي: جهة من جهاته وذلك لأنه ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ
 حَمِيدٍ﴾ أي: منزل من الحكيم في تدبيره، المحمود في أوامره ونواهيه
 وسائر أفعاله، فتقدس في آياته وفي أسمائه وصفاته.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم الإلحاد في آيات الله وأسمائه وصفاته، وذلك بصرفها عن
 الحق إلى الباطل وهذا هو ما يفعله بعض من ضل عن سبيل الهداية،
 فجعل من الباطل منهجا للضلال كما يحدث اليوم من الخروج على
 أحكام الله بعلل وأوهام تحل ما حرم الله، ومن ذلك المطالبة بترك
 الناس يفعلون ما يريدون تحت مسمى الحرية في القول والفعل، ودون
 أن يكون عليهم رقيب يأمرهم بالمعروف أو ينهاهم عن المنكر. ومن
 الأحكام: التهديد والوعيد لمن يلحد في آيات الله كما قال تعالى ﴿وَذُرُوا
 الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١). ومنها:
 الحكم بأن الله حفظ القرآن بحفظه، فلا يتعرض لنقص أو زيادة أو
 تبديل أو تغيير، وهذا هو ما حدث منذ أن نزل من رب العالمين فقد

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٠.

حفظه الله في صدور عباده المؤمنين حتى قيام الساعة وكل الذين حاولوا فيما مضى أو يحاولون اليوم في التعرض له حسب أهوائهم وضلالهم يبوؤون بالفشل والخسران.

﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ
وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٤٣)

بيان الآية:

﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ في هذا تسليية لرسول الله محمد ﷺ وأمر له بالصبر على أذى قومه، والمراد أن ما قيل لك من التكذيب والتسفيه والاستهزاء سبق أن قيل للرسل قبلك فاصبر كما صبروا ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ أي: يعطي المكذب بآياته فرصة للتوبة لعله يرجع عن ضلاله ﴿ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: يعاقب بشديد العقاب من يستمر على كفره وضلاله.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: يذكر الله عز وجل لرسوله أن الرسل الذين أرسلوا من قبله تعرضوا للتكذيب من أممهم، وقد صبروا على ذلك فأمره أن يكون مثلهم في الصبر؛ لأن الله يمهّل المكذبين لعلمهم يتوبون إليه، وذلك لأنه رحيم بخلقه فلا يعذب إلا من عاند منهم واستمر على كفره.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ؕ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۖ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ﴾

بيان الآية:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ لما ذكر الله عز وجل القرآن وبيانه وكفر المشركين به ومعاندتهم له رد على حججهم مبينا أن قصدهم هو المكابرة والمعاندة، فلو أنزله عليهم بلغة أعجمية كما رأوا ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ؕ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أي: قالوا: لو فصلت آياته بلغة العرب لكان ذلك واضحا لهم؛ لأنه إذا كان أعجميا وهو منزل على العرب فلن يفهموا لغته. ولما كان قصدهم هو اللجاج والجدال الباطل لتبرير كفرهم بالقرآن قال الله لرسوله ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ أي: قل لهم يا محمد إن من آمن بهذا القرآن فإنه له هدى من الضلال وشفاء من الريب والشك ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ أي: صمم يحول بينهم عن سماعه والإيمان به ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أي: ظلام فلا يدركون مافيه من الحق ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: كأنهم يدعون من مكان بعيد فلا يسمعون هذا النداء بسبب الصمم الذي وقر في آذانهم.

أحكام ومسائل الآية:

بيان ما كان عليه المشركون من العناد والمكابرة والكفر بالقرآن، وأن الله عز وجل جعل القرآن هدى لقلوب المؤمنين وشفاء لصدورهم ورحمة لهم فهم يؤمنون به كما قال عز وجل ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(١). أما المشركون ومن في حكمهم فلا يؤمنون به فهم في عمى وضلال وخسران، وسوف يجزي الله المؤمنين بالقرآن على إيمانهم ويجزي الكافرين على كفرهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾^(٤٥)

بيان الآية:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: كما آتيناك يا محمد الكتاب فقد آتينا موسى من قبلك الكتاب والمراد به التوراة وقد اختلف بنو إسرائيل فيه فمنهم: من اهتدى بما فيه، ومنهم من شك فيه، ومنهم: من آمن ببعضه وكفر بالبعض الآخر ومنهم من كذب به ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: لولا أن كلمة

ربك يا محمد قد مضت بتأجيل الحساب إلى ما بعد قيام الساعة ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ المراد بهم المشركون لأن الذين كذبوا موسى قضى الله بينهم فأهلك من كفر منهم كفرعون وجنده وقومه ونجى من آمن بموسى كمؤمن آل فرعون ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ أي: أن المشركين كانوا في ريب من القرآن؛ بسبب مرض قلوبهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: بيان حال الأمم السابقة لبعثة رسول الله ﷺ، وأنها قد اختلفت على أنبيائها ومن ذلك: اختلاف بني إسرائيل على موسى. وفيها: أن حكمة الله اقتضت تأجيل الفصل بين المشركين والمؤمنين إلى أجل مسمى خلافا لقوم موسى الذين حكم الله فيهم فنجى المؤمنين منهم وأهلك الكافرين. وفيها: أن المشركين كانوا في ريب من القرآن؛ بسبب مرض قلوبهم.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ

لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

بيان الآية:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ﴾ أي: أن من عمل عملا صالحا فإن

نفع عمله يعود عليه وحده ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: يرجع سوء عمله إليه وهذا كقوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١). ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: لا يعاقب أحداً إلا بذنب ارتكبه بعد أن تقوم الحجة عليه عن طريق الكتب والرسل.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الإنسان يعمل لنفسه؛ فالمحسن يجزى على إحسانه، والمسيء يجزى على إساءته وهذا غاية العدل وفي الحديث القدسي (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)^(٢).

الحكم بنفي الظلم عن الله عز وجل، فقد حرم جل ثناؤه الظلم على نفسه، وجعله محرماً بين عباده وفي الحديث القدسي عن رسول الله ﷺ فيما روى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)^(٣).

﴿إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ

(١) سورة فاطر من الآية ١٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٩٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٩٢ .

قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن
قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِصٍ ﴿٤٨﴾

بيان الآيتين:

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: لا يعلمها إلا الله وحده ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أي: ما تخرج ثمرات الأشجار من أوعيتها وما تحمل أنثى من البشر أو الحيوان أو الطير ولا تضع مولودها إلا بعلمه جل وعلا فهو العليم بكل ما في الوجود وهو المحيط بقدرته كل ما فيه ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ أي: أن الله ينادي المشركين يوم القيامة على رؤوس الأخلاق ويقول: أين شركائي الذين عبدتموهم من دوني؟ ﴿قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ أي: يتبرؤون منهم ويقولون: يا ربنا لقد أعلمناك وأقررنا على أنفسنا أنه ما منا من شهيد يشهد أن لك شريكاً، بل أنت الواحد الأحد الذي لا رب لنا غيرك ولا إله لنا سواك ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾ أي: ذهب عنهم الشركاء الذين كانوا يدعونهم في الدنيا ﴿وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِصٍ﴾ أي: تيقنوا في ذلك اليوم أنه لا مهرب لهم من العذاب.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله وحده هو عالم الغيب، فلا يعلم قيام الساعة إلا هو لقوله تبارك وتعالى ﴿لَا يُجْلِيهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ﴾^(١). وقوله ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَهَا﴾^(٢). والحكم بسعة علم الله وإحاطته بكل ما في الوجود لقوله عز وجل ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣). وقوله عز ذكره ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(٤). وقوله ﴿وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٥).

﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾^(٤٩) وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

(٢) سورة النازعات الآية ٤٤ .

(٣) سورة الأنعام من الآية ٥٩ .

(٤) سورة الرعد من الآية ٨ .

(٥) سورة فاطر من الآية ١١ .

﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

بيان الآيات:

﴿لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ هذا بيان من الله عن حال الإنسان حين يؤمن بالله في الضراء ويكفر به في السراء إلا من وفقه الله وهداه فأمن به في الشدة والرخاء، والمراد أن الإنسان لا يمل سؤال الله يريد منه الصحة والمال والولد فيعطيه الله مراده ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ أي: إذا مسه البلاء أو المرض أو الفقر يئس من رحمة الله، فلم يعد يتعلق به أو يرجو رحمته ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: إذا أصابه رزق بعد فقر وصحة بعد مرض وولد بعد يأس كفر بما أوتي من عند الله وجدد فضله فقال: هذا لي أي: كنت أستحقه من الله ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أي: مع ذلك ينكر قيام الساعة أو يشك في قيامها ثم يقول ﴿وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي: إن حدث أن قامت الساعة فسوف يحسن إلي ربي في الآخرة كما أحسن إلي في الدنيا ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ في هذا تهديد ووعيد لهذا الصنف من الإنسان والمراد

سوف نخبرهم يوم القيامة بعملهم المدون في صحائف أعمالهم ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي: عذاب شديد.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ﴾ المراد به الإنسان الذي ذكر في أول الآية وهو الذي يؤمن بالله عند الضراء، ويكفر به عند السراء والمعنى أننا إذا أفضلنا عليه بنعمة الصحة والمال والولد تولى عن شكرنا وعبادتنا ونأى بجانبه مستكبرا ومتعاليا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ أي: إذا أصابه بلاء أو فقر ﴿فَذُوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ أي: يرجع إلينا متضرعا ومبتهلا ومستمرا في الدعاء يرجو كشف ضره وبلائه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير صفات الإنسان خاصة من فقد الإيمان في نفسه فأصبح لا يفكر إلا في منفعه وذاتيته الدنيوية فيشكر خالقه عند الضراء ويكفر به عند السراء. وفيها: أن الله إذا كشف ضر هذا الصنف من الإنسان وأنعم عليه، وأزال بأساءه جحد نعمته وزعم أن ذلك بسبب قربه منه. وفيها: تحريم اليأس والقنوط من رحمة الله لقوله عز وجل ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِشُّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١). وفيها: تحريم الكفر بنعم الله لأن ذلك مدعاة لزوالها لقوله تعالى

(١) سورة يوسف من الآية ٨٧ .

﴿ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغِيرُوا مَا
بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١). وقوله ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ
أَضَلَّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^{٥٢} سَرَّيْهِمْ ءَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ
وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^{٥٣} أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيعَةٍ مِنَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ مُخِيطٌ﴾^{٥٤}.

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ أي:
قل يا محمد لهؤلاء الذين يكذبون بالقرآن أي: إن كان هذا القرآن
منزلاً من عند الله بلا شك ثم كفرتم به ﴿مَنْ أَضَلَّ مِمَّنْ هُوَ فِي
شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي: لا أحد حينئذٍ أكثر منكم كفراً بالله وبرسوله؛
لأنكم عرفتم الحق من الباطل ثم أعرضتم عنه فأنتم بعملكم هذا
أضل الناس وأشقاهم ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ المراد أن
هؤلاء المشركين إذا استمروا على شركهم وجحودهم لآياتنا ومنها:

(١) سورة الأنفال من الآية ٥٣ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢١١ .

ما نزلناه من الكتاب على رسولنا فسوف نريهم آياتنا في الآفاق، وفي هذا بشارة لرسول الله ﷺ وإعلام له أن رسالته ستظهر في الآفاق في الوقت والأجل الذي حدده الله، وقد حدث هذا حين انتشر الإسلام في جزيرة العرب ثم ما حولها إلى أن دخل أكثر بلاد العالم فما من بلد إلا وفيه عدد من المسلمين قوله ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: رأى المشركون هذه الآيات عيانا في موقعة بدر وما تجلى فيها من النصر، فقتل فيها أكابر الكفار وصناديدهم كأبي جهل، ومنهم من عايشها زمنا حين نجا من القتل كأبي سفيان وغيره. كما شاهد المشركون ظهور هذه الآيات في فتح مكة التي أخرجوا منها رسول الله محمدا ﷺ ثم رأوه يحطم أصنامهم في الكعبة فعرفوا آيات الله، وإن دينه هو الدين الحق كما قال عز وجل ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ قوله ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: كفى به شاهدا على صدق رسوله محمد ﷺ، وهذه أعظم شهادة؛ لأنها صدرت من خالق الخلق ومدبرهم ومصرفهم فهل يطلب هؤلاء المشركون أكثر من هذه الشهادة ؟

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ هذا بيان من الله أن هؤلاء المشركين يشكون في البعث، وقيام الساعة والحساب والجزاء

﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ أي: يحيط بعلمه وقدرته سائر المخلوقات فيعلم علانيتهم وسرائرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأنه لا أحد أضل ممن يكذب بالقرآن. وفيها: الحكم بأن الله يظهر لخلقه آياته الدالة على عظمته وقدرته وقد أظهر ذلك للمشركين حين رأوا دين الله يظهر على الدين كله، ويدخل فيه الناس أفواجا كما أظهر لهم آياته الدالة على صدق نبوة ورسالة رسوله محمد ﷺ حين انتصر على قوى الشرك والوثنية في معركة بدر، وفي فتح مكة وفي الفتوحات التي تتابعت في أنحاء المعمورة. وفيها: الحكم بأن الله كما أظهر آياته لنبيه والمؤمنين سيظهر آياته في الآفاق عاجلا أم آجلا حتى يعلم البشر أن دين الإسلام هو الدين الحق، وما يحدث اليوم من محاصرة لدين الله وتكالب القوى المعادية له دليل على أنه بداية لانتشاره بين الأمم كما يبدو اليوم واضحا في عدد الذين يدخلون فيه خاصة في أشد المواقع عداوة له ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

(١) سورة يوسف من الآية ٢١ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشورى

مكية وآياتها ثلاث وخمسون آية

﴿حَمْدٌ ١﴾ عَسَقَ ٢ ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٤ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ٦﴾

بيان الآيات:

﴿حَمْدٌ ١﴾ ﴿عَسَقَ ٢﴾ هذه من الحروف المقطعة والله أعلم بمراده منها ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ٣﴾ أي: كما أوحى الله إليك يا محمد فأنزل عليك القرآن، أوحى إلى الرسل من قبلك بالكتب والدلائل التي بلغوها إلى أقوامهم ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٤﴾ العزيز في ملكوته، الحكيم في تدبيره وتصريفه لخلقه ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ٥﴾ أي: كل من في السموات والأرض عبيده وتحت تصرفه ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٦﴾ أي: العلي في ملكوته، العظيم في ذاته وفي أسمائه وصفاته

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ أي: يتشققن من فوقهن قطعاً قطعاً من عظمة الرب جل وعلا ﴿وَأَمَلَيْكَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: يمجّدونه ويعظمونه ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يطلبون من ربهم المغفرة للمؤمنين والتجاوز عن خطيئاتهم ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ هذا تأكيد لعظمته عز وجل بأنه يغفر الذنوب لمن تاب من عباده ويرحمهم ويكفر عنهم سيئاتهم ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: شركاء يعبدونهم من دون الله ﴿اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: شهيد على أعمالهم فيحصيها ثم ينبئهم بها يوم القيامة ويجازيهم عليها ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: ما أنت يا محمد إلا نذير تنذرهم وتحذرهم من العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الأنبياء يتشابهون في الوحي الذي أوحى الله به إليهم وأساسه دعوة أقوامهم إلى توحيد الله وطاعته والبراءة من الشرك به. وفيها: تقرير عظمة الرب جل وعلا، وأن السموات تكاد تنشق من هذه العظمة. وفيها: تقرير أن الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للمؤمنين من هذه الأمة كما قال عز وجل ﴿الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا

وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَرِيمِ ﴿١﴾. وفيها: تقرير شهادة الله على المشركين وإحصائه أعمالهم لمجازاتهم يوم القيامة.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا
وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ
مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ
وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: كما أوحينا إلى الرسل من قبلك فأنزلنا عليهم كتباً وصحفاً أوحينا إليك هذا القرآن بلسان قومك عربياً لا لبس فيه ﴿لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ المراد بها مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من البلدان والمراد أن تخوفهم من عواقب الشرك بالله وتكذيب آياته ﴿وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ﴾ أي: تنذره من أهوال يوم القيامة، وأن النجاة في ذلك اليوم لا تكون إلا لمن اتقى الله فعبده ووحده ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك في ذلك اليوم ففيه ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ أي: هما فريقان، فريق اتقى الله في الدنيا وعمل لهذا اليوم فأدخله الله الجنة، وفريق فرط في الدنيا فأشرك

بالله وعصاه وأعرض عن ذكره فأدخله الله النار فكل منهما جوزي بعمله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: لو شاء لجعل الناس على هدى واحد، ولكن حكمته العلية اقتضت أن يكون من خلقه من هو مهتد ومنهم من هو ضال ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي: يدخل المهتدون في رحمته فيجازيهم بإحسانه ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: ليس للمشركين يوم القيامة من ولي يواليهم، أو نصير ينصرهم، بل يلاقون سوء أعمالهم. ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: لفرط جهلهم عبدوا غير الله ليكونوا شفعاء لهم يوم القيامة وما علموا أن هؤلاء الذين عبدوهم لن ينفعوهم بشيء ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ أي: هو الولي الذي لا ولي غيره وكل ما عداه فولايته باطلة ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أي: هو القادر على إحياء الموتى وبعثهم ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير الوحي لرسول الله ﷺ وتقرير فضل مكة بابتداء النذارة الإلهية لها وفي حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالحزورة في سوق مكة: (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي والله لولا أنني

أخرجت منك ما خرجت) ^(١). وفيها: تأكيد رسالة رسول الله ﷺ إلى سائر البلاد والأمم كما قال تعالى ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ^(٢). وفيها: أن الناس ليسوا أمة واحدة فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون منهم مهتد، ومنهم ضال فيشمل الله برحمته المهتدين، أما الظالمون فلا يجدون لهم وليا يواليهم يوم القيامة؛ بسبب سوء أعمالهم.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١٠) فَاطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: ما اختلفتم فيه من أمر دينكم أو دنياكم وجب عليكم الرجوع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ فهما: الحاكمان بالعدل لكل خلاف ﴿ذَلِكُمُ

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك، باب فضل مكة، برقم (٣١٠٨)، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٠٣٧، والدارمي في كتاب السير، باب إخراج النبي ﷺ من مكة، برقم (٢٥١٠)، سنن الدارمي ج ٢ ص ٣١١.

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٥٨.

اللَّهُ رَبِّي ﴿١﴾ أي: قل يا محمد للمشركين إن ربي هو الحاكم العدل الذي
 لا معقب لحكمه ﴿٢﴾ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٣﴾ أي: فوضت أمري
 إليه وأرجع إليه في كل أمر يهمني ﴿٤﴾ فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٥﴾ أي:
 خالقهما ﴿٦﴾ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٧﴾ أي: جعل لكم بقدرته
 وحكمته أزواجا تسكنون إليهم وتتناسلون جيلا بعد جيل ﴿٨﴾ وَمِنْ
 الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ﴿٩﴾ أي: جعل لكم أزواجا من الأنعام تتناسل لأجل
 منافعكم الدنيوية مما تأكلون من لحومها وتشربون من ألبانها
 ﴿١٠﴾ يَذَرُوكُمْ فِيهِ ﴿١١﴾ أي: جعل لكم من نظام الذكورة والأنوثة مجالا
 كبيرا للتناسل والتكاثر للإنسان والحيوان وغيرهما من المخلوقات
 ﴿١٢﴾ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿١٣﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٤﴾ أي: ليس لخالق
 هذا النظام الإلهي العظيم مثل أو نظير، بل هو المتفرد به وحده
 وهو السميع لخلقه في علانيتهم وسرهم وهو البصير بما يدبرهم
 ﴿١٥﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١٦﴾ أي: له خزائن السموات والأرض
 ﴿١٧﴾ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ﴿١٨﴾ أي: يوسع على من يشاء من عباده في
 الرزق امتحانا له وما إذا كان يشكر ﴿١٩﴾ وَيَقْدِرُ ﴿٢٠﴾ أي: يضيق على من
 يشاء من عباده امتحانا له كذلك، وما إذا كان يصبر ﴿٢١﴾ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ أي: عالم ومحيط بكل ما في الوجود.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ هما الحاكمان لأي خلاف ديني أو دنيوي لقوله تعالى ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(١). ولما كان الكتاب والسنة هما الحاكمين فإن من مقاصدهما قبول ما تتفق عليه الأمة فحجته واضحة كالإجماع في قول رسول الله ﷺ: (إن أمتي لا تجتمع على ضلالة)^(٢). وقوله عليه الصلاة والسلام: (فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن)^(٣). ومن الأحكام: وجوب التوكل على الله في كل أمر لقوله عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٤). ومنها: تقرير فضل الله على خلقه حيث أوجد لهم نظام التزاوج لمنافعهم منه. ومنها: تقرير قاعدة عظيمة هي أن الله ليس كمثله شيء فهو وحده المتفرد بصفات الكمال والعظمة، له خزائن السموات والأرض كبيرها وصغيرها وظاهرها وباطنها فتقدست أسماؤه وصفاته.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ

(١) سورة النساء من الآية ٥٩ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن، باب السواد الأعظم برقم (٢٩٥٠)، سنن ابن ماجة، ج ٢ ص ١٢٠٣، قال الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح ج ١ ص ٦١: «صحيح» برقم (١٧٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج ١ ص ٣٧٩ .

(٤) سورة الطلاق من الآية ٣ .

عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيَا بَيْنَهُمْ
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾

بيان الآيتين:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾
المخاطب رسول الله وأمته، والمراد أنه شرع لهم ما وصَّى به نوحا؛ لأنه
أول الرسل بعد آدم وهو ما أوحى الله به إلى نبيه ورسوله محمد ﷺ
﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ أي: هو أيضا ما وصينا به
هؤلاء الرسل المعروفين بأولي العزم فالدين المراد هنا هو دين الإسلام
وأصله عبادة الله وحده لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في
أسمائه أو صفاته، وقد امتن الله به على عباده ليخرجهم به من الظلمات
إلى النور وينقذهم به من الضلالة لتكون لهم الحسنى والسعادة في
الدارين والأنبياء وإن اختلفوا في أزمنتهم وأمكنتهم وشرائعهم فدين
الإسلام يجمعهم؛ لأنهم كما قال رسول الله ﷺ: (الأنبياء إخوة لعلات
أمهاتهم شتى ودينهم واحد)^(١). ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾
هذا أمر من الله للأنبياء أن يقيموا شعائر هذا الدين ويأمروا أقوامهم

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرُوا فِي الْكِتَابِ مَرْمِ إِذْ أَنْبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾
برقم (٣٤٤٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٥٥٠.

به ويدعوهم إليه والا يتفرقوا فيه؛ لأنه دين يجمع الناس على طاعة الله وينهاهم عن الشرك به رافة ورحمة بهم من عذابه ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: صعب عليهم ما تدعوهم إليه من عبادة الله وطاعته وذلك بسبب قسوة قلوبهم.

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ أي: يختار من يشاء للإيمان به ويهدي لهذا الإيمان من يرجع إليه يطلب هدايته وتوفيقه؛ لأن الهداية والتوفيق لا تكون إلا لمن تعلق قلبه بالله فيوفقه لهذه الهداية.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي: ما تفرق المشركون وزاغوا عن الحق إلا من بعد ما جاءتهم البينات والبراهين وما حملهم على ذلك إلا البغي والطغيان ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لولا أن حكمة الله اقتضت أن يؤجل العذاب إلى أجله المسمى يوم القيامة لعجل لهم العقوبة في الدنيا ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ قد يكون المراد اليهود الذين خلفوا سلفهم الأولين فشكوا في التوراة والإنجيل وفي القرآن.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن دين الله واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما

قال عزوجل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(١). ومن الأحكام: تحريم الاختلاف في الدين؛ لما يؤدي إليه من الفساد والضياع، ولهذا أكد الله على وحدة هذه الأمة بقوله ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٢). كما نهاها عن الفرقة بقوله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣). ومنها: أن سبب التفرق والاختلاف هو البغي والطغيان والبعد عن الله، والإعراض عن ذكره، فهذا كله مما يؤدي إلى قسوة القلوب وضعف النفوس وسوء الخلق .

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(١٥).

بيان الآية:

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ أي: ادع إلى هذا الدين الذي وصينا به جميع المرسلين من قبلك وأوحينا إليك به وهو عبادة الله وحده لا إله إلا هو

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٢ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٥ .

لا شريك له ﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي: استقم أنت ومن آمن بك على ما أمرك الله به من عبادته وتوحيده ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: لا تتبع أهواء المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ولا تلتفت إلى ما يقولونه فأنت على الحق المبين ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ أي: قل لهم إني مؤمن ومصدق بما أنزل الله من الكتب على الأنبياء من قبلي ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: سوف أحكم بينكم بالعدل فيما تحتكمون فيه ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي: نؤمن بأنه ربنا وخالقنا، ونحن نعبده حق عبادته ونطيعه حق طاعته ولا نشرك معه أحدا في عبادته، فإن آمنتم فنفع إيمانكم يعود عليكم، وإن توليتم فالله غني عنكم، أنتم الأخسرون يوم القيامة ﴿لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ أي: لنا جزاء أعمالنا التي نعملها ولكم جزاء أعمالكم التي تعملونها وسوف يجزي الله كلا منا حسب عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: لن يكون بيننا وبينكم أيها المشركون وأهل الكتاب جدال أو خصومة فالدين واضح لا لبس فيه ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ أي: سوف يجمع الله بيننا وبينكم يوم القيامة ويحكم بيننا بالعدل فيحكم لأهل الحق بالسعادة ويحكم لأهل الباطل بالشقاوة ﴿وَالِيهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: إليه المرجع والمآب .

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية أمر الله رسوله بثمانية أوامر هي: أولاً الدعوة إلى دين الله، وقد قام عليه الصلاة والسلام بالدعوة خير قيام إلى أن لحق بالرفيق الأعلى، وقد أشهد الله وأشهد من كان معه يوم النحر أنه قام بهذه الدعوة وبلغها بقوله: (اللهم هل بلغت؟ اللهم أشهد) قالها ثلاثاً^(١). وبوفاته عليه الصلاة والسلام انتقل واجب الدعوة كله إلى أمته، فإن قامت بما يجب عليها وإلا أثمت. ثانياً: الاستقامة على الدين الذي أمر الله به. وقد فعل عليه الصلاة والسلام فعبد الله حق عبادته وجاهد في الله حق جهاده. ثالثاً: عدم اتباع أهواء المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقد فعل عليه الصلاة والسلام ما أمره به ربه فقال: (يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركت الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه)^(٢). رابعاً: الإيمان بالكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين، وهذا الإيمان جزء من دين الإسلام الذي أرسل الله به رسوله كما قال تعالى ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، برقم (١٧٣٩، ١٧٤٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٦٧٠.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٣٢٦، وابن إسحاق في السيرة النبوية ج ١ ص ٢٢٤.

(٣) سورة البقرة الآية ١٣٦.

خامسا: العدل بين الناس وكان رسول الله ﷺ أعدل الناس وأنصفهم من نفسه ولما قال له رجل: يا محمد أعدل قال: (ويك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل. لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل) فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق فقال: (معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية)^(١). سادسا: إبلاغ المشركين وأهل الكتاب بإقراره بربوبية الله اختيارا وطوعا وأنه لا إله إلا هو. سابعا: التبرؤ من عمل المشركين بقوله ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ ثامنا: انتفاء الخصومة والجدل مع المشركين وأهل الكتاب؛ وذلك لأن الدين واضح ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾. وفي هذه الآية تقرير الاجتماع يوم القيامة للفصل لقوله تعالى ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾. وفيها تقرير أن المصير إلى الله.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، جُحَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٦)

بيان الآية:

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ المراد بهم

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، برقم (١٠٥٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٥ ص ٢٨٩٠.

المشركون وأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كانوا يجادلون المؤمنين الذين استجابوا لدعوة رسول الله ويقولون لهم: ديننا أفضل من دينكم، وذلك ابتغاء صدهم عن دين الله، وقد وصف الله حجتهم بأنها باطلة بقوله ﴿مُجْتَنِّمٌ دَاخِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ثم توعدهم بقوله ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: عليهم غضب من الله ونقمة ولهم عذاب أليم بما كانوا يفعلون.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية وجوب ترك الخصام مع أهل الكتاب ومن على شاكلتهم إذا كان لا يؤدي إلى اقتناعهم بدين الإسلام أما إذا كان الجدل المبني على الموعظة الحسنة يؤدي إلى إقناعهم فيكون من باب الدعوة إلى الله لقوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ إِلَّا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨).

بيان الآيتين:

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ أي: أنزل القرآن

(١) سورة العنكبوت من الآية ٤٦ .

على نبيه ورسوله ليكون رحمة لأمته فيسود العدل بينهم ويحق الحق بينهم ويبطل الباطل الذي يتربص بهم فيكون المرجع في حكمهم كتاب الله وسنة رسوله ﴿وَمَا يَذِّرُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ أي: ما يدريك يا محمد أن الساعة تقترب من موعدها ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ أي: لا يصدقون بها ويتساءلون في استهزاء وتكذيب عن موعد قيامها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ أي: خائفون من قيامها؛ لأنهم يعلمون ما في ذلك اليوم من الأهوال والحساب والجزاء، فهم رغم إيمانهم وتعلقهم بحبة الله يخشون من عدم قبول أعمالهم، فهم مع رجائهم في ربهم يخشون عقابه ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يَمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي: إن الذين يجادلون في قيامها ويشكون فيه لفي ضلال وسفاهة؛ لأنهم لو كانوا يعقلون لعلموا أن الذي خلق الخلق وأماتهم قادر على إحيائهم وعودتهم إليه ليحاسبهم على أعمالهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم: بأن الله أنزل القرآن حتى يسود العدل بين الناس ويحق الحق بينهم وينتفي الباطل عنهم كما قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١). ومن الأحكام: تقرير قرب الساعة في الأجل الذي حدده

(١) سورة الحديد من الآية ٢٥ .

الله ولا يعلمه إلا هو. ومنها: أن المؤمنين يخشون قيامها؛ لأنهم لا يدرون عن مآلهم رغم قوة رجائهم في الله وتعلقهم بمحبته ووعدده لهم بالمغفرة؛ أما الذين لا يؤمنون بها لجهلهم وضلالهم فسيحل بهم غضب الله ونقمته.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (١٩)
 مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ
 الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾

بيان الآيتين:

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ هذا بيان من الله أنه لطيف رحيم بعباده يتساوى في ذلك برهم وفاجرهم؛ ذلك أنه عز وجل لا يؤاخذهم في الحال بما كسبت أيديهم، بل ينتظرهم لعلمهم يتوبون ويرجعون إليه فيتوب عليهم أو يجازيهم يوم القيامة بعد قيام الحجة عليهم ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيق على من يشاء منهم؛ وهذا لا يدل على الرضا عن هذا أو السخط على ذاك، وإنما هي حكمة الله وهو أعلم بعباده ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ أي: أنه في حكمته وإرادته وتصرفه قوي بعظمته عزيز في ملكوته ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أي: من كان همه الآخرة والعمل لها والشوق إلى لقاء الله يعينه الله ويوفقه لزيادة حسناته

ويضاعف الله له هذه الحسنات الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ أي: من كانت الدنيا همه وغايته ولا هم ولا غاية له في الآخرة يعطيه الله من الدنيا ما كتب له، وليس له في الآخرة من حظ؛ بسبب عدم عمله لها.

أحكام ومسائل الآيتين:

من الأحكام: أن الله لطيف بعباده يرزق برهم وفاجرهم، وهذا من عظمته ورحمته بخلقه رغم أن منهم من يكفر به ويكذب رسالته، لكن حكمته اقتضت أن يمهل العاصي من عباده لعله يتوب ويرجع إليه. ومنها: الحكم بأن الجزاء من جنس العمل، فمن يعمل للآخرة يزيده الله في عمله فيضاعف له الحسنات ومن كان يريد الدنيا يؤتته الله ما قدره له منها ويخسر حظه في الآخرة.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢١) ترى الظالمين مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٢﴾

بيان الآيات:

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ
اللَّهُ﴾ هذا استفهام إنكاري وتوبيخ وتقريع لكفار قريش لأنهم اتبعوا
ما شرعته لهم الشياطين من أحكام لم يأذن بها الله فحرموا عليهم
الحلال وأحلوا لهم الحرام ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِلَ بَيْنَهُمْ﴾
أي: لولا أن حكمة الله قد اقتضت بتأجيل العقوبة لهم إلى يوم القيامة
لحل بهم العذاب والهلاك ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
أي: لهم عذاب شديد يوم القيامة ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا
كَسَبُوا﴾ أي: ترى المشركين وسائر الظلمة خائفين يوم القيامة
من العذاب؛ بسبب سوء أعمالهم في الدنيا ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ أي:
هذا العذاب واقع بهم لا محالة.

لما بين الله سوء عاقبة الظلمة وحالهم يوم القيامة قال ﴿وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ المراد بهم الذين آمنوا بالله حقاً وصدقاً، واستقاموا على
إيمانهم، فكانت الآخرة غاية مطلبهم فعملوا الأعمال الصالحة، فهؤلاء
لهم كامل المتع في الجنة، لهم فيها ما يشاؤون ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ

الْكَبِيرُ ﴿١﴾ أي: هذا هو الفوز الذي أنعم الله به عليهم رحمة منه، وجزاء على أعمالهم الصالحة.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
 أي: هذا الذي ذكر الله للمؤمنين من النعيم في الجنة هو الذي يبشر به عباده الصالحين حيث تبشرهم الملائكة عند قبض أرواحهم ويوم بعثهم ويوم عرضهم ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾
 أي: قل يا نبينا محمداً للمشركين إني لا أسألكم أجرا على إبلاغي لكم رسالة الله، وإنما هو النصيح لكم بحكم القرابة بيني وبينكم فلا تؤذوني ولا تؤذوا أصحابي واطركوني وشأني في إبلاغ ما أمرني الله بإبلاغه للناس ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾
 أي: من يكسب حسنة نزد له حسنا أي: نضاعفه له ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾
 أي: يغفر الكثير من الخطايا والذنوب ويشكر الصالحين من عباده.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تحريم كل حكم أو شرع لم يشرعه الله، وهذا يقتضي أن كل القواعد والقوانين التي تخالف شرع الله تعد محرمة وباطلة، ولا حجة لمن يقول إن الناس قد رضوا بهذه القواعد والقوانين؛ ذلك أن الناس لا يشرعون لأنفسهم، وإنما الذي شرع لهم هو الله وهذا

التشريع واضح في كتابه وفي سنة رسوله محمد ﷺ فمن منع حجاب المرأة مثلاً فقد خالف شرع الله، ومن أبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد خالف شرع الله، وفي مخالفة شرعه محاربة له. وفيها: تقرير خوف الظلمة يوم القيامة من عاقبة أعمالهم في الدنيا؛ لما يروونه من العذاب الذي يحيط بهم. وفيها: تقرير حق القرابة إذ إن قرابة المرء أحق ببره في غير معصية الله وفي هذا قال الله تعالى ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(١). وفيها: تقرير مضاعفة الحسنات كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَبَدَّلَ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَالْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٣)

بيان الآية:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: يقول المشركون إن محمداً افترى على الله الكذب فادعى أن القرآن من عنده، بينما هو من اختلافه ﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ بهذا يخاطب الله رسوله محمداً ﷺ قائلاً: إن قومك اتهموك بالكذب فلا تلتفت إلى قولهم،

(١) سورة الإسراء من الآية ٢٦ .

(٢) سورة النساء الآية ٤٠ .

فنحن نعرف كذبهم وأباطيلهم، ولو كنت كما قالوا لطبعنا على قلبك
 فما استطعت أن تنسب إلينا كلاما لم نقله ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾^(١)
 هذا كلام مبتدأ والمراد أن الله في كل الأحوال يزيل الباطل ويدحضه،
 وقد أبطل عمل المشركين وعبادتهم للأصنام كما بيّنه بقوله ﴿وَقُلْ
 جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٢). ﴿وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ
 بِكَلِمَتِهِ﴾ وكما أبطل الله عمل المشركين فإنه يحق الحق بكلماته
 التي أنزلها في القرآن، وقد تحقق كل ذلك لرسول الله ﷺ فكسر
 الأصنام فكان كلما كسر صنما قال ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ
 إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ولما زهق الباطل انتشر الحق في جزيرة العرب
 وما جاورها ثم امتد إلى سائر بلاد العالم فقرّت عين رسول الله ﷺ
 في حياته ومماته ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: يعلم بواطن
 وخفايا خلقه وما ينفعهم وما يضرهم وفي كتابه الكريم بين لهم
 الباطل وأوجب عليهم اجتنابه وبين لهم الحق وأمرهم باتباعه.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الله قد برأ رسوله من الكذب، وأن القرآن الذي بلغه
 هو كلام الله المنزل من اللوح المحفوظ، فلم يتقوله بل نقله وبلغه كما
 أنزل عليه كما قال تعالى ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾^(٢). ﴿لَاخَذْنَا

(١) سورة الإسراء الآية ٨١ .

(٢) سورة الحاقة الآية ٤٤ .

مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿١﴾. ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ﴿٢﴾. ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ ﴿٣﴾. ومن الأحكام: أن الله بنزول القرآن أبطل الباطل في كل صوره من عبادة الأوثان أو الظلم والطغيان، وأحقَّ الحق أي: بين للعباد ما يجب عليهم من عبادة الله وحده.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿٢٦﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ أي: يتقبل توبتهم ويفرح بها إذا تابوا وأنابوا إليه، وهذا من فضله وامتنانه عليهم ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: يتجاوز عنها ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: يعلم جميع سلوك عباده من قول أو فعل ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: يستجيب دعاءهم وابتهالهم إليه ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ﴾ أي: وزيادة على قبول دعائهم يزيدهم من كرمه وفضله ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: ليس للكافرين إلا الندامة والخسران والعذاب الأليم.

(١) سورة الحاقة الآية ٤٥.

(٢) سورة الحاقة الآية ٤٦.

(٣) سورة الحاقة الآية ٤٧.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب توبة العباد من ذنوبهم وخطيئاتهم وجوب عين على كل من ارتكب إثماً أو عمل سوءاً. وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من الفرح: اللهم أنت عبيدي، وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح)^(١).

ومن الأحكام: وعد الله - ووعد الحق - أنه يستجيب لعباده دعاءهم ويزيدهم عليه.

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾^(٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ^(٢٨) ﴿

بيان الآيتين:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: لو وسع عليهم في رزقهم أكثر مما يحتاجون إليه لطعامهم وشرابهم وحاجاتهم لأدى ذلك بهم إلى الطغيان، ولعلا بعضهم على بعض في الأرض ﴿ وَلَكِنْ ﴾

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب في الحز على التوبة والفرح بها، برقم (٢٧٤٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٨٥٧.

يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٦﴾ أي: يعطيهم من الرزق ما ينفعهم، ولا يؤدي إلى بغيهم وذلك لحكمته، فهو الخبير بخلقه، البصير بتصرفاتهم ونواياهم ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ ﴿٧﴾ أي: ينزل المطر على عباده بعدما يصابهم اليأس والضر ويرى حاجتهم وإنعامهم إليه ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ ﴿٨﴾ أي: وينزل المطر تنتشر رحمته على عباده فيشربوا بعد ظمأهم وتحيا أرضهم بعد موتها فيرون حينئذ أنه لا ملجأ لهم ولا منقذ لهم ولا منعم عليهم إلا هو ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿٩﴾ أي: هو المتولي لأمر عباده وقضاء حوائجهم وهو المحمود على تدبيره وتصرفه فيهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير حكمة الله في تصريف الأرزاق بين عباده وتقديرها منعا لما يحصل منهم من البغي على بعضهم في حال بسط الرزق لهم كما قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ ﴿١﴾. ﴿أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى﴾ ﴿٢﴾. ومن الأحكام: تقرير حقيقة كونية هي أن الناس بدون المطر لا يقدرّون على العيش في حياتهم، ذلك أن الماء مصدر قوتهم بل مصدر استمرارهم على الأرض، فأينما وجد الماء وجدت الحياة وأينما فقد الماء فقدت الحياة كما قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ

(١) سورة العلق الآية ٦.

(٢) سورة العلق الآية ٧.

كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴿١﴾. فإذا امتنع نزوله عليهم قنطوا وسئموا من حياتهم، وحينئذ يرحمهم الله فينزل عليهم المطر فتنشر رحمته عليهم بنزوله.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۝﴾

بيان الآية:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أي: من آياته الدالة على عظمته وقدرته ﴿خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ابداعهما وتكوينهما بما لا يقدر عليه إلا هو ﴿وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ أي: ومن آياته العظيمة ما وضعه فيهما من المخلوقات من الملائكة والإنس والجن والحيوانات والطيور وكل المخلوقات المتباينة في أشكالها ولغاتها وأجناسها ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر إذا شاء على أن يجمع كل هذه المخلوقات يوم القيامة في صعيد واحد، لا يعزب عنه شيء من أحوالهم، فلا تشتبه عليه لغاتهم ولا تلتبس عليه أقوالهم، بل هو القادر على كل ما يريد.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن من آيات الله الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه خلق السماء والأرض، ونشر الدواب فيها من الملائكة والإنس والجن

وغيرهم من العوالم الظاهرة والباطنة، وكل هذا بحكمته وإرادته، فما خلق الحشرة الصغيرة إلا لحكمة، وما خلق الكواسر من الحيوان والطير إلا لحكمة، وما خلق النملة إلا لحكمة، فله الثناء على عظيم صنعه وحسن تدبيره في خلقه.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ۖ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۖ ﴿٣١﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: ما يصيبكم من قحط أو بلاء في أنفسكم أو أموالكم أو أولادكم إلا بسبب ذنوبكم وخطيئاتكم، فالله لا يصيب عباده إلا بخير ولكنهم هم الذين يتسببون بمعاصيهم فيما يصيبهم ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي: يعفو عن كثير من السيئات فلا يعاقب عليها ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لستم أيها الناس بمستعصين على قدرة الله، فلو شاء أخذكم أخذ عزيز مقتدر ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: ليس لكم من ملجأ أو ملاذ إلا إليه؛ فهو الذي يظلمكم برحمته وهو الذي يتولاكم بولايته وينصركم بنصره.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأنه ما يصيب الإنسان في نفسه أو ماله أو ولده إلا بسبب ذنوبه لقول الله عز وجل ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١). وهذه ليست حقيقة إلهية فحسب، بل هي حقيقة عقلية؛ ذلك أن من غير المعقول أن يعمل المرء عملاً سيئاً ثم ينتظر جزاء حسناً عليه ولهذا قال أحد السلف: إني لأرى أثر المعصية في نفسي ودابتي^(٢). وهذا يقتضي محاربة الذنوب بالتوبة والاستغفار. ومن الأحكام: أنه لا ملاذ ولا ملجأ لأحد إلا إلى الله، فمن لاذ به ولجأ إليه تولاه؛ لأنه يتولى عباده المؤمنين بولايته وينصرهم بنصره.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٣٢) **إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ**
فَيُظِلِّلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**^(٣٣) **أَوْ**
يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ^(٣٤) **وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا**
لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ^(٣٥)

بيان الآيات:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ أي: ومن آيات الله الدالة على عظمته وقدرته: تذليل البحر وتسخييره بما فيه من الأحوال

(١) سورة الروم الآية ٤١ .

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية ص ٣٥ .

والشدائد لتجري فيه السفن كالجبال ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ أي: إن يشأ يوقف الريح التي تسير السفن ﴿فَيُظِلِّلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ أي: تبقى راكدة على ظهر البحر دون حركة فتتعطل بذلك منافع أهلها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: في قدرة الله وتسيير الريح للسفن دلالة للذي يصبر على الشدائد ومنها: شدائد البحر وأهواله وهو شكور لله في الرخاء، سواء في البحر حين تسير فيه السفن دون عائق، أو شكور لله في كل حال ﴿أَوْ يُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ أي: لو شاء الله لأغرق السفن؛ بسبب الذنوب التي يرتكبها أهلها ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي: يعفو عن الكثير من ذنوب عباده؛ لأنه لو أخذهم بذنوبهم لأهلكهم وأغرقهم في البحر وهذا كقوله تعالى ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ (١). ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ﴾ أي: يعلم بعلمه الواسع أولئك الذين يجادلون في آياته ويكذبون بها وهؤلاء مالهم من مهرب من العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان قدرة الله في تسيير السفن في البحر رغم أهواله وأمواجه سواء كانت هذه السفن تسير بدفع الهواء أو بغيره كما هو

(١) سورة فاطر من الآية ٤٥ .

الحال في السفن التي تسير بالدفع الآلي، إذ إن الله سخر البحر لتجري عليه السفن كبيرة كانت أم صغيرة أم كانت تسير وفق أي: نظام، فلولا قدرته ومشيبته لما استطاعت هذه السفن أن تجتاز البحار والمحيطات بسلام وأمان. وفيها: الحث على الصبر في الشدائد والنوائب والشكر لله عز وجل في كل الأحوال. وفيها: تحريم الجدل في آيات الله بما يحرفها عن حقائقها ومقاصدها.

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣٦) ﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (٣٧) ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣٨) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (٣٩).

بيان الآيات:

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ أي: أن ما تُؤْتونه في هذه الحياة من مال وولد وجاه ماهو إلا متاع من متاع الحياة الدنيا، وهو متاع زائل لا محالة ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي: ما تعملونه للحياة الأخرى من الأعمال الصالحة هو الذي فيه لكم خير وأبقى لكم يوم تعرضون على الله ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ما عند الله خير وأبقى للمؤمنين الذين عملوا الصالحات فلم تلهم متع الحياة الدنيا عن الإيمان ﴿وَعَلَىٰ

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٣٢﴾ أي: هذا الخير هو أيضا للذين يتوكلون على ربهم في السراء والضراء، فلا ينظرون إلا إليه، ولا يعتمدون إلا عليه.

﴿وَالَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ ﴿١٣٣﴾ أي: ومن هؤلاء المؤمنين الذين أعد لهم الخير في الآخرة الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش كالزنا والخمر وسائر المحرمات ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ ﴿١٣٤﴾ أي: يصفحون ويعفون عن سيئ إليهم ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ ﴿١٣٥﴾ أي: اتبعوا ما أمرهم به وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ ﴿١٣٦﴾ أي: أدّوها حسب أركانها وشروطها ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ ﴿١٣٧﴾ أي: أن من سجيتهم التشاور بينهم في أمورهم، فلا ينفرد أحد منهم برأيه أو يتصرف حسب إرادته، بل هم شركاء في المشورة وفي التعاون بالرأي ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ أي: يؤدون زكاة أموالهم ويبدلون الصدقات لأقاربهم وللفقراء من المسلمين.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ﴿١٣٩﴾ أي: يتعاونون في رد الظلم والطغيان إذا تعرضوا له، فهم وإن كانوا يعفون ويصفحون عن سيئ إليهم؛ إلا أنهم أقوياء في الحق ورد الظلم والانتقام ممن يتعرض لدينهم أو بلادهم أو أعراضهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الحياة الدنيا مجرد متع زائلة، وأن

الحياة الأخرى هي الأصل؛ لأنها المقام الدائم، وفيها: تقرير الخير الذي أعده الله للمؤمنين، وتقرير الصفات التي يجب أن يتمتع بها المؤمنون وهي الإيمان بالله عز وجل، والتوكل عليه واجتناب الإثم والفواحش والعفو والصفح عن الإساءة، والاستجابة لأوامر الله والانتهاز عن نواهيه وإقامة الصلاة والتشاور في صلاح الأمة وبذل الإحسان لأفرادها ورد الظلم الذي تتعرض له في دينها أو مقدساتها أو أرضها أو أعراضها.

قلت: فهذه الصفات التي وصف الله بها المؤمنين هي التي كان عليها سلف الأمة وكان من نتائج اتصافهم وتمسكهم بها أن فتح الله لهم البلاد وأورثهم الأرض وجعل لهم السيادة فيها. وما كان الله ليصيب الأمة وتكالب عليها الأمم إلا إذا أعرضت عن أوامر الله وانتهكت حرماته، وقعدت عن الدعوة إليه واستكانت لأعدائها ومالاتهم فيما يدعون إليه.

﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَ سَيِّئَةٍ مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا﴾ لما كانت الحسنة تجزى بمثلها وأكثر منها، فإن السيئة تجزى بالسيئة فمن ظلم استحق جزاء ظلمه، ومن بغى استحق جزاء بغيه وهكذا يقوم العدل بين الناس وتنتظم أمورهم في حياتهم، هذا في حال الإساءة إلى الأمة. أما إذا أساء الفرد إلى آخر مثله فله الحق أن يقتص من المسيء إليه أو يعفو عنه وله في ذلك الأجر من الله كما قال عز وجل ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ قوله ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: ييغض المعتدين ويمقتهم ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: من انتصر لنفسه بعد ظلمه فلا جناح عليه؛ لأنه يقتص ممن ظلمه، وهذا هو ميزان العدل الذي وضعه الله ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: إنما الإثم على الذين يبدؤون بالعدوان على الناس فيظلمونهم في أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم أو أولادهم دون وجه حق ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: هؤلاء لهم عذاب شديد ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ أي: صبر على ما يناله من أذى الناس وغفر لهم أذاهم ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: من الأمور الحميدة التي حث الله عليها.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بمشروعية القصاص من المعتدي لقوله عز وجل ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾^(١). وقوله ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾^(٢). وفيها: استحباب العفو عن الإساءة، ولكن هذا لا ينبغي أن يعطل المصالح العليا ومن ذلك على سبيل المثال: التخلي عن القصاص الذي كتبه الله بقوله عز ذكره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾^(٣). وقوله ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤). وما شرع الله هذا الشرع إلا وهو يعلم بحكمته أن ذلك يدرأ القتل، ويمنع المجرمين والقتلة من التعرض لحياة غيرهم، فالقاتل الذي تعمد قتل نفس بريئة إذا عرف أنه سيقبض منه بمثل فعله سوف يتوقف عن القتل، فإن عرف أنه سيدفع دية أو يغفر له ولي المقتول فعلته كان ذلك دافعا له ولغيره لاستمرار القتل، ولا يعني هذا حجب حق الولي في أخذ الدية أو العفو عن القاتل يبتغي بذلك الأجر من الله، بل المراد عدم التأثير على أولياء المقتول لدفعهم للعفو أو اخذ الدية مالم يكن ذلك بإرادتهم الحرة فيكون ذلك استثناء من الأصل وهو

(١) سورة البقرة من الآية ١٩٤.

(٢) سورة النحل من الآية ١٢٦.

(٣) سورة البقرة من الآية ١٧٨.

(٤) سورة البقرة الآية ١٧٩.

القصاص. أما إذا تحول الأمر إلى العموم فهذا مما ينافي حكم الله وحكمته في القصاص.

ومن الأحكام: أنه ليس على المظلوم إثم إذا اقتصر ممن اعتدى عليه، وهذا وفق القواعد التي بينتها أحكام الشريعة، فمن تعرض للاعتداء وليس له من حاكم يرد عنه الاعتداء حَقَّ له رد الاعتداء والقصاص من المعتدي، ومن كان له حاكم يردع الاعتداء عنه وجب ترك الأمر له، وهكذا مما هو مبين في الشريعة. ومنها: وجوب رد الظلمة ومعاقبتهم حسب طبيعة جرائمهم. ومنها: أن في الصبر على الإساءة أجراً عظيماً ولكن كما ذكر لا يكون في ذلك تفريط للأحكام التي شرعها الله بحكمته وإرادته وهي رد الظلم.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُوا هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ۚ﴾ (٤٤) وَتَرَبَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۚ﴾ (٤٥) وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُصْرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ۚ﴾ أي: إن من يضلّه

الله بسبب سوء عمله فلا يهديه أحد ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا
 الْعَذَابَ﴾ أي: ترى الظالمين حينما يشاهدون هول العذاب يوم
 القيامة ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَيْنَا مَرَدٌّ مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: يتمنون الرجوع
 إلى الدنيا؛ لكي يتوبوا وهذا مستحيل عليهم إذ إنه لا رجعة إلى الدنيا
 بعد الموت ﴿وَتَرَنَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: يعرضون على النار
 ﴿خَشَعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ﴾ أي: اعتراهم الذل والصغار؛ بسبب ندمهم
 وحسرتهم على تفريطهم في الدنيا ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي:
 يسارقون النظر إلى النار وهم في خوف وقشعريرة منها ﴿وَقَالَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا﴾ أي: يقول المؤمنون يوم القيامة ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: إن أعظم الخاسرين
 هم الذين أخذوا للعذاب فخسروا أنفسهم بما يصيبهم منه وخسروا
 أهليهم وأصحابهم ومعارفهم حين افترقوا عنهم فأصبحوا وحيدين في
 العذاب ليس لهم من ولي يتولاهم، ولا من ناصر ينصرهم.

﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ أي: أنهم في عذاب دائم لا
 يزول ولا يحول ولا يتغير ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ
 دُونِ اللَّهِ﴾ أي: ليس لهم شفعاء أو مناصرون ينقذونهم من العذاب
 ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي: أن من أضله الله بسبب كفره
 فما له من منقذ ينقذه من العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن من يضلّه الله؛ بسبب كفره لن يقدر أحد على توليه كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحْدِلَهُ، وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾^(١). وفيها: الإشارة إلى حسرة الظلمة وندامتهم يوم القيامة وتساءلهم عما إذا كان لهم عودة إلى الدنيا للتوبة كما قال عز وجل ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢). ﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣). وفيها: أن أعظم الخسران يوم القيامة هو من خسر نفسه فأخذ للعذاب وفقد أهله وأصحابه ومعارفه يوم القيامة.

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾^(٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ^(٤٨).

(١) سورة الكهف من الآية ١٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٧ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٢٨ .

بيان الآيتين:

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾

لما ذكر عز وجل الذين يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة؛ بسبب ذنوبهم وعدم توبتهم منها أمر عباده أن يستجيبوا لنداء ربهم، وذلك بطاعته وتوحيده وترك معاصيه من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لن يرده راد، ولا يمنعه مانع، وليس بعده رجوع إلى الدنيا

﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ أي: ليس لكم في

هذا اليوم -يوم القيامة- ملجأ تلجؤون إليه ولن يكون بإمكانكم إنكار ذنوبكم فيه لأنها محصاة عليكم في صحائف أعمالكم ﴿فَإِنْ

أَعْرَضُوا﴾ أي: تولوا فلم يستجيبوا لعبادة الله وتوحيده والبراءة

من الشرك به ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ أي: لم ترسل إليهم

لتكون وكيلاً عليهم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ أي: عليك أن تبلغهم

ما أرسلت به وحسابهم على الله، ثم بين عز وجل سلوك الإنسان وفرحه في السراء وكفره في الضراء، مع أنه لا تصيبه مصيبة إلا

بسبب ذنوبه فقال ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ

بَهَا﴾ أي: إذا حصل له نعمة سر بها وفرح ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيَأْتِي

بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: أن تصيب الناس مصيبة بسبب ذنوبهم

﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ أي: أن الواحد منهم يكفر ويجحد ما سبق

له من النعم فلا يذكر إلا ما هو فيه وهذا من أسوأ الطباع.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الاستجابة لأمر الله، وذلك بطاعته وتوحيده والبراءة من عبادة غيره؛ لأن يوم القيامة إذا جاء لن يرده راد ولن يمنعه مانع. ومن الأحكام: أنه لا ملجأ للعباد يوم القيامة إلا إلى الله، ولن يستطيع أحد منهم أن ينكر ذنوبه؛ لأنها مدونة في صحائف عمله بعد أن كتبتها الملائكة الحفظة. ومنها: تقرير رسالة رسول الله ﷺ وهي إبلاغ الخلق ما أوحى الله به إليه كما قال عز وجل ﴿إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾. وليس من رسالته أن يكون وكيلا عليهم كما قال عز وجل ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(١). ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٢). ومنها: تقرير أن من سلوك الإنسان الذي لم ينشر صدره بالإيمان الفرح بما يصيبه من حسنات، والكفر حين تصيبه سيئات حدثت له بسبب ذنوبه.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۖ ٤١ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

(١) سورة الغاشية الآية ٢١.

(٢) سورة الغاشية الآية ٢٢.

بيان الآيتين:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه مالك السموات والأرض ومبدعهما والمدبر والمتصرف فيهما، فكل من فيهما عبيده وتحت ملكه وتصرفه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يخلق من الخلق ما يشاء من الإنس والجن وغيرهم من المخلوقات الأخرى ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا﴾ أي: يرزق من يشاء البنات فقط ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ أي: يرزق من يشاء البنين فقط ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا﴾ أي: يعطي من يشاء من عباده البنين والبنات معا ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ أي: لا يولد له بنات ولا بنون وكل هذا بحكمته وإرادته وعلمه بما ينفع هذا أو يضر ذاك فقد تكون البنات خيرا لوالديهن من البنين. وقد يكون الأمر بالعكس ولهذا قال عز وجل ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾^(١). وقد يكون العقم خيرا للإنسان رغم أنه لا يرى فيه خيرا له ولكنها حكمة الله فهو الحكيم العليم بأحوال خلقه، وهو الغالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿إِنَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ﴾ أي: عليم بمن يكون له البنات ومن يكون له البنون ومن لا يولد له، وهو قدير على ما يريد.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله هو المتصرف في عباده المدبر لهم والعالم بما

(١) سورة النساء من الآية ١١ .

ينفعهم وما يضرهم. والحكم بأن العقم قد يكون حالة دائمة، وقد يكون حالة طارئة، ومن المشروع علاج العقم فقد يكون نوعا من المرض الطارئ، ويتم تشخيصه بالطب فإن كان دائما فما على صاحبه إلا الصبر على ذلك، وإن كان طارئا جاز علاجه؛ لأنه من باب التداوي المشروع.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ۝٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ۝٥٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ هذه الآية رد على ما سبق أن قاله المشركون لرسول الله ﷺ ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ (١). فبين عز وجل أنه لا يكلم إلا الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم لإبلاغ رسالاته إلى خلقه وهذا الكلام إما عن طريق إلقاء الوحي في روع الرسول وهذا ليس فيه شك أنه من عند الله كما

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)^(١). ﴿أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ أي: أن يكون الكلام من وراء حاجز كما فعل مع نبيه موسى عليه السلام؛ فقد سأل رؤية الله فمنع منها ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يوحى بأذن الله ما أراده فيكون الرسول مبلغا وهذا ما كان يقوم به الملائكة حيث يرسلهم الله إلى رسله ومنهم جبريل الذي كان ينزل على رسول الله ﷺ فيأتيه أحيانا في صورة رجل ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ أي: علي في ملكوته، حكيم بما يدبره لخلقه.

﴿وكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد: لقد أوحينا إليك القرآن روحا من عندنا وسمّاه ﴿رُوحًا﴾ لأن فيه حياة القلوب ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: قبل أن ينزل عليك هذا القرآن ما كنت تدري عن الكتب السابقة ولا كنت تدري ما هو الإيمان على التفصيل ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي: جعلنا القرآن نورا وضياء نهدي به من نشاء من عبادنا ممن انشرفت صدورهم بالإيمان ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: إنك يا نبينا محمداً لتهدي إلى

(١) أخرجه الشهاب في مسنده ص ١١٥١-١١٥٢، والبلغوي في شرح السنة ج ١٤ ص ٣٠٤، والألباني في كتاب مشكلة الفقر، ص ١٩، برقم (١٥)، وقال «صحيح».

الصراط المستقيم الذي رسمه الله وبَيَّنَّه لك في القرآن وهو في الإجمال دين الإسلام الذي لا دين غيره، ثم فسر عز وجل الصراط المستقيم بقوله عز ذكره ﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾ أي: أحكامه وشرعه ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: له ما فيهما من الملائكة والإنس والجن وكل ما فيهما مما لا يعلمه إلا هو ﴿الَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ أي: ترجع أمور الخلق إليه فيحكم فيها فيوفي كلا حقه بالعدل والميزان.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات تقرير وسائل الوحي الإلهي إلى رسل الله وهي إلقاء وحي الله في قلب الموحى إليه، أو يكون هذا الوحي كلاماً من الله عز وجل للموحى إليه من وراء حجاب كما كلم الله موسى وكلم محمداً ﷺ حين عرج به إلى السماء، أو يكون الوحي عن طريق أحد الملائكة فيرسله الله في صورة رجل فيبلغ الموحى إليه كلام الله الذي أمره بإبلاغه إليه دون زيادة أو نقص. وفيها أن القرآن روح من أمر الله تحيا به قلوب المؤمنين وتستضيء به كما قال عز وجل ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ﴾^(١).

(١) سورة فصلت من الآية ٤٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الزخرف

مكية وآياتها تسع وثمانون آية

﴿حَمَّ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣﴾ وَإِنَّا فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلُّ
حَكِيمٌ ٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا
مُّسْرِفِينَ ٥﴾

بيان الآيات:

﴿حَمَّ﴾ هذه الآية من الحروف المقطعة والله أعلم بمراده منها
﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ المراد به القرآن ومن صفاته أنه مبين جلي في
الفاظه ومعانيه ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: أنزلناه بلغة العرب
ولسانهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: لعلكم تفهمونه لفظا ومعنى
لأنه واضح بلغتكم ﴿وَإِنَّا فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلُّ حَكِيمٌ﴾
أي: إنه مدون عندنا في اللوح المحفوظ وهو علي في مكانه، ومحكم في
آياته وأحكامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿أَفَنَضْرِبُ
عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ أي: هل
نترككم فلا ننزل عليكم القرآن بسبب إسرافكم وإعراضكم، فهذا

ليس من حكمتنا وإنما ننزل عليكم القرآن لعلكم تهتدون به، فإن لم تهتدوا قامت عليكم الحجة واستحققت العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضل القرآن وشرفه وعلو قدره وفضله كما قال عز وجل ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾^(١). ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾^(٢). ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٣). ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤). ومن الأحكام: وجوب عدم اليأس من أهل المعاصي؛ بسبب معاصيهم بل يجب الاستمرار في دعوتهم إلى الله لعلهم يتوبون إليه، فإن تابوا فهذا خير لهم وإن أعرضوا وماتوا على إعراضهم قامت الحجة عليهم فلا يستطيعون أن يقولوا يوم القيامة: ما جاءنا من بشير ولا نذير.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾^٦ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾^٧ ﴿فَاهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾^٨.

بيان الآيات:

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ في هذا تسلية من الله

(١) سورة الواقعة الآية ٧٧.

(٢) سورة الواقعة الآية ٧٨.

(٣) سورة الواقعة الآية ٧٩.

(٤) سورة الواقعة الآية ٨٠.

لرسوله محمد ﷺ بأنه أرسل أنبياء كثيرين إلى الأمم السابقة فكذبوهم واستهزؤوا بهم وأذوهم كما قال عز وجل ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ثم قال ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أي: أهلكنا من تلك الأمم من هو أقوى وأشد بأساً من قومك الذين كذبوك يا نبينا محمداً ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: مضى في سنة الله هلاك المكذبين من تلك الأمم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنه ما من نبي أرسل إلى قومه إلا استهزؤوا به. والحكم بأن من يكذب رسل الله لا بد أن يحيق به العذاب، وهذا يشمل كل من يكذب بآيات الله، سواء كانت الدعوة قد أتته من الرسل أم من غيرهم من الدعاة إلى الله.

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرِ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَّيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ
 الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ لما ذكر الله حال الأمم السابقة وتكذيبها لأنبيائها
 ذكر حال المشركين وأنهم يعترفون بأن الله هو الذي خلق السموات
 والأرض وأنه العزيز بقوته والعليم بخلقه، ومع ذلك يعبدون معه غيره
 من الأصنام والأوثان، وذلك لجهلهم وسفاهتهم، ثم لما بين عز وجل
 اعترافهم بعظمته وقوته بين أنه الذي بسط الأرض لخلقه وجعلها
 فراشا لهم يسيرون عليها في أمان وثبات بعد أن أرساها بالجبال
 كما قال تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ ﴿وَجَعَلَ
 لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: طرقا تسيرون عليها لكي
 تهتدوا إلى مقاصدكم وانتقالكم من بلد إلى بلد فلعلمكم بذلك تعتبرون
 بما أنعم الله عليكم من هذه المنافع في دنياكم ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ أي: هو الذي ينزل المطر من السماء بالقدر الذي
 تحتاجون إليه فلو زاد هذا القدر لأغرقكم ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾
 أي: أحيينا به الأرض الميتة التي فقدت الماء فتحولت إلى موات لا نفع
 فيها ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي: كما هو قادر على إحياء الأرض بعد
 موتها قادر على بعث الأموات من قبورهم.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ أي: أنه الذي خلق أصناف النبات

من الزروع والأشجار وأصناف الحيوانات لمنافعكم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
الْفُلْكِ﴾ أي: السفن ﴿وَالْأَنْعَمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ أي: سخر لكم ركوب
الأنعام كالإبل والخيول والبغال ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ أي: لتركبوا
على ظهور هذه الأنعام المسخرة لكم وأنتم مطمئنون غير خائفين من
أخطارها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ أي: لتذكروا نعمته وتشكروه
عليها حق شكره ﴿إِذَا أَسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ
لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أي: تذكروا الله وتسبحوه وأنتم
مستمتعون بهذا الركوب على ما سخره لكم من شيء لم تكونوا مقرنين
أي: مطيقين له لولا ما سخره عز وجل لكم ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾
أي: كما نحن سائرون في الدنيا، فإننا سائرون إلى الآخرة بعد بلوغ
آجالنا فنعود إلى الله كما خلقنا أول مرة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المشركين يقرون بربوبية الله كما يقرون
بعظمته وعزته وعلمه بأحوال خلقه ولكنهم يعبدون معه غيره فلا
ينفعهم اقرارهم بهذه الربوبية؛ لأن الإقرار بها يقتضي حكما الإقرار
بألوهية الله المطلقة النافية لأي شراكة لغيره معه. وفيها: تقرير نعم
الله على خلقه من إنزال المطر بالقدر الذي ينفع الخلق ولا يضرهم
وكذا نعمه عليهم بتذليل الأنعام وتسخيرها لهم ركوبا وطعاما إلى

جانب الفوائد الأخرى المتعددة. وفيها: تقرير الزوجية في الأشياء حتى في أصغر الأشياء كينونة. وفيها: وجوب تسمية الله وذكره عند الركوب على الأنعام المخلوقة لركوبها، وعند الركوب في السفن والطائرات وكل وسائل النقل وأن يقول عند انطلاق سيرها ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾؛ ذلك أنه ما من مركب أيا كان نوعه أو صفته يقدر على السير إلا بإرادة الله وقوته وتوفيقه، فلا مُسَيِّر ولا مُقَدِّر ولا حافظ في البر أو البحر أو الجو إلا هو فتقدست أسماؤه وصفاته.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ، مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾
 (١٥) أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
 (١٧) أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨)
 وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَجَعَلُوا لَهُ، مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ ما زال كلام الله مستمرا في

دعوة المشركين إلى توحيده وتعرية أفعالهم ومعتقداتهم حين جعلوا من عباد الله جزءا منه فقالوا: إن الملائكة بنات الله فعبدوهم مع أن الله جل وعلا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وليس له حاجة في ذلك؛ لأن الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه ومملوكون له ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ أي: كفور بنعم الله وآياته وكفره بين في ذلك حين يعبد مع الله غيره أو ينسب إليه الولد مع أنه أي: الإنسان يعرف أن الله هو الخالق وحده، وأنه قد نزه نفسه عن صاحبة والولد؛ لأن من يخلق كل الخلق لا يحتاج عقلا إلى ولد لأن الولد من صفات المخلوق، وليس من صفات الخالق ﴿أَمْ أَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ يَابَسِينَ﴾ أي: ومن عجب سفاهة المشركين وجهلهم، وحماعتهم أنهم نسبوا البنات له؛ لأنهم يكرهونهن كما كانوا يقتلونهن وينسبون البنين الذين يحبونهم إليهم، فمع إنكار الله عليهم نسبة الولد إليه أصلا أنكر عليهم كذلك سفاهتهم في جعلهم البنات له.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ وهذا بيان عن سلوك المشركين وحماعتهم، فإذا بشر أحدهم بولادة البنت التي جعلها لله اسود وجهه وعلته الكآبة وامتلاّت نفسه بالغیظ ﴿أَوْ مَن يَنْشُؤُا فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ما زال الله ينكر على المشركين سوء أخلاقهم

وحماقتهم فيقول عز ذكره منكرا عليهم غاية الإنكار: كيف ينسبون إليه الأنثى التي تلبس الحلي لتجميل ما نقص من جمالها وهي في الخصام ضعيفة غير مبينة لحجتها؛ بسبب خلقتها وطبيعتها التي أرادها الله ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ وهذا أيضا إنكار من الله عليهم حيث جعلوا الملائكة إناثا مع أنهم عباد الله يسبحون بحمده ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ استفهام إنكاري بمعنى هل شهدوا خلقهم يوم خلقهم الله؟ ثم قال متوعدا لهم سوء أفعالهم: ﴿سَتَكُنُّبُ شَهِدَائِهِمْ﴾ أي: بذلك ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ أي: سوف يسألون يوم القيامة عن افتراءهم الكذب وعن سوء أخلاقهم وسوء أدبهم مع الله ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ أي: لو أراد الله ألا نعبدهم لحال بيننا وبين عبادتهم، وهذا أيضا من سفاهتهم وضعف عقولهم وخلوها من الإيمان بالله ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ما لهم حجة أو برهان فيما قالوه ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي: يفترون الكذب ويتقولون على الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الإنسان إذا لم يهتد بنور الإيمان الذي جاء به كتاب الله، فهو مجرد كائن غير سوي حيث يرى المنكر معروفا والمعروف منكرا، وكان هذا حال الإنسان الذي كذب بما أنزل

إليه من الكتاب وما أرسل إليه من الرسل فضل عن السبيل حتى هلك بسبب ضلاله وكان هذا الضلال حال مشركي مكة حين نسبوا البنات إلى الله وعبدوا الأصنام والأوثان. وفيها: التنديد بالمشركين؛ لكرههم البنات وما أدى إليه هذا الكره من وأدهم لهن، الأمر الذي حرمه الله وتوعد مرتكبيه بقوله ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ﴾^(١). ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ﴾^(٢).

﴿أَمْ أَيْنَبْنَهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾^(٢١)
 بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ^(٢٢)
 وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا
 آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ^(٢٣) ﴿قُلْ أُولَٰئِكَ حِجَّتُكُمْ
 بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾^(٢٤)
 فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ^(٢٥) ﴿

بيان الآيات:

﴿أَمْ أَيْنَبْنَهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ وفي سياق الإنكار على المشركين في عبادتهم للأصنام ذكر الله عز وجل أنه لم يأتهم دليل ولا برهان قبل القرآن يحتجون به ويتمسكون به،

(١) سورة التكوين الآية ٨

(٢) سورة التكوين الآية ٩

وإنما هو تقليد لأبائهم حيث أخبر الله عنهم بقوله ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ثم ذكر تعالى أن مقالتهن هذه سبق أن قالها المترفون ممن سبقهم من الأمم المكذبة لرسولها كما قال تعالى ﴿وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ ﴿قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أي: قال لهم رسولهم الذي أرسل إليهم: لو جئتمكم بآية أفضل مما أنتم عليه هل تتبعونني وتتركون تقليد آبائكم؟ قالوا: إنا كافرون بما جئت به أو تجيء به. فعلم بهذا أنهم لا يريدون الهداية ولا اتباع الحق ولهذا قال تعالى ﴿فَأَنقَضْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: من هذه الأمم المكذبة ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ أي: فليحذر قومك يا محمد من سوء عاقبة تكذيبك حتى لا يحل بهم ما حل بالأمم الهالكة .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التقرير أنه لم يكن للمشركين حجة أو برهان في عبادتهم الأصنام، وإنما قلدوا آباءهم وأجدادهم، وهذا يقتضي تحريم تقليد الآباء أو نحوهم من بعض أصحاب الطرق الذين يتقولون على الله ويضلون أتباعهم تحت مسميات وتأويلات ما أنزل الله بها من

برهان. كما يقتضي تحريم القول في شرع الله إلا بدليل من كتابه أو سنة رسوله محمد ﷺ أو ما أجمعت عليه الأمة أو ما كان من مصادر شريعة الله من قياس وغيره. وفيها: الإشارة إلى أن المترفين من الأمم هم من أسباب فسادها وانحطاطها كما قال تعالى ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(١). والمراد أمرنا مترفيها باتباع الحق، ولكنهم عصوا وفسقوا فاستحقوا العقاب.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ۖ إِنِّي إِلَّا لِلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾^(٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ^(٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ^(٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ^(٣٠) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ^(٣١) أَهُمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ^(٣٢)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ هذا بيان من الله لرسوله

ليذكر به قومه عن دعوة نبيه إبراهيم الذي ينتسبون إليه حين دعا أباه وقومه إلى توحيد الله وطاعته والبراءة من الشرك به ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ أي: أتبرأ من عبادتكم للأصنام والأوثان ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: لا أعبد إلا الله الذي خلقني ورزقني ﴿فإِنَّهُ سَيَهْدِين﴾ أي: سوف يدلني على مافيه نقص في ديني ودنياي ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ أي: جعل العبادة لله وحده الذي لا إله إلا هو ولا شريك له ولا معبود بحق سواه، كلمة دائمة في ذريته يتبعها من وعاهها بقلبه ويستهدي بها من وفقه الله لاتباع الحق ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يرجعون إلى هذه الدعوة الحنيفية التي أمر الله بها عباده وهم في أصلابهم، ومع وضوح دعوة نبي الله وخليله إبراهيم لم يؤمن بها كل من دعاهم فقد أشرك بالله أقوام من ذريته فعبدوا الأصنام والأوثان ومنهم قريش فقال الله عز وجل ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ أي: أبقاهم الله في الحياة فلم يهلكهم حتى نزل عليهم الكتاب يتلوه عليهم رسول الله يبشر من آمن وصدق به بأن له السعادة في الدنيا والآخرة وينذر من كذب به بسوء العاقبة ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ أي: لما جاءهم القرآن كذبوه، ونسبوه إلى السحر وكفروا به وكذبوا رسول الله الذي بلغه إليهم ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ

عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيْنِ عَظِيمٍ ﴿١٥٧﴾ أي: لو أن هذا القرآن أنزل على رجل له مكانة وشرف من أهل مكة والطائف لما كانوا يرون ذلك في بعض زعمائهم كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة من مكة أو عمير بن عبدياليل الثقفي أو عروة بن مسعود الثقفي، وكان هذا من حماقتهم؛ لأنهم ما كانوا ينظرون إلى الحياة إلا من خلال المال والزعامة، وهما: الركنان الأساسيان في حياة الجاهلية وقد رد الله عليهم موبخا لهم بقوله ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ ﴿١٥٨﴾ أي: هل هم المدبرون لرحمة الله وعطائه فيعطون النبوة من يشاؤون، ويمنعونها ممن يشاؤون. أي: ومن العجب العجيب أن المشركين يريدون أن تكون النبوة لمن يعبدون الأصنام، وقد تلوّث أيديهم وأجسادهم بالآثام وتنزع من محمد ﷺ الذي عرفوا أمانته وخلقه وطهارته منذ أن خلقه الله فلم يعبد صنما ولم يسجد لوثن ولم يرتكب في حياته ما يشينه، بل كانت صفاته صفات الكمال والطهر والعفة وكمال الأخلاق التي لا تكون إلا لمن أحبه الله ورضي عنه.

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿١٥٩﴾ المراد أن الله هو الذي قسم بينهم معاشهم من الطعام والشراب واللباس وغير ذلك من متع الحياة الدنيا فهل يعترضون على من اختاره لرسالته وهو محمد ﷺ ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ ﴿١٦٠﴾ أي: في أرزاقهم ومعاشهم ففيهم الغني وفيهم الفقير ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ ﴿١٦١﴾ أي:

للعمل والخدمة وهذا من حكمة الله وتدبيره لخلقه، إذ لو تساوى الناس في الغنى لتعطلت مصالحهم، وركدت حياتهم، وتوقفت معاشهم ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ❀ أي: ما عند الله يوم القيامة من النعيم المقيم للمؤمنين أفضل وأعظم من حطام الدنيا الذي رأوا فيه عزتهم وشرفهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن إبراهيم عليه السلام جعل ملته باقية في عقبه، وهي عبادة الله وحده، لا إله إلا هو، لا شريك له ولا معبود بحق إلا هو، وقد كفر بهذه الملة أقوام من ذريته ومنهم كفار قريش وفيها: التنديد بالمشركين العرب الذين اعترضوا على إرسال رسول الله إليهم، يريدون أن تكون النبوة والرسالة في أحد زعمائهم لما يتمتع به من المال والرئاسة فيهم، وهذا زيادة في كفرهم وشركهم وهذا يقتضي أن من يعترض على إرادة الله في خلقه يعد كافراً كما قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ❀^(١). وفيها: تقرير حكمة الله في خلقه وتدبيره لهم حيث يبسط الرزق لمن يشاء من العباد ويَقْدِرُهُ على من يشاء منهم حتى يخدم بعضهم بعضاً، وهذا التفاضل في الدنيا لا يدل على أن الغني أقرب إلى الله من الفقير وإنما هي الحكمة الإلهية

(١) سورة الأحزاب من الآية ٣٦.

اقتضت هذا لعلم الله بأحوال خلقه ومن يكون الغنى نافعا له ومن يكون الفقر نافعا له. أمّا عند الله فالدين هو الأصل في التفاضل كما قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١).

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾^(٢٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

بيان الآيات:

لما ذكر عز وجل في الآيات السابقة أن المنزلة العليا هي في نعيم الآخرة وليس في الدنيا ومتاعها قال ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: لولا أن يعتقد الجهلة والغفل من الناس أن الغنى ومتاع الحياة الدنيا دليل على محبة الله ورضاه عن أغناهم ومتّعتهم ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾ أي: لجعل الله للكفرة سقفا لببوتهم من فضة ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي: سلالم من فضة يصعدون عليها في بيوتهم ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾ أي: ولجعل أبواب بيوتهم وسررهم كلها من فضة ﴿وَزُخْرُفًا﴾ أي: جعل بعض سقفهم ومعارجهم وأبوابهم من ذهب

﴿وَأَن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: أن ذلك كله من متاع الدنيا التي لا تلبث إلا قليلاً ثم تزول وتكون هباءً ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: إذا كانت الدنيا للكافرين وغيرهم فإن الجنة في الآخرة للمتقين لا يشاركون فيها إلا من هو مثلهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التقرير أن الإنسان قد جبل بطبعه على حب الدنيا كما قال عز وجل ﴿وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾^(١). ومن حكمة الله أنه يؤتي الدنيا للكافر والمؤمن ولا يؤتاها الكافر لكفره بل لحكمة؛ لأنه لو أوتيها بسبب كفره لكفر الناس أجمعون. وفيها: أن الدنيا لا تساوي عند الله شيئاً كما في الحديث: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)^(٢). وقوله: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)^(٣). وفيها: أن نعيم الآخرة هو الذي يجب التسابق إليه بالتقوى والأعمال الصالحة؛ لأن الله جعل هذا النعيم حصراً للمتقين.

﴿وَمَن يَعْمُرْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾

(١) سورة الفجر الآية ٢٠.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، برقم (٢٣٢٠)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٨٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، برقم (٢٩٥٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٧٢٢٩.

وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا
جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ
يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ
تَسْمِعُ الْأَصَمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: أن من يتعامى ويعرض عن القرآن ﴿نَقِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ أي: نهى له شيطانا يلزمه فيصده عن سبيل الله ويزين له ارتكاب المحرمات والمعاصي وكل أسباب الفسوق، ومع ذلك يحسب أنه على هدى من الله فيما يعمل كما قال تعالى ﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ أي: إذا جاء يوم القيامة ﴿قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: لما يرى العذاب يحقق به من كل جانب يتمنى أن لو كان بينه وبين قرينه من البعد كما بين المشرق والمغرب ثم يقول لقرينه ﴿فَيَتَسَّ الْقَرِينُ﴾ لأنك قد أضللتني وزينت لي سوء عملي فالיום أتمنى أن يباعد الله بيني وبينك ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لن ينفعكم في هذا اليوم يوم القيامة أنكم أنتم وقرناءكم مشتركون في العذاب؛ لأنكم أنتم وإياهم قد ضللتهم وطغيتم وكفرتهم. كما لن ينفعكم تمنى مفارقة بعضكم

لبعض ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ المخاطب هنا رسول الله ﷺ تسلياً له والمراد إنك لن تسمع الصم الذين لا يسمعون، ولن تهدي العمي الذين لا يبصرون، كما أنك لا تقدر أن تهدي من هو في ضلال مبين، فكما أن الصم لا يسمعون الصوت، والعمي لا يبصرون الطريق، والضالون لا يهتدون، فهؤلاء الذين تدعوهم قد أصبحوا بمثابة الصم والعمي والضالين فلن يكون لهم إلا الحساب والجزاء.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن من يعرض عن كتاب الله متعامياً يتسلط عليه الشيطان فيلازمه في يقظته ونومه، ويصده عن سبيل الله فيزين له سوء عمله فيكون الحق عنده باطلاً، والباطل حقاً فيرتكب المحرمات والمعاصي ويحسب أنه على هدى من الله كما قال عز وجل ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾^(١). وقوله ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^(٢).

قلت: ومن المشاهد والمحسوس: أن الذين يميلون عن الطريق القويم فيرتكبون المحرمات بتأويلات وعلل مختلفة يتسلط عليهم الشيطان، فيزدادون انحرافاً على انحرافهم وضلالاً على ضلالهم كما

(١) سورة فاطر من الآية ٨.

(٢) سورة الصف من الآية ٥.

حدث في الماضي لأصحاب الملل المنحرفة، وكما يحدث اليوم من المبتدعة في الدين والقول فيه بالهوى كتحليل أنواع من الربا ومجاراة الأعداء فيما يقولون وما ينسبونه إلى الدين من الأباطيل واتهامه بالتخلف وعدم مجاراة واقع الزمان ونحو ذلك من الضلالات التي تنشرها بعض وسائل الإعلام بين ظهراني المسلمين. وفيها: أن قرناء السوء يتبرأ بعضهم من بعض، ويتمنى كل منهم مفارقة الآخر كما قال تعالى ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(١). ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾^(٢). وفيها: أن من ضل عن الطريق وأعرض عن ذكر الله رغم ما جاءه من الحق يبقى على ضلاله فلا تنفع فيه المواعظ.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾^(٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ^(٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ^(٤٤) وَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبُدُونَ^(٤٥)﴾

(١) سورة الحشر الآية ١٦.

(٢) سورة الحشر الآية ١٧.

بيان الآيات:

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ ❀ أي: سوف ننتقم من هؤلاء الذين كذبوك حتى لو أخرجناك إلى مكان آخر بعيدا عنهم شأنهم في ذلك شأن الأمم الذين كذبوا رسلهم فأهلكناهم ❀ ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ﴾ ❀ أو نجعلك ترى غلبتك ونصرك عليهم ❀ ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ ❀ أي: قادرون على غلبتك عليهم، وقد رأى عليه الصلاة والسلام ما وعده به ربه من النصر عليهم، وذلك حين خر رؤساء المشركين يصرعون على وجوههم يوم بدر، لا يلوون على شيء وما كان لهم من ولي ولا نصير ❀ ﴿فَأَسْتَمِسِّكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ ❀ أي: تمسك بالقرآن الذي أوحى إليك فإنه النور المبين الذي يستهدي به المؤمنون، ويستضيء به المتقون ❀ ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ❀ أي: إنك بالقرآن على الطريق القويم الذي يفضي بمن تمسك به إلى جنات النعيم ❀ ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ ❀ أي: أنه شرف وعزة ورفعة لك في الدارين، كما أنه شرف لقومك، حيث نزل بلغتهم وفي بلادهم، فهم أخرى أن يلتزموا به ويؤمنوا به، ويحكموه فيما شجر بينهم ❀ ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ ❀ أي: سوف تسألون عن عملكم به وما إذا كنتم أخذتم بأحكامه، واثمتمم باوأمره، وانتهيتم عن نواهيه.

﴿وَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ

عَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿١﴾ سؤال الرسل متعذر من جهة عدم وجودهم حين نزول القرآن على رسول الله ﷺ والمراد أن عليك يا نبينا محمداً معرفة شرائع الرسل قبلك وأخبارهم لكي يتبين لك أننا ما أمرنا أبداً أن يكون هناك آلهة تعبد من دوننا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التقرير أن من كذب رسل الله ينتقم الله منه، وليس المراد من كذبه في حياته فقط بل كل من كذب رسالته وإن أتى بعده بأجيال. وفيها: أن الله صدق وعده في نصر عبده ورسوله محمد ﷺ، فقد هزم أعداءه رغم قوتهم وتحالفاتهم ومكايدهم. وفيها: وجوب التمسك بكتاب الله فإن المتمسك به لن يضل كما قال عز وجل ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (١). وقوله ﴿قِيمًا لِنُنْذِرَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (٢). ﴿مَكَثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ (٣). وفيها: أن إنزال القرآن بلغة العرب شرف لهم إذا تمسكوا به، فهو ذكر وعز لهم كما قال تعالى ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤). وفيها:

(١) سورة الإسراء الآية ٩.

(٢) سورة الكهف من الآية ٢.

(٣) سورة الكهف الآية ٣.

(٤) سورة الأنبياء الآية ١٠.

أن هذه الأمة سوف تسأل يوم القيامة عما إذا كانت قد التزمت بهذا الكتاب في أحكامه. وفيها: أن كل الكتب السماوية جاءت بتوحيد الله وتحريم عبادة غيره كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(١).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^{٤٦} ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾^{٤٧} ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^{٤٨} ﴿وَقَالُوا يَتَّيِئُ السَّاحِرُ أَدْعَاؤُنَا رَبِّكَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾^{٤٩} ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾^{٥٠}.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ما زالت آيات القرآن تذكر قريشا حال من سبقها من الأمم وما حل بهم من الهلاك بسبب تكذيبهم لرسولهم، ومنهم فرعون وقومه فقد أرسل الله موسى إليه بالآيات البينات كالعصا التي تحولت إلى حية، وقد دعاهم إلى عبادة الله وحده والبراءة من عبادة غيره، وأن يتركوا شأن بني إسرائيل ويرسلوهم معه حيث يريد فلم يستجب فرعون وقومه، بل كانوا يستهزئون بموسى ويسخرون

من دعوته كما قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ ﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ أي: ما جاءت فرعون وقومه من آية إلا هي أكثر بينة على صدق موسى في دعوته ﴿ وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ وهو ما ذكره الله تعالى بقوله ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾ الآية (١). قوله ﴿ وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعَا لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَذُونَ ﴾ كان فرعون وقومه يعتقدون أن موسى ليس إلا مجرد ساحر وأن الآيات التي جاء بها سحر، فطلبوا منه أن يطلب ربه أن يكشف عنهم العذاب الذي حل بهم وهو الجراد والقمل وفي كل مرة يعدون موسى بالإيمان ثم ينكثون، وينقضون ما عاهدوه عليه كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الناس قد لا يؤمنون بالآيات التي تأتيهم كما فعل فرعون وقومه مع موسى، وفعل كفار قريش مع رسول الله ﷺ فيما جاء به من القرآن بآياته البينات، وقد أخبر الله عن ذلك بقوله ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢). وفيها: أن الله يُنْظَرُ

(١) سورة الأعراف من الآية ١٣٣ .

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٣ .

العباد، لكي يتوبوا إليه إذا أذنبوا كما قال تعالى ﴿أُولَٰئِكَ يَرْوَنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾^(١). فإذا استمروا على ذنوبهم وعصيانهم رغم إمهالهم، عاجلهم الله بالعقوبة في الدنيا، أو أنظرهم إلى الآخرة. وفيها: تحريم النكث بالعهد كما قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢).

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْمُ آلَيْسَ لِي مَلِكٌ مِمَّنْ هَٰؤُلَاءِ ۚ أَلَا أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾^(٥٢) ﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾^(٥٣) ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ ۖ فَاطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(٥٤) ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا ائْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٥٥) ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾^(٥٦).

بيان الآيات:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ لما نكث فرعون وقومه عهدهم مع موسى أراد فرعون أن يشدد قوته على قومه ويمتحنهم في ولائهم

(١) سورة التوبة الآية ١٢٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٧ .

له فجمعهم وخطب فيهم وقال لهم ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ أي: ألا ترون أنني ملك مصر المتصرف فيها وهذه الأنهار كما ترون تجري في ملكي وشاهده أيضا قوله ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾^(١). ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾^(٢). قوله ﴿فَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: ألا ترون ما أنا فيه من القوة ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ أي: أنا أفضل وأعز من هذا الفقير الحقير المراد به موسى عليه السلام ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أي: لا يقدر أن يتكلم كلاما واضحا ويقصد بذلك اللثغة التي في لسان موسى ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ أي: إذا كان صادقا فيما يقول لم لا ينزل عليه من السماء أسورة من ذهب؛ ليضعها في يده كما يفعل الملوك ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ أي: جاءت الملائكة يشهدون له بما يقول ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ﴾ لما تكلم فرعون ونسب إلى نفسه القوة والعظمة واستفز قومه بما قاله أطاعوه؛ بسبب خفة عقولهم وعدم إدراكهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ أي: عاصين الله مما جعلهم يستجيبون لفرعون فيما قال ﴿فَلَمَّا عَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: لما أغضبوا الله عز وجل بنكثهم العهود وكفرهم انتقم منهم ﴿فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْعِينَ﴾ أي: أغرق

(١) سورة النازعات الآية ٢٣.

(٢) سورة النازعات الآية ٢٤.

فرعون وقومه ولم ينج منهم إلا الذين آمنوا بموسى ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ أي: جعلنا إغراق فرعون وقومه سلفاً أي: متقدمين على غيرهم ولمن يعمل مثل عملهم وعبرة وموعظة لمن بعدهم ليرى كيف يهلك الله المكذبين لرسلمهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تحريم الاستعلاء على عباد الله المؤمنين كما قال عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾^(٢). ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾^(٣). وفيها: التنديد بالذين يصدقون كل داع لهم، دون أن يفكروا فيما يدعوههم إليه فلا يفعل هذا إلا خفاف العقول الذين يسيطر عليهم الفسق والمعاصي، فلا يقدرّون على تمييز الحق من الباطل وهذا هو ما يفعله اليوم قلة من المسلمين الذين لا يفكرون فيما يدعوههم إليه أعداؤهم من دعوات تبدو في ظاهرها سليمة، بينما هي في حقيقتها دعوات إلى التحلل من الدين والقيم ونشر الفساد في الأرض. وفيها: أن الأمم إذا استمرت على الفسق والكفر يشتد غضب الله عليها فينتقم منها لتكون عبرة لمن يأتي بعدها.

(١) سورة النساء من الآية ٣٦.

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٧.

(٣) سورة الإسراء الآية ٣٨.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ لما نزل قول الله تعالى ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾^(١). جادل المشركون رسول الله ﷺ وقالوا ﴿ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي: قال أحد المشركين مجادلا وهو عبد الله بن الزبعرى: أنت تقرر كما نحن نقر بأن عيسى من المقربين عند الله إلا أنك قد سويت بينه وبين آلِهَتِنَا وقلت إنهم جميعا يَرِدُونَ حصب جهنم، فهذا مما يدل على تناقضك في قولك ولما سمع المشركون هذه المقولة أعجبوا بها وظنوا أنهم غلبوا رسول الله بحجتهم^(٢) وهو معنى قوله تعالى ﴿يَصِدُّونَ﴾ قوله ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ أي: ما كان هدفهم من قولهم

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦ ص ١٠٣ .

هذا إلا اللجاجة والخصام، وإلا فإنهم يعرفون أن هذه الآية لا تشمل الأنبياء والرسل والصالحين والأولياء، وأنها لم تنزل إلا فيهم؛ لأنهم هم المخاطبون بها؛ لكونهم يعبدون الأصنام والأوثان ولم يكونوا يعبدون عيسى إضافة إلى أنه نزل بعد هذه الآية قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(١). فدل هذا على أن قصدهم من مقولتهم الخصام والمجادلة بالباطل ثم قال تعالى عن نبيه عيسى ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: ليس عيسى إلا عبدا من عباد الله أنعم الله عليه بالنبوة وجعله مثلا لبني إسرائيل أي: برهانا ودليلا على قدرة الله لعلهم يهتدون ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ أي: لو نشاء لأهلكناهم ولجعلنا لكم ملائكة ي خلفونكم في الأرض ويكونون أفضل منكم ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: أن نزوله دليل على قيام الساعة ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: لا تشكون في مجيئها ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ أي: قل يا محمد لقومك اتبعوني فيما جئكم به وهو الإسلام الذي يوجب عليكم توحيد الله وطاعته والبراءة من الشرك به ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: إن هذا الدين هو الطريق القويم الذي يوصل إلى مرضاة الله ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: لا يصدنكم

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠١ .

عن اتباع الحق فتضلوا وتتعرضوا لغضب الله وعقابه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ
عَذَابٌ مُّبِينٌ﴾ أي: يريد أن يغويكم ويضلكم لتكونوا معه وجنده يوم
القيامة في العذاب السعير.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تحريم الجدل والخصام بالباطل كما قال تعالى
﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾^(١).
كما أن الجدل والخصام في غير الحق هو من أوامر الشيطان كما
قال تعالى ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوهِنَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلُوَكُمْ وَإِنْ
أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٢). وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه
قال: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)^(٣). وفيها:
التقرير أن عيسى عبد من عباد الله، أنعم الله عليه بالنبوة وأن نزوله
في آخر الزمان دليل على قرب قيام الساعة. وفيها: تحريم الشك في قيام
الساعة كما قال تعالى ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾^(٤).
وقوله ﴿إِلَّا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾^(٥).

(١) سورة غافر من الآية ٥.

(٢) سورة الأنعام من الآية ١٢١.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٤٤) من سورة الزخرف برقم (٣٢٥٣)، سنن الترمذي
ج ٥ ص ٣٥٣، وابن ماجه في المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل، برقم (٤٨)، سنن ابن ماجه
ج ١ ص ١٩.

(٤) سورة الفرقان من الآية ١١.

(٥) سورة الشورى من الآية ١٨.

وفيها: تحريم اتباع الشيطان كما قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١). وقوله ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾^(٢). والآيات في التحذير من اتباع الشيطان كثيرة.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَآئِينَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^(٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ^(٦٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ^(٦٥) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ^(٦٦)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ لما دحض الله حجة مشركي مكة وزعمهم الباطل في تناقض ما جاء به الرسول ذكر الله رسالة عيسى عليه السلام ونبوته، وأنه أرسل إلى بني إسرائيل ليبين لهم ما اختلفوا فيه من التوراة كما قال تعالى ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَآئِينَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْلِفُونَ فِيهِ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ أي: اتقوه وأخشوه فيما أمركم به وأطيعوني فيما جئتكم به من كتاب ربكم

(١) سورة البقرة من الآية ١٦٨.

(٢) سورة النساء من الآية ١١٩.

الإنجيل ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾ أي: أنا عبد من عبيد الله مثلكم فاعبدوا الله وحده ولا تشاركوا معه غيره ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: أن ما جئتمكم به هو الطريق القويم الذي يجب أن تكونوا عليه. وفيما قاله عيسى عليه السلام تذكير لكفار قريش أن ما جاء به محمد ﷺ إليهم هو ما سبق أن جاء به النبيون والرسل من قبله من الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي: اختلف بنو إسرائيل لما جاءهم عيسى فصاروا فرقا منهم من صدق نبوته ورسالته وقال: إنه عبد من عبيد الله، ومنهم من جعله ابنا لله - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا- ومنهم من كذبه واتهم أمه بارتكاب الفاحشة ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ وفي هذا تهديد ووعد للذين كذبوه بأنهم سيلاقون العذاب الأليم يوم القيامة ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: هل ينتظر هؤلاء الذين كذبوه من اليهود والنصارى أن تأتيهم الساعة فجأة وهم سادرون في غيهم وضلالهم وتكذيبهم لما جاءهم به عيسى من البينات. ومنها: وجوب الإيمان برسالة رسول الله محمد ﷺ.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن عيسى أرسل إلى بني إسرائيل بالبينات؛

لكي يعودوا إلى رشدهم ويهتدوا بما أنزل إليهم من التوراة والإنجيل،
ويبين لهم ما كانوا يختلفون فيه من أحكام دينهم. وفيها: تحريم
الاختلاف في الدين كما قال عز وجل ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا
وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).
وفيها: وعيد الله بأليم العقاب لليهود والنصارى الذين جحدوا مافي
التوراة والإنجيل من البشارة برسالة رسول الله محمد ﷺ فكذبوه ولا
يزالون يكذبونه ويستتهزون برسالته.

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٦٧)
يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ^(٦٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا
بِتَايِنَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ^(٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
تُحَبَّرُونَ^(٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا
مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٧١)
وَبَلَدِكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(٧٢) لَكُمْ فِيهَا
فَكَهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ^(٧٣) ﴿

بيان الآيات:

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي: يوم تأتي الساعة
فجأة يكون الذين تصادقوا وتحابوا من أجل الدنيا أعداء فيما بينهم

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٥ .

﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ أما الذين تحابوا في الله وتصادقوا من أجل هذه المحبة فمحبتهم وصداقتهم تبقى ثابتة يوم القيامة ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ أي: ينادي الله المتقين يوم القيامة ألا يخافوا من هول ذلك اليوم ولا يحزنوا على ما فاتهم من متع الحياة الدنيا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ هذا وصف لهم بأنهم الذين آمنوا بآيات الله ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ أي: أسلموا أنفسهم لله رب العالمين ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ أي: ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم المؤمنات تفرحون فيها خالدين مخلدين ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ أي: يطاف عليهم بآنية الطعام التي تتكون من ذهب ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ والمراد بها آنية الشراب المكونة من الذهب ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ أي: ما تتطلع إليه الأنفس من أطيب الطعام والشراب وغيره ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ أي: فيها ما تلتذ له الأعين من النظر إليه ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: مخلدون لا يخرجون منها ثم يقول الله لهم على سبيل الامتنان عليهم ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: أن أعمالكم الصالحة هي التي وفقكم الله بسببها إلى دخول هذه الجنة ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ أي: متنوعة الأنواع والأصناف ﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: تطعمون مما تختارونه منها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن المحبة في الدنيا إذا كانت مبنية على المنافع والأغراض الدنيوية سرعان ما تنتهي فلا يبقى إلا المحبة في الله، ولهذا قال رسول الله ﷺ: (أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله)^(١). وهذا يقتضي أن تكون المحبة بكل صفاتها وأنواعها في الله، وأن يكون البغض فيه قولاً وعملاً ظاهراً وباطناً وفي السراء والضراء. وفيها: فضل التقوى كما قال عزوجل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢). وفيها: الحكم بأن الله يجمع بين المؤمن وبين زوجته أو زوجاته في الجنة إذا كن مؤمنات. وفيها: أن الأعمال الصالحة سبب في دخول الجنة، ولكنها ليست حكماً لازماً لدخولها لقول رسول الله ﷺ: (لا يدخل أحد الجنة بعمله) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة)^(٣).

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ٧٤ ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ٧٥ ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ ٧٦ ﴿وَنَادَوْا بِمَكَائِكَ لِيقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ ٧٧ ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب مجانية أهل الأهواء وبغضهم، برقم (٤٥٩٩)، سنن أبي داود ج ٤ ص ٢٠٣، والإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ١٤٦.

(٢) سورة المائدة من الآية ٢٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل برقم (٦٤٦٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٣٠٠.

أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا
لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَئِبُونَ ﴿٨٠﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ لما ذكر الله ما أعدّه للمتقين من النعيم ذكر حال المجرمين وهم أهل الشرك والكفر بأنهم يخلدون في النار ﴿لَا يُفَرِّغُهُمْ﴾ أي: لا يخفف عنهم العذاب ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي: حزينون ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: أن الله لم يظلمهم، وحاشا أن يفعل، ولكن هم الذين ظلموا أنفسهم بإصرارهم على الشرك والمعاصي وعدم التوبة إليه، مع أنه قد أمهلهم ووعدهم بالتوبة عليهم إذا تابوا ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي: نادوا مالكا خازن النار يطلبون أن يقضي الله عليهم فيموتوا إلى الأبد؛ لكي يستريحوا مما هم فيه من العذاب ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾ أي: أجابهم مالك بأنهم مخلدون في النار ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: أن سبب عدم خروجكم من النار هو تكذيبكم للحق الذي جاءكم واستهزاءكم به ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ أي: كنتم تكرهون الحق وتصدون عنه وتكرهون أهله وتحبون الباطل وتدعون إليه وتحبون أهله، ولما انتهت مهلتكم في الدنيا وصرتم إلى ما صرتم إليه الآن من العذاب فليس لكم إلا ما أنتم فيه ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾

لما كان المشركون يكيّدون المكاييد لرسول الله ﷺ ويدبرون الشرور ويعملون للصد عن دين الله، توعدهم الله عز وجل إن هم فعلوا ذلك بأنه سوف يبرم أمرا يبطل فيه كيدهم وشرورهم ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ أي: أيعتقدون أننا لا نسمع ما يسرون وما يعلنون وما يدبرونه ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَئِبُونَ﴾ أي: نعلم ما هم عليه والملائكة الحفظة يكتبون أعمالهم فلا يخفى منها شيء.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن أهل الشرك والكفر يخلدون في العذاب إذا لم يتوبوا في الدنيا، وأن خلودهم فيه ليس بسبب ظلم الله لهم، فحاشاه أن يفعل لأنه كما قال عز وجل ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١). وإنما السبب في خلودهم استمرارهم على المعاصي وفيها: أنهم يطلبون أن يقضي الله عليهم فيموتوا موتا أبديا حتى يستريحوا من العذاب، فلا يقبل طلبهم، بل يبقون كما ذكر الله عنهم بقوله ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾^(٢). وقوله ﴿وَيَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾^(٣). ﴿الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾^(٤). ثم

(١) سورة فصلت من الآية ٤٦ .

(٢) سورة فاطر من الآية ٣٦ .

(٣) سورة الأعلى الآية ١١ .

(٤) سورة الأعلى الآية ١٢ .

لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١﴾. وفيها: أن أهم سبب للعذاب والخلود فيه هو إنكار الحق وتكذيب أهله وتعظيم الباطل وتقدير أهله. وفيها: الحكم بأن الله يعلم بعلمه المطلق ما يخفيه العباد وما يعلنونه كما قال عز وجل ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿٢﴾.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ في هذا أمر من الله لرسوله أن يقول للمشركين لو فرض أن لله ولدا - وحاشاه أن يكون له ولد - فأنا أول العابدين له على ذلك ولكني أتبرأ من الشرك به وأنفي أن يكون له ولد فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ هذا تنزيه من الله لذاته العلية من أن يكون له ولد فهو رب السموات ورب الأرض ومن فيهما ورب العرش فتعالى وتقدس عما يصفه الكافرون ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا﴾ أي: اتركهم يتكلموا بباطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في

(١) سورة الأعلى الآية ١٣ .

(٢) سورة غافر الآية ١٩ .

دنياهم ويمرحوا فيها ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ أي: يوم القيامة، وسيجدون فيه جزاء خوضهم ولعبهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أهمية إقناع المدعو إلى الله بما يقيم الحجة عليه ولو كان في هذا الإقناع ما هو مستحيل أصلاً كما قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ وقد أريد به التوكيد على عبادة الله والبراءة من الشرك به في جميع الأحوال. وفيها: الحكم بتنزيه الله عن الولد كما قال تعالى ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ ۚ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(١). وفيها: تهديد للمشركين بسوء العذاب يوم القيامة.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾^(٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ^(٨٥) وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ^(٨٦) ﴿

بيان الآيات:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ أي: هو الذي يعبداه أهل السماء ويعبداه أهل الأرض، فهو معبودهم وهو معهم

بعلمه وقدرته يعلم ما يفعلون ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ أي: الحكيم في تدبيره، العليم بأمور خلقه ﴿وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: تقدر وتعالى الذي فطر السموات والأرض وأبدعهما وخلق فيهما الخلق وأحكم خلقهم ورزقهم ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: لا يعلم قيامها إلا هو ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يرجع إليه جميع الخلق فيجازيهم بأعمالهم ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ﴾ أي: لا تقدر هذه الأصنام والأوثان ولا الملائكة التي يعبدوها المشركون أن تشفع لهم يوم القيامة لما يلاقون العذاب وهذا رد على زعمهم أن الذين يعبدونهم من الملائكة وغيرهم سوف يشفعون لهم ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هذا استثناء من الحكم والمراد أن من شهد ألا إله إلا الله وآمن بالإسلام وأدى ما فرض الله عليه من الفرائض، فالملائكة والأنبياء قد يشفعون له إذا أذن الله لهم لقوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (١).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله إله في السماء يعبداه أهلها، وإله في الأرض يعبداه أهلها وهو معهم (بعلمه) كما قال تعالى ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (٢).

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٣ .

وهذا يبطل قول ابن عربي وأتباعه من الملحدّين الذين قالوا بوحدة الوجود، وأنه لا انفصال بين الخالق والمخلوق وأن وجود الكائنات هو عين الله (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا). وفيها: الحكم بأنه الذي يعلم وحده علم الساعة كما قال ﴿لَا يُجْلِيهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ﴾^(١). وفيها: أن كل معبود غير الله لا يقدر أن يشفع يوم القيامة لمن عبده، وأن الشفاعة لا تكون إلا لمن عبد الله وحده وأخلص في عبادته، فهذا قد تشفع له الملائكة والأنبياء إذا أذن الله لهم في الشفاعة كما قال تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(٢).

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٨٧) وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٨٨).

بيان الآيات:

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ أي: إن سألت يا محمد هؤلاء المشركين عن الذي خلقهم سيقولون لك: إن الله هو الذي خلقهم ورزقهم، ومع ذلك يعبدون معه غيره مما يدل على سفاهتهم وجهلهم فما دام أنهم يعترفون بربوبية الله ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون أنفسهم عن الحق فينكرون توحيد الله في عبادته ﴿وَقِيلَ لَهُ

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية ٢٨ .

يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ أي: يعلم الله قيل محمد ﴿٢﴾ وقيله ﴿٣﴾ أي: قوله شاكيا إلى ربه بأن قومه لا يؤمنون، رغم ما جاءهم به من البينات فأمره عز وجل أن يصفح عنهم وألا يجاريهم في مخاطبتهم له بالبذاءة ولكن يتألفهم كما قال تعالى ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ ثم قال عز وجل ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ هذا تهديد ووعد لهم إن لم يتوبوا وقد أنجز الله ما وعد، فمن استمر منهم على كفره وعناده أخذه الله كما حدث في معركة بدر وغيرها مما سبق ذكره.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وينكرون توحيد الألوهية مما يدل على جهلهم؛ لأن العقل يقتضي أن الذي خلق الخلق ورزقهم ويدبر أمرهم هو المستحق وحده للعبادة وليست الاحجار التي لا تنفع ولا تضر. وفيها: وجوب الصبر على الأعداء عند العجز عن مقاومتهم وعدم مجاراتهم في سفهمهم، مع وجوب الاستعداد لمجاهدتهم وعدم الاستكانة لهم كما قال عز وجل ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (١). وقوله ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٢). ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (٣).

(١) سورة الأنفال من الآية ٦٠ .

(٢) سورة الحج الآية ٣٩ .

(٣) سورة الحج من الآية ٤٠ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الدخان

مكية وآياتها تسع وخمسون آية

﴿حَمْدٌ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ۝٣ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝٤ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٥ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٦ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٧ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝٨ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝٩﴾

بيان الآيات:

﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمراده ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ أي: ليلة القدر من شهر رمضان وقد وصفها الله بالبركة؛ لما فيها من تنزيل الرحمة وقبول دعاء العباد ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ أي: مرسلين إلى الناس رسلاً ينذرونهم ويعلمونهم ما يجب عليهم حتى تقوم الحجة عليهم إذا لم يستجيبوا لما دعوهم إليه ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: يفصل من اللوح المحفوظ ما في تلك السنة من آجال العباد وأرزاقهم وما يحدث في الكون من أحداث مما قدره الله من كل أمر حكيم أي: محكم لا يتبدل ولا يتغير

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: جميع ما يقدره الله في تلك الليلة أو في غيرها هو بأمر الله وإرادته ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أي: أرسلنا الرسل ومنهم محمد لإبلاغ العباد ما يجب عليهم من الإيمان بالله وطاعته، فأرسالهم رحمة للعباد؛ لأنهم يدلونهم على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم كما قال تعالى ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: السميع لما يقولون، العليم بما يسرون ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: فاطر السموات والأرض ومبدعهما وما بينهما ﴿إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ﴾ أي: متحققين من ذلك علم يقين ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: هو المعبود الذي لا معبود بحق سواه وهو القادر على إحياء الخلق وإماتتهم وهو رب المخلوقين من أولهم إلى آخرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وأنها في شهر رمضان كما قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(١). وهذا يقتضي نفي قول من قال: إن الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان. وفيها: أن هذه الليلة أفضل الليالي على الإطلاق كما قال تعالى ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(٢). ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا

(١) سورة القدر الآية ١.

(٢) سورة القدر الآية ٣.

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿١﴾ ﴿سَلَامٌ﴾ ﴿٢﴾. وفيها: أن الله يفصل من اللوح المحفوظ أحداث تلك السنة من الآجال والأرزاق، وما يحدث في الكون من أحداث. وفيها: أن إرسال الرسل إلى العباد إنما هو رحمة لهم؛ لأنهم يدلونهم على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ ﴿٩﴾ فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴿﴾

بيان الآيات:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ ﴿٩﴾ لما بين تعالى للمشركين آياته على لسان رسوله ودعاهم إلى توحيده والبراءة من الشرك به وقالوا إنهم يؤمنون بأن الله هو الذي خلقهم، وأنهم يقرون بربوبيته، ثم ظلوا على عبادة أوثانهم، دلّ على أنهم غير موقنين بما جاءهم من الآيات، وأن ما يقولونه مجرد لعب وشكوك، فتوعدهم الله تعالى بقوله ﴿فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١٠﴾ أي: انتظر يا محمد ما سيحل بهم؛

(١) سورة القدر الآية ٤ .

(٢) سورة القدر من الآية ٥ .

ذلك أن رسول الله ﷺ دعا على قريش لما آذوه قائلاً: (اللهم أجعلها عليهم سنين كسني يوسف)^(١) فاستجاب الله دعوته فأصاب قريشا من الجهد والبلاء ما أصابهم حتى هلكت مواشيهم وأصابهم من الجوع ما أصابهم مما لم يكونوا يتصورونه، فكان الواحد منهم يرفع رأسه إلى السماء فلا يرى إلا دخانا يغشاه من شدة الجهد كما قال تعالى ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقد بعثوا إلى رسول الله يطلبون منه أن يدعو الله؛ ليكشف عنهم ما هم فيه من الضر والبلوى وهو معنى قولهم ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ثم قال تعالى ﴿أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ أي: كيف أنهم يتذكرون اليوم وقد جاءهم رسول يبين لهم الحق ويدلهم على ما ينفعهم فأذوه وسبّوه واتهموه بالجنون. ولما قيل لرسول الله ﷺ: استق لمضر فإنها قد هلكت استسقى الله لهم فسقوا، فنزل قول الله تعالى ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾^(٢) وبقدرته وحكمته كشف عنهم ما كانوا يعانونه من القحط والجوع، ولكنهم لم يستمروا على ما كانوا يزعمونه من إيمانهم، بل ظلوا على شركهم ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، برقم (٤٥٩٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١١٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ١٣١ .

الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾ أي: انتظر يا محمد يوم نأخذ هؤلاء المشركين بقوتنا، وكان ذلك هو ما حدث لهم بالفعل يوم بدر حين قتل صناديدهم ورؤسائهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله قد صدق في وعده أن ينتقم من المشركين حيث أصابهم القحط سبع سنوات إلى أن دعا رسول الله ربه أن ينقذهم مما أصابهم من الجهد بعد أن وعدوا أنهم سيؤمنون بالله، وقد استجاب الله دعاءه فنزل عليهم المطر، إلا أنهم عادوا إلى كفرهم. وفيها: أن الكفار يلجؤون إلى الله في الضراء وينسون عبادته في السراء كما قال تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (١).

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ إِعْبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَاسْرِعْ بِعِبَادِي لِئَلَّا إِنَّكُمْ مَّتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرِكِ الْبَحَرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: سبق أن بلونا قبل هؤلاء المشركين من قومك قوم فرعون وهم القبط ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ هو موسى بن عمران عليه السلام قائلًا لهم ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ أي: سلموا لي بني إسرائيل ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: مأمون على ما بلغتكم به من عند ربي ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: لا تستكبروا وتستنكفوا عن اتباع آياته التي جئتكم بها ﴿إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: أتيتكم بآيات بينات واضحة فأمنوا بها ولا تعلوا عليها ﴿وَإِنِّي عَذْتُ رَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ أي: استجرت بالله من أن ترموني بسوء ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِلَيَّ فَأَعَزِّلُونِ﴾ أي: إذا لم تصدقوا ما جئتكم به، فاتركوني حتى يقضي الله بيني وبينكم. وقد استمر موسى عليه السلام في دعوته لهم بالحسنى والمسالمة، إلا أنهم لم يستجيبوا له فاضطر إلى الدعاء عليهم كما قال تعالى ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَبْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ ثَجَرُمُونَ﴾ كما أخبر الله تعالى عنه بقوله ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(١). ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾^(٢).

(١) سورة يونس من الآية ٨٨.

(٢) سورة يونس من الآية ٨٩.

وقد أمره الله أن يخرج بقومه ليلاً، وأن فرعون سوف يتبعه فلا يخشاه كما قال تعالى ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ وقوله ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ (١).

﴿وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي: اترك البحر ساكناً؛ ذلك أن البحر لما انفلق إلى فلقتين بعد أن ضربه موسى بعصاه ودخل قوم موسى البحر فسلكوه أراد أن يضربه مرة أخرى، ليعود إلى حالته الأولى، فأمره الله أن يتركه على طبيعته حتى إذا دخله فرعون وجنده انطبق عليهم، وهذا ما حدث تنفيذا لحكم الله بقوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الذين ينكرون آيات الله ويكذبون رسله يتشابهون في سلوكهم رغم فوارق الزمان والمكان؛ لأن الكفر ملة واحدة. وفيها: تحريم العلو والاستكبار عن التصديق بآيات الله كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٢). وقوله ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾

(١) سورة طه الآية ٧٧ .

(٢) سورة غافر من الآية ٦٠ .

فَيَسْأَلُ مَوْتَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١﴾. وفيها: وجوب الاستعاذة بالله والاستغاثة به عند الشدائد والمحن، إذ لا معيذ ولا مغيث إلا هو. وفيها: مشروعية طلب المسألة من العدو إذا كان قادرا على الغلبة والقهر. وفيها: الحكم بأن كل من علا في الأرض واستكبر فيها سيكون مصيره إلى الهلاك.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ المراد فرعون وقومه، فقد تركوا بهلاكهم الكثير من البساتين والجنان بما فيها من الأنهار والمياه والمساكن الجميلة والنعم التي كانوا يتفكحون منها من أطيب الطعام والشراب كما قال تعالى ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا﴾

فَكَهِينٌ ﴿١٩٤﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١٩٥﴾ قيل: إن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون، ولعل الصواب في تأويل الآية أن بني إسرائيل ورثوا مثل هذه الجنان لما ذهبوا إلى مكان آخر؛ ذلك أنه ليس ثمة ما يدل على أنهم عادوا إلى أرض مصر بعد ما خرج بهم موسى فيكون المراد بـ ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ من جاء بعد فرعون وقومه. قوله ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: بهلاكهم لم تبك عليهم السموات؛ لأنه لم يكن لهم عمل صالح يصعد إلى السماء حتى تبكيهم، ولم يكن لهم عمل صالح في الأرض تبكيهم عليه فهي لا تبكي إلا على الذي كان يركع فيها ويسجد فيها ويذكر اسم الله فيها ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ أي: لم يمهلوا بل عاجلتهم العقوبة جزاء وعدهم لموسى بالإيمان ونكتهم لهذا الوعد ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ أي: نجيناهم من إهانة فرعون لهم بقتل أبنائهم وترك بناتهم للخدمة ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي: كان متكبرا عليهم ومسرفا في تعديه وظلمه ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ المراد بهم بنو إسرائيل واختيارهم كان على أهل زمانهم؛ لأنهم كانوا موحدين وأهل زمانهم كانوا مشركين ﴿وَأَيْنَنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتُوا مُبِينَ﴾ أي: أعطوا من البراهين ما فيه اختبار لهم؛ لكي يهتدوا ويشكروا نعم

الله عليهم، ولكنهم لم يفعلوا فغضب الله عليهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن النعم لا تدوم إلا إذا أطاع العباد ربهم فإذا عصوه سلبها منهم وأورثها قوما غيرهم لقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١). ومن طاعة الله: شكره على نعمه، فإذا كفر بها العباد فقد عصوه واستحقوا سلب نعمه منهم كما قال تعالى ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٢). وفيها: عظمة العبادة وكيف أن السماء تبكي على العبد إذا مات وانقطع رفع عمله إليها، وكيف أن الأرض تبكي على من كان يركع ويسجد فيها. وقد سأل رجل ابن عباس رضي الله عنهما قائلاً: رأيت قول الله تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا وله باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد منه عمله وينزل منه رزقه ففقدته بكى عليه، وإذا فقدته مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها ويذكر الله عز وجل فيها بكى عليه. وإن قوم فرعون لم تكن لهم

(١) سورة الأنفال من الآية ٥٢.

(٢) سورة إبراهيم من الآية ٧.

في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى الله عز وجل منهم خير فلم تبك عليهم السماء والأرض^(١). وفيها: تحريم الاستعلاء والكبر، وقد مر ذكر الشواهد فيه. وفيها: أن المراد من اختيار بني إسرائيل على العالمين اختيارهم على أهل زمانهم، فهم كانوا أفضل منهم؛ لأنهم كانوا موحدين، وأهل زمانهم مشركون كما قيل إن لكل زمان عالماً، فلما عصى بنو إسرائيل لم يكونوا أفضل من غيرهم، فالأصل هو الدين ولا عبرة بغيره. وفيها: أن الله يبتلي العباد بأنواع من المصائب ليرى أيصبرون ويشكرون أم يكفرون فيترتب عندئذ جزاؤهم حسب عملهم.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ۖ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۖ ﴿٣٥﴾ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۖ ﴿٣٦﴾ أَهْمٌ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۖ﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾ هذا بيان من الله بأن المشركين يقولون في إنكارهم للبعث ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ أي: ماهي إلا مودة واحدة، وليس بعدها بعث ولا نشور، فإن كان

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٣ ص ١٢٤، وأخرجه الترمذي مختصراً ومرفوعاً في كتاب التفسير، باب (٤٥) من سورة الدخان برقم (٢٢٥٥)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٥٤.

البعث حقاً وصدقا كما تقولون ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
 أي: أعيّدوا لنا آباءنا وأجدادنا الذي مضوا، وفي قولهم هذا تلبيس
 وحجة باطلة، فالأموات لا يعودون إلى الحياة الدنيا وإنما يبعثون
 ليمضوا إلى يوم القيامة. وقد توعد الله المشركين بأن بأسه لا يرد
 عنهم وأنه قادر على إهلاكهم كما أهلك من كان قبلهم من الأمم التي
 كذبت بالبعث ومنهم التبابعة قوم سبأ وغيرهم كما قال تعالى ﴿أَهُمْ
 خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التوكيد على بعث الأموات للحساب والجزاء يوم
 القيامة. وفيها: فساد حجج المنكرين للبعث حين يطلبون إعادة
 الأموات إلى الدنيا بينما أن البعث خاص بيوم القيامة. وفيها: التذكير
 للمشركين أنهم لن يكونوا أكثر قوة ولا أفضل ممن أهلكهم الله من
 الأمم قبلهم كقوم سبأ وغيرهم.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ﴾ (٣٨) مَا
 خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ
 مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ
 يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢).

بيان الآيات:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ﴾ هذا بيان من الله عز وجل ينزه فيه ذاته العلية عن اللعب في خلق السموات والأرض، وأنه إنما خلقهما بالحق حيث جعلهما مكانا لعبادته وشكره وتعظيمه، فمن فعل ذلك فقد استحق جزاءه وهو المقام المحمود عنده في الآخرة، وقد أكد الله جل وعلا هذه الحقيقة في قوله تعالى ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أن هؤلاء المنكرين للبعث جهلة في فهمهم وضعاف في عقولهم حين ينكرونه، لو كانوا يعلمون حق العلم لعرفوا أن الله ما أوجد الخلق إلا لحكمة، وأنه ما خلقهم وأماتهم إلا ليعيدهم إليه ليجزي كلا بما عمل في الدنيا.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: يوم القيامة حيث يحكم الله بين خلقه، فيجزي المؤمن على إيمانه ويجزي الكافر على كفره ﴿يَوْمَ لَا يَغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: في ذلك اليوم لا ينفع قريب قريبه، ولا خليل خليله وإنما هي الأعمال تحصى ويجزى كل بما عمل ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ أي: وفي ذلك اليوم لا تغني نفس عن نفس شيئا، وإنما هي رحمة الله يرحم بها عباده يوم يقفون عنده كما خلقهم أول مرة. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

أي: يرحم برحمته عباده المتقين وينتقم بعدله من الكافرين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله جل وعلا منزه عن العيب كما قال عز وجل ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(١). وقال أيضاً: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢). وفيها: الحكم بأن يوم القيامة هو اليوم الذي يفصل الله فيه بين خلقه حيث يحصي أعمالهم ويجزي كلا منهم بما عمل، وحينئذ لا ينفع ولي وليه ولا قريب قريبه وإنما هي رحمة الله لخلقه فيتجاوز عن سيئات الذين عملوا الصالحات ويرضى أن يشفع الملائكة والأنبياء لمن يشاء من عباده ويخرج من النار من كان في قلبه ذرة من إيمان ممن آمن به رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۖ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۖ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۖ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ۖ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۖ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِن عَذَابِ الْحَمِيمِ ۖ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۖ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ۖ﴾^(٥٠).

(١) سورة ص الآية ٢٧ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ١١٥ .

بيان الآيات:

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ لما ذكر الله يوم القيامة ومافيه من الحساب والجزاء، بين ما يناله الكافر فيه من العذاب ومن ذلك: أن طعامه من شجرة الزقوم وهي من أخبث الأشجار وأشدّها مرارة ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ أي: كالمعدن المذاب يغلي في البطون من شدة حرارته ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ أي: يغلي كما يغلي الماء الشديد في حرارته ﴿حَذُوهُ﴾ أي: يقال للزبانية: سوقوا الكافر ﴿فَاعْتَلُوهُ﴾ أي: ادفعوه بشدة ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي: إلى وسطها ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ أي: صبوا فوق رأسه من الماء الشديد في حرارته ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ أي: تقول له الزبانية على وجه السخرية به: ذق هذا العذاب فأنت اليوم لست بعزيز ولا كريم ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ أي: هذا هو العذاب الذي كنت تجادل فيه وتكذب به.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وصف طعام الكفرة يوم القيامة ومنهم أبو جهل فقد ذكر أنه المقصود بكلمة ﴿الْأَثِيمِ﴾ وهي تشمله كما تشمل كل كافر، وهذا الطعام هو ثمر شجرة الزقوم وكان أبو جهل يجمع أولاده ويضع بين أيديهم الزبد والتمر ويقول لهم: تزقموا هذا هو الزقوم

الذي يتوعدنا به محمد. وفيها: تقرير شدة عذاب الكفرة، وما يلاقونه من الإهانة والذل والخزي يوم القيامة، لقاء ما كانوا يهينون المؤمنين في الدنيا ويسخرون منهم.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

بيان الآيات:

لما ذكر الله شقاوة الكفار يوم القيامة ذكر سعادة المتقين فقال عز ذكره ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ والمراد بهم المؤمنون الذين اتقوا الله في السر والعلن فأعدَّ لهم المقام الكريم وهو مقرهم ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ﴾ أي: جنات تجري فيها العيون بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ أي: يلبسون من السندس وهو رقيق الحرير كما يلبسون الاستبرق وهو غليظه ويتقابلون في الجنة

أي: تتقابل وجوههم على سرهم ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: يتزوجون من الحور المخلوقات في الجنة ومن صفاتهن أنهن واسعات الأعين وحسانها ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ﴾ أي: يطلبون ما يشاؤون من أنواع الفواكه التي لا تنقطع عنهم ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ أي: هم مخلدون في الجنة لا يموتون إلا الموتة التي حدثت لهم في الدنيا ﴿وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي: حفظهم الله ونجاهم من عذاب النار بفضل رحمته لهم وامتنانه عليهم بقبول أعمالهم الصالحة في الدنيا وهذا هو معنى قوله عز وجل ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: هذا هو الفوز الذي نجاهم الله به من العذاب وأدخلهم به الجنة.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه أنزل هذا القرآن سهلا وبينا في ألفاظه ومعانيه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: لعل الذين أنزل عليهم يفهمونه ويعملون به ﴿فَأَرْتَقِبْ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد انتظر ماذا سيحدث للمكذبين به؟ ﴿إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ أي: سيعلمون أن العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة إنما هي لك وللمؤمنين معك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن التقوى هي أساس الفوز في الدنيا والآخرة، وأن المتقين هم أهل السيادة في الأرض كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١). كما أن المتقين هم الذين يرثون الجنة كما قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢). وفيها: بيان أحوال أهل الجنة ومآلهم من النعيم المقيم فيها. وفيها: أنه في الآخرة لا موت إلا موتة واحدة هي التي ذاقوها في الدنيا لما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت)^(٣). وفيها: أن القرآن نزل بلغة العرب وهي أفصح اللغات وأبينها ليكون أيسر لفهمه وأجلى لمعانيه كما قال تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٤). وفيها: الأمر لرسول الله ﷺ وهو يدعو قومه أن يصبر ويرتقب ما يقدره الله فيتوب على من تاب منهم وآمن به ويجازي من كذب به.

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٧٢ .

(٣) أخرجه البخاري مطولاً في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْقَسْرِ﴾، برقم (٤٧٣٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٨٢ .

(٤) سورة الشعراء الآية ١٩٥ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الجاثية

مكية وآياتها سبع وثلاثون آية

﴿حَمْدٌ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

بيان الآيات:

﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمراده ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾
هذا بيان من الله أن القرآن قد نزل من عند الله العزيز في ملكوته
وسلطانه، الحكيم في تدبيره وتصريف خلقه ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن في خلق السموات وما فيها من الملائكة
والشمس والقمر، والأفلاك العظيمة وما في الأرض من الإنس والجن،
والدواب، والجبال، والبحار، والأنهار، والأشجار، دلالات وعبراً عظيمة
للذين يؤمنون بربهم ويوحدونه ويطيعونه فيعرفون أنه الخالق الذي
لا خالق إلا هو، وأنه لا معبود بحق إلا هو ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن
دَابَّةٍ﴾ أي: وفي خلقكم ومراحل هذا الخلق من نطفة صغيرة إلى كائن

حي متكامل القوى وفي بث الدواب في الأرض صغيرها وكبيرها وبريها وبحريها ومختلف أنواعها ﴿ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: دلالات وعبر للذين يوقنون بربوبية ربهم وألوهيته وعظمته وتفردته في أسمائه وصفاته ﴿وَإِخْلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: في تعاقبهما في نظام دائم لا يتغير ولا يتبدل ﴿وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: بعدما كانت ميتة عديمة الحياة ﴿وَتَصْرِيفُ الرِّيحِ﴾ من غربية إلى شرقية، ومن جنوبية إلى شمالية، ومن رياح تسوق السحاب إلى رياح تسوق العذاب ﴿ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: دلالات للذين يتفكرون في عظمة الله ويعلمون أنه الحق الذي يدبر خلقه ويتصرف فيهم بحكمته وإرادته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن القرآن نزل من عند الله نزولا لا مرأى ولا شك فيه لقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٢). والآيات في هذا كثيرة، وهي تنفيذ ورد لدعاوى المشركين والكافرين الذين تماروا في القرآن بعد أن أعماهم الجهل وطبع الله على قلوبهم بسبب كفرهم فلم يعودوا يفرقون بين الحق والباطل. وفيها: وجوب التفكير

(١) سورة الحجر الآية ٩.

(٢) سورة غافر الآية ٢.

في آيات الله العظيمة الظاهرة والمتمثلة في خلق الكون وما يمثله هذا الوجود من عوالم ظاهرة للخلق وباطنة لا يعلمها إلا الذي خلقها. وفيها: أن المخاطبين بهذا التفكير هم العقلاء الذين ترشدهم عقولهم إلى الإيمان بالله، واليقين بآياته العظام.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾ مَن وَرَأَيْهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

بيان الآيات:

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ لما بين عز وجل آياته الكونية الدالة على عظمته وقدرته، بين تعالى أنها آيات كلها حق يعرفها البر والفاجر، ولا يماري فيها إلا من انطبع قلبه بالكفر وصار على قلبه غشاوة، فإذا لم يؤمن كفار قريش بالله وبآياته التي يبصرونها بأعينهم وما يتلى عليهم من القرآن ومعانيه من البراهين القاطعة فبأي

شيء يؤمنون؟ وبأي برهان يصدقون؟ وهو معنى قوله تعالى ﴿فَبَآئٍ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ثم تواعد عز وجل من يجحد آياته بقوله ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ أي: ويل - وهو واد في جهنم - لكل كذاب كافر بآيات الله أثيم في قلبه ﴿يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ﴾ أي: تقرأ عليه ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ أي: على كفره وكبره ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي: كأنها لم تتل عليه ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: أبلغه يا محمد أن العذاب الأليم ينتظره يوم القيامة وأنه ملاقيه.

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أي: إذا عرف هذا الأفَّاك الأثيم المتكبر شيئاً من القرآن استهزأ به وسخر منه أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ أي: سوف يجزون العذاب والخزي والذلة يوم القيامة؛ لقاء استهزائهم واستكبارهم. ثم فسر عز وجل هذا العذاب بأنه جهنم التي سيساق إليها المشركون المكذبون فلا ينفعهم حينئذ ولي ولا شفيع ولا مال ولا ولد، ولا تنفعهم الأصنام والأوثان وكل ما كانوا يعبدونه من دون الله كما قال تعالى ﴿مَنْ وَرَّآهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ ثم أكد على عظم العذاب الذي سيلاقونه بقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هَذَا هُدًى أي: إن هذا الهدى المنزل عليك يا محمد هدى للناس إن آمنوا به فقد اهتدوا في دنياهم ونجوا في آخرهم. أما الذين يكفرون به وبآيات الله الدالة على

وحدانيته فسوف يلقون عذابا من رجز أليم وهو أشد العذاب وأغلظه
كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن من لم يهتد بالقرآن وما فيه من الآيات
الدالة على عظمة الله فلن يهتدي أبدا. وفيها: تقرير الوعيد الشديد للذي
يتلى عليه القرآن ثم يتعامى عنه مستكبرا ومعرضا عنه ومكذبا له كما
قال تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي
الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَّا آيَاتِنَا سَوْءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُصَدِّفُونَ﴾^(١). وفيها:
تقرير الوعيد الشديد للذي يستهزئ بالقرآن أو يسخر منه. وفي هذا
روى ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن
إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو^(٢).

قلت: وقد كثر في هذا الزمان الذي استحكم فيه الأعداء بقوتهم
على المسلمين الاستهانة بكتاب الله وتدنيسه تارة، وتكذيبه تارة أخرى
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).
وفيها: تقرير أن العمل الصالح هو الذي يغني العبد يوم القيامة وأن ما

(١) سورة الأنعام من الآية ١٥٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمامة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه
بأيديهم، برقم (١٨٦٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٥١٨٩ .

(٣) سورة الصف الآية ٨ .

عداه من المال والولد وغيره لا يغني عنه شيئاً كما قال تعالى ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾^(١). ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٢).

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١٢) ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾^(١٣).

بيان الآيتين:

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ هذا بيان من الله تعالى أنه الذي سخر البحر وذلله لخلقه حتى تجري السفن فيه بأمره آمنة مطمئنة، وهي تنقلهم من مكان إلى مكان ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: لتطلبوا أرزاقكم من التجارة وغيرها ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لعلكم تشكرون الله على ما سخره لكم ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سخر لكم ما فيهما من الكواكب والبحار والأنهار والجبال والأشجار ﴿جَمِيعًا مِنْهُ﴾ أي: كل ذلك من عنده ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ أي: إن في هذا التسخير عبراً وعظات للذين يتفكرون فيعلمون أنه ما كان هذا ليكون لهم إلا بتقدير الله.

(١) سورة الشعراء الآية ٨٨.

(٢) سورة الشعراء الآية ٨٩.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين تقرير نعم الله على خلقه، وأنها كلها من عند الله كما قال عز وجل ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْشَرُونَ﴾^(١). وفيهما أن نعم الله على خلقه تقتضي منهم الشكر عليها، وعدم الكفر بها كما قال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوسُكُمْ لِمَن شَكَّرْتُمْ لَا زَيْدٌ لَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٢).

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١) مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم تُرْجَعُونَ .

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ الآية الأولى نزلت أيام ضعف المسلمين في مكة وتسلط المشركين عليهم، وفيها: أمر الله رسوله بإبلاغ المؤمنين أن يصبروا على أذى المشركين وتحملوا إساءاتهم تأليفاً لهم ورغبة في هدايتهم، فلما أصرّوا على كفرهم أذن الله لرسوله والمؤمنين بقتالهم ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: سوف يجزي بالعذاب القوم الذين لم يؤمنوا منهم

(١) سورة النحل الآية ٥٣ .

(٢) سورة إبراهيم الآية ٧ .

بسبب إصرارهم على الكفر ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: إن من عمل عملاً صالحاً فإن نفع عمله يعود إليه ومن أساء فإن إثم إساءته يعود إليه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أي: سوف تعودون إليه أيها الخلق يوم القيامة فيجزى كلا بما عمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين تقرير تسامح المسلمين مع الكفار إذا كان المسلمون في حال من الضعف والكفار في حال من القوة، ولكن هذا التسامح لا يعني التنازل عن الثوابت من الدين، وإنما المراد المهادنة والصلح إلى أن يكون المسلمون في حال من القوة. وفيهما الحكم بأن عمل المرء يعود إليه في نفعه أو ضرره كما قال تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (١). وقوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٢).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١٦) ﴿وَأَتَيْنَاهُم بِبَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا يَنْهَاهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٧).

(١) سورة فاطر من الآية ١٨ .

(٢) سورة المدثر الآية ٣٨ .

بيان الآيتين:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ هذا بيان من الله يذكر فيه امتنانه على بني إسرائيل حيث أنزل عليهم الكتب، وجعل منهم الأنبياء والرسل ورزقهم من طيبات الدنيا من المطاعم والمشارب وفضلهم على أهل زمانهم كما قال تعالى ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وذلك لأنهم كانوا -كما ذكر من قبل- على التوحيد وأهل زمانهم كانوا على الشرك ﴿وَأَتَيْنَاهُم بِبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أي: مما جاءت به كتبهم كالطورا والإنجيل لما كانوا مستقيمين على الدين ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي: بعدما جاءتهم رسالة رسول الله ﷺ اختلفوا فيها ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي: حسدا له كما قال تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (١). ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: يحكم بينهم فيتبين الحق من الباطل.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن تفضيل بني إسرائيل -كما ذكر من قبل- لم يكن أبدا لجنسهم ولا لمحبة الله لهم كجنس كما يعتقده الغلاة والمتعصبون

(١) سورة البقرة من الآية ١٠٩ .

منهم والمتعصبون من النصارى، وإنما كان تفضيلهم على أهل زمانهم لما كانوا مستقيمين على الدين، فلما فسقوا وقتلوا الأنبياء مقتهم الله بقوله ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(١). وفيهما أن بني إسرائيل لما علموا بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ كما وردت في التوراة حسدوه وحسدوا العرب، لكونه منهم فناصبوه العداء وكادوا له المكائد.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۖ إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ۝١٩ هَٰذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْقَوْمِ يُوقِنُونَ﴾^(٢٠).

بيان الآيات:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ لما ذكر الله أن اليهود سلكوا مسلك البغي والحسد لرسول الله ﷺ بين الله لنبيه ورسوله أنه جعله على شريعة من الدين الذي ارتضاه له

(١) سورة البقرة من الآية ٦١.

ولأتمته وهو دين الإسلام وأمره باتباع هذه الشريعة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تتبع أهواء الذين لا يعلمون شيئاً من الدين كحال كفار قريش ومن كان مثلهم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: إن اتبعت أهواءهم فلن ينفعوك مما يضرك من جراء اتباع أهوائهم ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: إنهم يتناصرون في الدنيا على الباطل فيدفعون الحق بأقوالهم وأفعالهم، وأما في الآخرة فلا يستطيعون نصراً لأنفسهم ولا لغيرهم، بل يكفر بعضهم ببعض ويتبرأ منه ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يتولاهم يوم القيامة برحمته ولطفه فينجيهم من عذابه ﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المراد به: القرآن فهو نور يبصر به المؤمنون مسالكهم وهو هدى وحماية لهم من الضلال وهو رحمة لهم في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله جعل لرسوله محمد ﷺ وأتمته دين الإسلام شريعة لهم وأمرهم باتباعه والالتزام بأحكامه كما قال تعالى ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١).

وفيها: التحذير من اتباع أهل الأهواء الذين يعارضون الحق ويدعون إلى الباطل كما قال تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٢). وفيها: أن الظالمين يوالي في الدنيا بعضهم بعضاً كما قال تعالى ﴿الْمُتَفَقُونَ وَالْمُتَفَقَتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾^(٣). أما في الآخرة فيتبرأ كل منهم من وليه في الدنيا. وفيها: أن الله يتولى المؤمنين يوم القيامة بولايته. وفيها: أن القرآن نور يبصر به المؤمنون في الدنيا والآخرة وهو هدى ورحمة لهم في الدنيا والآخرة.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّخْيَاهُمْ وَمَمَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

(١) سورة الكهف من الآية ٢٨ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٧٧ .

(٣) سورة التوبة من الآية ٦٧ .

بيان الآيتين:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ هذا استفهام إنكاري والمراد هل يظن الذين يرتكبون المعاصي فيحلون ما حرم الله ويدفعون الحق وينصرون الباطل، ويضلون عن سبيل الله ﴿أَنْ جَعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ أي: يتساوون مع الذين آمنوا بالله، واحلوا حلاله وحرموا حرامه وأقاموا الصلاة وأدوا زكاة أموالهم ونصروا الحق وجاهدوا الباطل، هذا من المستحيل فهؤلاء لا يتساوون في محياهم ومماتهم، بل هم فريقان، فال مؤمنون لهم حسن المآب والكافرون لهم سوء العذاب ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ساء ظنهم في تساوي أصحاب السيئات مع أصحاب الحسنات؛ لأن هذا يتنافى مع العدل ويتنافى مع الحق الذي خلق الله به السموات والأرض وخلق به الخلق كما قال عز ذكره ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ وقوله ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: ومن أسس هذا الحق والعدل أن يجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ أي: ومن أسس هذا الحق والعدل أن الله لا يظلم أحدا من خلقه، فحاشاه ذلك، بل هو الرحمن الرحيم، ولكن حكمته اقتضت أن يكون العدل هو الميزان بين خلقه فيجزى كل واحد منهم بما عمل.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بعدم التساوي مطلقا بين البر والفاجر والمؤمن والفاسق

كما يزعم الكافرون لقوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ (١). ﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢). ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ (٣). وفيهما أن من العدل والحق الذي خلق الله السموات والأرض به أن يجزي الله كلا بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر كما قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (٤).

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٣)

بيان الآية:

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ أي: أن من العجب أن يطيع

(١) سورة السجدة الآية ١٨ .

(٢) سورة السجدة الآية ١٩ .

(٣) سورة السجدة الآية ٢٠ .

(٤) سورة المدثر الآية ٣٨ .

المرء هواه فيكون معبوده يَأْتَمِر بِأَمْرِهِ وينتهي عن نهيه معرضاً عما جاءه من الحق ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: أضله الله لما علم أنه يستحق الضلالة بعدما جاءته البراهين فأعرض عنها واتبع هواه ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ أي: لم يعد سمعه يسمع الحق ولا قلبه ينتفع به ولم يعد بصره يبصره لما أصابه من غشاوة الضلالة ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ أي: بعد هذا الذي أصابه بسبب ذنوبه لن يهديه أحد بسبب عدم هداية الله له ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تعتبرون أيها الخلق فتلجؤون إلى الله بعمل الصالحات وترك السيئات حتى يكتب الله لكم الهداية ويجنبكم الضلالة.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية الحكم بأن الهوى أعظم خطر يتعرض له المرء؛ ذلك أنه إذا اجتنب أوامر الله وأحكامه وأعرض عن ذكره أصبح هواه يتحكم في سلوكه فيكون بمثابة معبوده يَأْتَمِرُ بِمَا يَأْمُرُهُ بِهِ، وينتهي عما ينهاه عنه فيرى الحسن سيئاً والسيئ حسناً كما قال عز وجل ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾^(١). وفيها: أن الهوى يورث الضلال؛ ذلك أن الله عز وجل يضل بعلمه من يعرض عن ذكره ويتبع هواه بعدما

(١) سورة فاطر من الآية ٨.

يأتيه من البراهين فلا يهديه بعدئذ أحد كما قال تعالى ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١).

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَوْنَا أَبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢٦).

بيان الآيات:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ هذا بيان من الله عن أقوال الدهريين الكفار من مشركي العرب في إنكار البعث والحساب والجزاء ومرادهم أنه مامن حياة إلا حياة واحدة يولد فيها أناس ويموت فيها أناس فلا بعث ولا نشور ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أي: لا يحيينا ويميتنا إلا الزمان ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ليس لهم فيما يقولونه علم عقلي أو نقلي ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي: يتخرصون ويزعمون، وسيعلمون عاقبة ظنهم يوم يبعثون ويرجعون إلى الله ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي:

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٦.

إذا تليت عليهم الآيات الدالة على وجود الله وعظمته وقدرته على إحياء الموتى لم يكن لهم من حجة أو برهان إلا أن قالوا: أعيدينا لنا آباءنا الأولين إن كنتم صادقين فيما تقولون، كما أخبر الله بذلك عنهم بقوله ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا آبَاءَنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء الدهريين الكفرة: إن الله هو الذي أحياكم، حيث كنتم عدما بلا وجود فأوجدكم، ثم يميتكم رغما عنكم فهو القادر إذن على أن يجمعكم إلى يوم القيامة جمعا لا شك فيه كما قال تعالى ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: بسبب جهلهم وضعف عقولهم ينكرون البعث.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بإبطال دعوى الدهريين الملاحدة بإنكار وجود الخالق وزعمهم أن الذي يحييهم ويميتهم هو تكرار الزمان. وفيها: تقرير أن دعواهم ليس لها سند عقلي أو نقلي، وإنما هي مجرد ظن، نتيجة فساد عقولهم وضلالهم. وفيها: أنه ليس للدهريين من حجة إلا طلب إحياء آبائهم وأجدادهم، وهذا يتنافى مع سنة الله في خلقه التي اقتضت أن الأموات يبعثون عند قيام الساعة للعودة إلى الله للحساب والجزاء. وفيها: تقرير أن كثيرا من الناس لا يعلمون

الحق من الباطل بسبب تحكيمهم لأهوائهم وبعدهم عن الله، وما جاء في كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْحَسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٢٧) وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ (٣٢).

بيان الآيات:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: الحاكم لهما المدبر لهما والمتصرف فيهما، وخلقهما أعظم من خلق الناس وإحيائهم بعد مماتهم كما قال تعالى ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (١). ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْحَسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: يوم يبعث الله الناس من قبورهم سوف يخسر المكذبون بالبعث

رحمة ربهم ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَآثِيَةً﴾ أي: سوف ترى يا محمد أن كل أمة يوم القيامة جاثية أي: باركة على ركبها خوفا من هول ذلك اليوم ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ أي: إلى صحائف أعمالها ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: تجزون في هذا اليوم على أعمالكم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: هذا كتابنا المدونة فيه أعمالكم يتكلم بالحق من غير زيادة على ما عملتم ولا نقصان لما عملتم ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمر الملائكة الحفظة أن يكتبوا جميع أعمالكم لتجدوها ماثلة أمامكم فيرى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أعمالهم، ويسرون بها فيشملهم ربهم برحمته ويفوزون فوزا عظيما بما منّ الله عليهم كما أخبر الله عن ذلك بقوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ وأما الذين كفروا فيلاقون التوبيخ على إجرامهم واستكبارهم عن سماع آيات الله عندما تتلى عليهم فيقول الله ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ولم يكن هذا فعل هؤلاء المجرمين من الاستكبار عن سماع آيات الله فحسب، بل إذا ذكر لهم قيام الساعة والبعث تجاهلوه وقالوا: ما ندري ما هو، وإنما نظنه مجرد ظن ولسنا بمتحققين منه. كما قال تعالى عنهم ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ

حَقُّ وَالسَّاعَةِ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا
وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِقِينَ ﴿٣٣﴾

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير بعض ما يحدث يوم القيامة للكافرين من خسرانهم لأنفسهم بسبب كفرهم. وفيها: أن الأمم تجثو يوم القيامة على ركبها من شدة ما ترى من هول ذلك اليوم فتدعى كل واحدة منها؛ لتقرأ كتاب أعمالها، وهنا ينقسم الناس إلى فريقين: فريق المؤمنين وهؤلاء تشملهم رحمة ربهم؛ بسبب أعمالهم الصالحة، وفريق الكافرين فيؤخذون للعذاب؛ بسبب استكبارهم عن سماع آيات الله التي كانت تتلى عليهم في الدنيا وبسبب إجرامهم وعدم يقينهم بالبعث.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَفِيسُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَبَدَأْ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي: ظهر للمجرمين من كتابهم أعمالهم السيئة التي ارتكبوها ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: أحاط بهم العذاب الذي كانوا لا يصدقون به، وإنما كانوا يستهزئون عند ذكره لهم ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِكُمْ﴾ أي: تعاملون اليوم بنسيانكم لتمكثوا في العذاب ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: كما كنتم تنسون هذا اليوم فلم تعملوا له ﴿وَمَاؤْنَكُمْ النَّارُ وَمَالُكُمْ مِّنْ نَّصِيرٍ﴾ أي: مقرم اليوم النار، وليس لكم من ناصر ينصركم ﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ أي: أن ما تلاقونه من العذاب اليوم إنما كان جزاء استهزائكم وتكذيبكم بما جاءكم من الآيات والبراهين ﴿وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: وكان هذا العذاب بسبب اغتراركم بمتع الحياة الدنيا وزينتها ونسيانكم للجنة ونعيمها ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ﴾ أي: لا يخرجون في ذلك اليوم من النار ولا يطلب منهم توبة عما فعلوا لانتهاء وقتها في الدنيا. ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: له كامل الحمد فهو مالك الكون ومدبره ومصرفه ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: العظمة والعلو في ملكوت السموات

والأرض ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القاهر الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره
للكوته، فتقدست أسماؤه وصفاته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الإنسان يجزى بما عمل فمن نسي الله
في الدنيا نسيه الله في الآخرة كما قال تعالى ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(١).
وفيها: الحكم بأن من يستهزئ بالله أو آياته أو أحد من رسله يعد
كافراً، سواء كان جاداً أو هازلاً كما قال عز وجل في حق المنافقين
الذين كانوا يستهزئون بالله ورسوله ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ
إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ
تَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٢). ﴿لَا تَعْذِرُوا فَذَكَّرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(٣). وفيها:
وجوب الحمد والشكر لله عندما ينتهي المرء من عمل صالح عمله أو
طعام طعمه أو شراب شربه؛ لأن المخلوق لا يقدر على عمل شيء إلا
إذا كان الله قد يسره له وأعاناه عليه فاقترض ذلك وجوب حمد المنعم
عليه لمن أنعم عليه وهو الله جل جلاله.

(١) سورة التوبة من الآية ٦٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ٦٥ .

(٣) سورة التوبة من الآية ٦٦ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأحقاف

مكية وآياتها خمس وثلاثون آية

﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا
عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾

بيان الآيات:

﴿حَمَّ﴾ الله أعلم بمراده ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾
أي: أن القرآن قد نزل على رسول الله محمد ﷺ وقد أنزله الله العزيز
في ملكوته، الحكيم في تدبيره لخلقه ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: ما خلق الله السموات بكل ما فيها من
الملائكة والأفلاك، وما خلق الأرض وما فيها من الجن والإنس والدواب
وغيرها، وما خلق بينهما من الملكوت إلا بالحق فتقدس وتنزه عن
العبث، فما من شيء أرادته الله فهو حق أحقه وقدر قدره، وحكمة
أرادها ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: أنه جل وعلا خلقهما لمدة معلومة لا
يعلمها إلا هو ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾ أي: غافلون
عما أُنذروا به من العذاب إذا لم يوحدوا الله ويطيعوه ويتبرؤوا من
الشرك به.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله قد أنزل القرآن من اللوح المحفوظ على نبيه ورسوله محمد ﷺ مبينا لآيات الله وأحكامه في خلقه فيما يبصرهم في دينهم ودنياهم كما قال تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١). وفيها: الحكم بأن خلق السموات والأرض وما بينهما كان بالحق إلى أجل معلوم، وهذا يقتضي حكما تقديس الله وتنزيهه عن العبث. وفيها: أن الكفار إنما يجزون؛ بسبب إعراضهم عن البينات التي تنذرهم وتحذرهم من ارتكاب المعاصي.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُوِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ^(٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ^(٦).

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: قل يا محمد للمشركين الذين يعبدون الأصنام ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: أفيدوني

عما إذا كانوا قد خلقوا شيئاً من الأرض ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾^١
 أي: هل لهم شرك في السموات بأي صفة ﴿أَتُنَوِّنِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ
 هَذَا﴾ أي: هاتوا كتاباً منزلاً من عند الله على الأنبياء السابقين
 يأمركم بعبادتهم ﴿أَوْ أَثَرُونَ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أو هاتوا أثراً صحيحاً
 يأمركم بعبادتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم أن هذه
 الأصنام آلهة تستحق العبادة ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ
 اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ هذا بيان من الله وبيانه
 الحق أنه لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله أوثاناً، ويبتغي منها
 جلب النفع له ودفع الضر عنه بينما هي لا تقدر على تحقيق مطلبه
 لأنها حجارة صماء لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر كما قال تعالى ﴿وَهُمْ
 عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ قوله ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ أي: إذا
 حشر الناس يوم القيامة كانت هذه الأصنام عدواً لمن عبدها وخصماً
 له وتتبوأ منه ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ أي: يكفرون بدعائهم وندورهم
 وعبادتهم لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بعجز المخلوق عن الخلق كما قال تعالى ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن
 لَا يَخْلُقُ﴾^(١). وقوله ﴿إِنَّكَ أَنتَ الَّذِي تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا

(١) سورة النحل من الآية ١٧ .

ذُكَبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْتَأْذِنُوا لَأَنصِتَ إِلَيْهِمْ إِنَّهُ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ
 ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿١﴾. وفيها: تقرير أنه لا أحد أضل ممن
 يدعو من دون الله من لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر؛ ذلك أن العقل
 ومسلمات الحقائق تقتضي أن العاجز في ذاته لا يقدر على نصر غيره،
 فمن كان في قبره وقد تحول إلى رميم هل ينفع من يدعوه؟ هذا في عالم
 البشر، أما في عالم الجمادات فهل يقدر صنم مكون من حجر أن ينفع
 من يدعوه؟ والجواب بدهة بالنفي.

﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ
 هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي
 مِنْ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ
 الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَا مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي
 وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ هذا بيان من الله بأنه إذا تليت
 آياته البينات الدالة على وجوب توحيده ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا
 جَاءَهُمْ﴾ أي: قال المكذبون بآيات الله لما جاءتهم بينة في القرآن ﴿هَذَا
 سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: سحر جلي ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ﴾ يقصدون محمداً

﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ﴾ أي: قل لهم: إن كنت كذبت وزعمت أن الله أرسلني إليكم وهو لم يرسلني ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لن تقدروا أنتم ولا غيركم على إنقاضي من العذاب الذي سوف يحق بي لقاء كذبي ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: أن الله هو الذي يعلم ما تحدثون به طعنا في أمانتي وتكذبي لي ﴿كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: كفى به شاهدا ورقيبا عليّ فيما أقول لكم وما تقولونه لي ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: يغفر ويرحم لمن يتوب إليه فتوبوا إليه لعله يغفر لكم ويرحمكم ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ أي: لست أول الرسل الذين دعوا إلى عبادة الله وتوحيده فكل الرسل قبلي قد دعوا قومهم وأنذروهم ﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ أي: لا أدري ماذا يقدره الله لي ولكم، فأنا بشر يوحى إليّ فهو المدبر لي ولكم والمتصرف فينا كما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: ما أتبع ولا أقبل إلا ما يوحىه الله لي فلست متقولا ولا مبتغيا دنيا ولا جاها ولا ملكا ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: أنذركم ما أمرت به بأن تعبدوا الله وحده وتجتنبوا الشرك وتؤمنوا بما أنزل الله إليكم في كتابه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: إبطال الله لطقن المشركين في القرآن وتنزيه رسوله

محمد ﷺ عن الكذب والإتيان بالقرآن من عنده كما زعم المشركون فيما أخبر الله عنهم بقوله ﴿وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِّبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(١). ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢). وفيها: أن رسالة محمد ﷺ لم تكن أول الرسائل، بل كانت متممة ومصدقة لها. وفيها: أن قول الله عز وجل ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي﴾^ط المراد به في الدنيا من المصائب أما في الآخرة فإن رسول الله ﷺ في الرفيق الأعلى؛ لأن الله عز وجل قال ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(٣). فقال المؤمنون في حينها: هنيئًا لك يا رسول الله فما لنا ؟ فأنزل الله عز وجل قوله ﴿لِيَدْخُلِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾^(٤).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِءِ فَتَأْمَنَ وَاسْتَكَبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١٠).

بيان الآية:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ﴾ أي: قل يا محمد

(١) سورة الفرقان الآية ٥ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٦ .

(٣) سورة الفتح من الآية ٢ .

(٤) سورة الفتح من الآية ٥ .

للمشركين الذين يكفرون بالقرآن أخبروني إن كان القرآن منزل من عند الله وكذبتكم به ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ المراد به: عبد الله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أي: شهد على مثل ما جئتمكم به ﴿فَنَآمَنَ﴾ أي: هذا الشاهد بالقرآن ﴿وَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي: عن الإيمان بالقرآن ألم تكونوا باستكباركم أشد الناس كفرا وظلما؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يهدي الذين يصرون على الكفر والاستكبار عن آيات الله.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية تقرير أن الشهادة أداة لإثبات الحق على شرط أن يكون الشاهد ممن تتوافر فيه شروط الشهادة وأولها: الإيمان المقتضي للعدالة كما قال تعالى ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ (١). وفيها: تحريم الاستكبار عن اتباع الحق واستحقاق صاحبه أشد العذاب كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٢). وفيها: أن الإصرار على المعاصي وعدم التوبة منها يؤدي إلى عدم هداية الله لصاحبها.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ

(١) سورة الطلاق من الآية ٢.

(٢) سورة غافر من الآية ٦٠.

لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبُ
مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾

بيان الآيتين:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾
أي: قال المشركون عن المؤمنين بالقرآن لو كان في هذا القرآن الذي
جاءنا به محمد خير لما سبقنا إليه هؤلاء الضعفاء والعبيد والإماء
ويقصدون بذلك بلالا وعمارا وخبابا وصهيبا رضي الله عنهم
وأرضاهم ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ أي: لما لم يهتدوا به ويعتبروا
بآياته وينعموا ببشارته بعد أن أعماهم الضلال فقد كذبوه كما أخبر
الله عنهم بقوله ﴿فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي: إنه مجرد
كذب أخذ من كلام الأولين وأساطيرهم ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَى
إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ أي: من قبل القرآن الذي أنزل على محمد أنزلنا
التوراة على موسى قدوة ورحمة ﴿وَهَذَا كِتَابٌ﴾ أي: هذا القرآن
﴿مُصَدِّقٌ﴾ لما سبقه من الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ﴿لِسَانًا
عَرَبِيًّا﴾ أي: أنزل بلسان عربي ﴿لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى
لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: ينذر الذين ظلموا بأنهم سيلاقون العذاب إذا
لم يتوبوا إلى الله ويستغفروه من ذنوبهم، وهو بشرى للمحسنين

الذين عملوا فأحسنوا في عملهم فاستحقوا بذلك حسن العاقبة.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن من ضل عن الهدى، واتبع هواه يتهم من اتبع الهدى بالجهل كما أن من جهل العلم يعاديه بالجهل، ومن فقد الإيمان يعاديه بعدمه كما هو حال المشركين والكفرة الذين لم يهتدوا بكتاب الله فاتهموه تارة بالسحر، وتارة بأنه من أساطير الأولين. وفيهما أن الكتب المنزلة من عند الله يصدق بعضها بعضاً، فالتوراة والإنجيل صدقا القرآن، والقرآن يصدقهما كما أنزلا، وقبل أن يتعرضا للتحريف وهكذا. وفيهما: أن نزول القرآن بلغة العرب تشريف لها، وهذا يقتضي الاهتمام باللغة العربية والدفاع عنها خاصة ضد المنحرفين الذين يحاولون تحويلها إلى لهجات حسب كل مكان تكون فيه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ المراد بهم: الذين كانوا يقولون في الدنيا إن الله ربهم لا يعبدون إلا إياه، ولا يخشون إلا

إياه، ولا يرجون إلا إياه، فلم يعبدوا صنما، ولم يتعلقوا إلا بربهم وقد استقاموا على ذلك، وأقاموا عليه في حياتهم إلى مماتهم.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: لا خوف عليهم من هول يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما تركوه في الدنيا ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إن هؤلاء الذين استقاموا هم الذين يرثون الجنة برحمة الله جزاء لما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب استقامة المسلم على طاعة الله غير مبدل ولا مغير وفي حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك؟ قال: (قل آمنتم بالله ثم فاستقم)^(١). وفيهما أن المستقيمين على طاعة الله لا يخافون من الفرع الأكبر يوم القيامة، ولا يحزنون على ما تركوه في الدنيا وأنهم هم الذين يرثون الجنة بفضل رحمة ربهم لهم جزاء استقامتهم على طاعته كما قال تعالى ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، برقم (٣٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٦٠٢.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٣.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١٥﴾
 أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ ﴿١٦﴾

بيان الآيتين:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ لما أوجب الله عز وجل على عباده في الآية السابقة توحيدة وطاعته والاستقامة على ذلك أمرهم ببر والديهم والإحسان إليهم والعطف والشفقة عليهم ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾ أي: عانت المشقة والتعب؛ بسبب الحمل ومضاعفاته ومخاطره ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: عانت من وضعه بما يصيبها من الآلام والمخاطر حين الطلق ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أي: مكثت الأم تحمله وترضعه وتربيته ثلاثين شهرا بكل ما فيها من المشقة فاقتضى هذا وجوب برّها وبرّ أبيه، فإن كانت الأم تعاني خلال هذه المدة من حملها وإرضاعها، فإن الأب يعاني من القيام عليها وعليه بما يجب من النفقة وغيرها ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ أي: قوي ونشط ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: اكتمل عقله وإدراكه فلم يعد

معرضا للتقلب في سلوكه ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أي: وفقني وألهمني وأرشدني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي﴾ قيل إن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد أسلم أبواه جميعا ولم يحصل لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره فأرضاه الله بهما^(١). وهذه الآية وإن كان نزولها في أبي بكر فهي عامة لكل مسلم أن يشكر الله على نعمة الإسلام والإيمان وأن جعل أبويه وذريته وزوجه على هذا الدين، فإن ذلك من نعم الله التي يجب أن تقابل بالشكر للمنعم والثناء عليه بما هو أهله. قوله ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ هذا ما قاله أبو بكر داعيا ربه أن يعمل من الأعمال ما يرضاه عنه ربه فاستجاب الله له فأعتق تسعة من المؤمنين ممن كان المشركون يعذبونهم ومنهم بلال بن رباح وعامر بن فهيرة ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ أي: وفق ذريتي لصلاحهم واستقامتهم وقد استجاب الله دعاءه فأمن أولاده جميعا ﴿إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وقد دعا أبو بكر بهذا الدعاء متوسلا إلى ربه أن يتوب عليه مقرا بأنه من المسلمين المستسلمين لله بطاعته والانقياد له والبراءة من الشرك به.

(١) والوالد هو أبو قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم وأمه سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد وأم أبيه أبي قحافة اسمها (قيلة) وامرأة أبي بكر الصديق اسمها (قتيلة) بنت عبد العزى. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٦ ص ١٩٤.

قلت: ودعاء أبي بكر رضي الله عنه وإنابته هما مثال للمسلم الصادق بأن يدعو ربه أن يوفقه للأعمال الصالحة وأن يتوب وينيب إليه وأن يثبته على دينه دين الإسلام الذي منّ الله به عليه فهداه له.

قوله ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ أي: أن هؤلاء الذين شكروا نعمة الله وأنابوا وتابوا إليه هم الذين يتقبل الله منهم حسن أعمالهم ويتجاوز عن سيئاتهم فهم من أهل الجنة ونزلاتها ﴿وَعَدَ الصِّدِّيقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي: هذا ما وعدهم الله به وهو وعد صدق لاشك فيه.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب بر الوالدين وما يقتضيه ذلك من طاعتهما والإحسان إليهما والدعاء لهما أحياء وأمواتاً وعدم الإساءة إليهما بأي صفة من صفات الإساءة كما قال الله عز وجل ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(١). ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٢). والأمر بالبر للوالدين يقتضي العموم، سواء كانا مسلمين

(١) سورة الإسراء الآية ٢٣.

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٤.

أَمْ كَافِرِينَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(١).

ومنها: أن أقل مدة الحمل ستة أشهر فأكثر؛ لأن الله تعالى قال ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٢) منها: حولان كاملان للرضاعة أي: أربعة وعشرون شهرا فما بقي من المدة وهو ستة أشهر كاف لأقل مدة الحمل، وقد فطن لهذا علي رضي الله عنه في قصة المرأة التي شكاه زوجها إلى عثمان؛ لكونها ولدت له ولدا في ستة أشهر فأمر عثمان برجمها فذكر له علي أن لا شيء عليها فكانت تقول لأختها لما بكى عليها: «وما يبكيك فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط فيقضي الله في ما شاء» فجاء الغلام مثل أبيه وعاقب الله زوجها بالآكلة حتى مات. وفيهما وجوب التوسل إلى الله والإنابة إليه بالتوبة والإقرار بالثبات على الدين الحق الذي ارتضاه الله وهو دين الإسلام. وفيهما: ثناء الله على أبي بكر الصديق حيث كان هو وأسرته من أوائل المسلمين.

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِ لَكُمْ أَعِدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلِكْ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ

(١) سورة لقمان من الآية ١٥.

(٢) قضى به علي رضي الله عنه انظر: تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٦٠، والجامع لأحكام القرآن

ج ١٦ ص ١٩٣.

مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي
أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ
دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ *

بيان الآيات:

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدَيْهِ أُفٍّ لَكُمْ﴾ قيل إن هذه الآية نزلت في أحد ابني بكر رضي الله عنهما قبل إسلامهما^(١) ولعل الصواب -والله أعلم- أنها عامة؛ ذلك أن الله عز وجل لما ذكر وجوب بر الوالدين والإحسان إليهما ذكر الحالة المنافية لهذا البر وهي حالة الولد العاق الملحد الكافر الذي قال لوالديه متأففا منهما ﴿أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ أي: تقولان لي بأني سوف أبعث من القبر بعد موتي ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ أي: قد مضت الأمم من قبلي فلم يبعث منهم أحد ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ وحينما يسمع والداه هذا منه يستغيثان الله ويسألانه الهداية له ويقولان لولدهما ﴿وَيْلَكَ ءَامِنٌ﴾ أي: آمن بالله وبالبعث والنشور ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: لا مرأى ولا شك فيه فيصر الولد على إلحاده وكفره وعناده فيقول ما أخبر الله عنه بقوله ﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما هذا إلا حكاياتهم وأباطيلهم المسطرة في كتبهم، وقد أخبر الله عن

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ١٦٧ .

هذا الملحد والعاق وأمثاله بقوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ فدل قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ﴾ أن المراد به ليس إنساناً بعينه بل كل من قال هذا القول في أي: زمان أو مكان ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: لكل جزاء عمله ﴿وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: سوف يوفى كل عامل عمله، فإن كان قد عمل خيراً وجد جزاء عمله أمامه يوم القيامة، وإن كان قد عمل شراً وجد جزاء عمله كذلك يوم القيامة ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لن يظلمهم الله من أعمالهم شيئاً ولو كان مثقال حبة من خردل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم عقوق الوالدين كما سبقت الإشارة إليه، وفي ذلك مفارقة كبيرة بين علاقة الوالدين بولدهما وعلاقتهما به؛ أما علاقتهما به فهي قائمة على التلطف به منذ كينونته حملاً في بطن أمه إلى أن يبلغ أشده وحتى بلوغه هذا الحد من عمره، فهما يشفقان عليه من المخاطر، ويعملان جهدهما لإرضائه ولم تكن هذه طبيعة الوالدين من البشر فحسب بل هي غريزة فطر الله عليها خلقه من الحيوانات والدواب والطيور، حتى إن الوالد من هذه الخلائق يفضل ولده على نفسه. ففي ذلك روت عائشة رضي الله عنها قالت: جاءني

مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما ثمرة ورفعت إلى فيها ثمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: (إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار)^(١).

وأما علاقة الولد بوالديه، فقد تكون على العكس من علاقتهما به فهو قد يتأفف منهما في كبرهما وقد يعقهما إلا من رحم الله. ولعلم الله بما يكون عليه الولد من هذا السلوك حرم عليه عقوقهما أيأ كانت درجته فقال عز من قائل ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(٢). وقال ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(٣). وفي حديث أبي بكرة نفي بن الحارث رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً؟) قلنا: بلى يا رسول الله. قال: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين..) الحديث^(٤). وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات، برقم (٢٦٣٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٧.

(٢) سورة الإسراء من الآية ٢٣.

(٣) سورة الرعد الآية ٢٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، برقم (٥٩٧٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٤١٩.

الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (من الكبائر شتم الرجل والديه)
 قالوا: يا رسول الله هل يشتم الرجل والديه؟ قال: (نعم يسب أباً
 الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه)^(١). وفيها: أن عذاب الله
 حق على الملحدين والكفرة والعاقين. وفيها: أن الله يوفي كل عامل
 بعمله كاملاً غير منقوص.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا
 وَاسْتَمَنَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ
 بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾

بيان الآية:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ أي: أبلغ يا محمد المشركين
 المكذبين لك أنهم يوم يعرضون على النار فيقال لهم في تقرير وإهانة
 لقد ﴿أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمَنَعْتُمْ بِهَا﴾ أي: كنتم
 متلذذين بالشهوات وأفنيتم شبابكم وأنتم في غفلة عن الآخرة ﴿فَالْيَوْمَ
 تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: تلاقون الذلة والهوان ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: كنتم تستكبرون عن عبادة الله وطاعته،
 وتستهنئون بآياته ورسوله كما كنتم تستكبرون وتستعلون على عباده

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (٩٠)، صحيح مسلم بشرح
 النووي ج ١ ص ٧٢٤.

المؤمنين ﴿وَمَا كُنْتُمْ نَفْسُقُونَ﴾ أي: وذوقوا عذاب الهوان؛ بسبب فسقكم وخروجكم عن طاعة الله وطاعة رسوله.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: التحذير من التلذذ بالشهوات في الدنيا والانغماس في ملذاتها؛ فروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو شئت كنت أطيبكم طعاما، وألينكم لباسا، ولكن أستبقي طيباتي للآخرة^(١). وكما روي أنه دخل على النبي ﷺ وهو في مشربته (أي غرفته) حين هجر نساءه قال: فالتفت فلم أر شيئا يرد البصر إلا أهباً (أي جلودا) معطونة قد سطع ريحها فقلت: يا رسول الله أنت رسول الله وخيرته، وهذا كسرى وقيصر في الديباج والحريز؟ قال: فاستوى جالسا وقال: (أفي شك أنت يا بن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا) فقلت: استغفر لي فقال: (اللهم اغفر له)^(٢).

وفي هذه الآية: تحريم الكبر والفسق والتحذير منهما؛ لأن الذل والخزي والصغار سيكون عاقبتهما يوم القيامة.

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٣ ص ٢١، والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٠١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، وقوله تعالى ﴿وَإِنْ تَطَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ برقم (١٤٧٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ٤٠١-٤٠٢.

عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُفَكِكَ عَنْ آلِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ
 الصّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي
 أَرَيْتُكُمْ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا
 هَذَا عَارِضٌ مُّثْمِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾
 تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزِي
 الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ أي: اذكر يا نبينا محمداً للمشركين المكذبين
 لك هودا عليه السلام ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ وهؤلاء قوم من
 أقوام اليمن كانوا يسكنون بالشحر^(١). أنذرهم هود من العذاب الذي
 حاق بهم إذ لم يوحدوا الله ولم يتوبوا من شركهم ﴿وَقَدْ خَلَّتْ
 الْأَنْذَرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: سبق أن كان قبله رسل أنذروا
 أممهم وحذروهم من العذاب قائلين لهم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أي:
 اجتنبوا عبادة الأصنام وغيرها واعبدوا الله وحده ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هذا قول هود لقومه وهو يدعوهم إلى عبادة
 الله وحده ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُفَكِكَ عَنْ آلِهَتِنَا﴾ أي: هل جئنا يا
 هود لتصرفنا عن آلهتنا التي نعبدها وكان آبائنا يعبدونها فإن كان

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٣ ص ٢٣، وتفسير البغوي ص ١١٨٨.

كذلك ﴿فَأَنبَأَ بِمَا تَعُدُّنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ أي: إن كنت صادقاً فأرنا ما تقول، وهذا استعجال منهم للعذاب؛ لأنهم غير مصدقين به ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِيعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: لا علم لي بعذابكم، وإنما علمه عند الله فهو أعلم بي وبكم وإنما أنا مبلغ لكم رسالته كما قال تعالى عنه ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ ﴿وَلَنَكَيِّ أَرَبُكُمْ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ﴾ أي: أرى أنكم بقولكم هذا لا تعقلون ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ أي: لما رأوا العذاب يجللهم من فوق رؤوسهم وقد اتجه إلى أوديتهم ومزارعهم ومساكنهم ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا﴾ أي: هذا سحاب سوف يطرنا ففرحوا واستبشروا به؛ لكونهم كانوا في حاجة ماسة للمطر ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: هذا هو العذاب الذي كنتم تستعجلونه استهزاء وتكديبا ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي: تخرّب هذا الريح بإذن الله كل ما أمرت بتدميره ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا مَسٰكِنُهُمْ﴾ أي: أهلكتهم الرياح فلم تبق لهم باقية إلا مساكنهم لتكون عبرة لغيرهم ممن يكذبون بآيات الله ورسله ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: هذه هي سنة الله التي مضت وحكمه وقضاؤه فيمن كذب آياته ورسله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان سنة الله في خلقه بأنه يرسل لهم الرسل

يبشرون من يؤمن منهم بالعاقبة الحسنى في الدارين وينذرون العصاة منهم ويحذرونهم من العذاب الذي سوف يحيق بهم إن لم يتوبوا إلى الله من عصيانهم. وفيها: البيان عن جهل بعض الأمم أو الأفراد في استعجالهم العذاب كما قال تعالى ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾^(١). وفيها: التوكيد على أن مهمة الرسل هي إبلاغ رسالات ربهم إلى أممهم. أما عذابهم بالعقاب العاجل أو الآجل فعلمه عند الله. وفيها: ما يجب أن يكون عليه المؤمن من الوجل من عقاب الله فقد يكون المطر عذابا، وقد تكون الريح كذلك. وفي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يبتسم. وقالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك في وجهه قالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية؟ فقال رسول الله ﷺ: (يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا)^(٢).

(١) سورة الشورى الآية ١٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيلًا أَوْدَيْنَاهُمْ قُلُوبَهُمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطَرْنَا﴾، برقم (٤٨٢٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٤٤١.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنْتَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا
وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ
كَانُوا يَمْجُحُونَ بِثَايَتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾
فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ
وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنْتَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل
يقول فيه: لقد مكنا الأمم السابقة في الدنيا وأعطيناها من الأموال
والأولاد والقوة أكثر مما أعطيناكم منه أيها المشركون ﴿وَجَعَلْنَا
لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا
أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: إن هؤلاء الذين أعطيناها من القوة في
أنفسهم وأموالهم لم يغنهم شيئا ولم يمنع عنهم العذاب وما ذاك إلا
لأنهم ﴿إِذْ كَانُوا يَمْجُحُونَ بِثَايَتِ اللَّهِ﴾ أي: ينكرون آياته البينات
﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: أحاط بهم العذاب الذي
كانوا ينكرونه ويستهزئون بمن ينذرهم به.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ﴾ المخاطب هنا: كفار
قريش والمراد لقد أهلكنا الأمم المكذبة برسالتها كعاد وثمود وقوم لوط

وهي قرى قريبة من الحجاز يراها أهل مكة حين يذهبون إلى الشام
فناسب تذكيرهم بها لعلمهم يتوبون ويرجعون عن شركهم وضلالهم
﴿وَصَرَفْنَا الْأَيْتَ﴾ أي: بيّناها وجعلناها واضحة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
أي: يتركون شركهم وكفرهم ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ
اللَّهِ قُرْبَانًا لِلْهِمَّةِ﴾ أي: فهلا نصرتهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله
عند حاجتهم إليها والجواب بالنفي ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ فلم ينفعوهم
بشيء ولو كان من قطمير ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ أي:
تخلوا عنهم وعن افتراءهم عندما عبدوهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن ما يعطيه الله الأمم من قوة مادية مختلفة
لا يغني عنها شيئاً إذا كفرت بآيات الله، فما أصاب الأمم السابقة
الهلاك إلا بسبب ذنوبها فلم تنفعها قوتها؛ لأن القوة التي يعطيها الله
أحداً من خلقه أمماً أو أفراداً إنما هي فتنة ليرى أيشكرون أم يكفرون.
وفيها: أن الله يبقي آثاراً من آثار الأمم الهالكة ليكون عبرة وعظة
لغيرها. وفيها: أن من يعبد غير الله لا ينفعه هذا المعبود يوم القيامة؛
لأن كلا يتبرأ من غيره كما قال تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ
اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾^(١).

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنْذِرِينَ ۖ﴾ (٢٩) قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرِمَكُمْ مِّنْ عَذَابٍ إِلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ ومقدمة هذه القصة: أن رسول الله ﷺ ذهب إلى ثقيف على يجد عندهم نصرا بعد أن وجد من قومه في مكة الهوان، فقص رؤساءهم وهم عبدياليل ومسعود وحبيب إخوة بني عمر بن عمير فدعاهم إلى الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به فقال أحدهم: يمرط (أي ينزع) ثياب الكعبة إن كان الله قد أرسلك. وقال الآخر: ما وجد الله أحدا يرسله غيرك. وقال الثالث: والله لا أكلمك كلمة أبدا إن كان الله قد أرسلك كما تقول، فأنت أعظم خطرا من أن أكلمك. وإن كنت تكذب فيما تقول فما ينبغي لي أن أكلمك. ثم أرسلوا سفهاءهم وعبيدهم يستبونه ويسخرون منه حتى اجتمع عليه الناس والجوؤه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني

ربيعة، ثم اتجه إلى ربه متوسلا وهو يقول: (اللهم إنني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي. لمن تكلني؟ إلى عبد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك).

فلما سمع ابنا ربيعة قوله، أشفقا عليه وقللا لغلام لهما نصراني يقال له (عداس): خذ قِطْفا من العنب وضعه في هذا الطبق ثم وضعه بين يدي هذا الرجل ليأكل منه. فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ قال عليه الصلاة والسلام: (بسم الله) ثم أكل، فنظر (عداس) إلى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال رسول الله ﷺ: (من أي: البلاد أنت يا عداس وما دينك؟) فقال عداس: أنا نصراني من أهل نينوى. فقال عليه الصلاة والسلام: (أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى) فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي) فانكبَّ عداس يقبّل رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه. فقال له ابنا ربيعة: لم فعلت هذا؟ فقال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا، أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي.

ولما يئس رسول الله ﷺ من ثقيف، قفل راجعا حتى إذا كان ببطن

نخلة قام من الليل يصلي، فمر به نفر من جن أهل نصيبين وقيل في سبب مرورهم: (إنه لما حيل بين الشياطين وخبر السماء رجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون معرفة الذي حال بينهم وبين خبر السماء. فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو ببطن نخلة وهو يصلي صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فلما رجعوا إلى قومهم ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(١). ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾^(٢).

فقوله تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: قل لقومك يا محمد من كفار مكة إن الجن قد آمنوا وهم لم يؤمنوا حيث جاءك نفر من جن أهل نصيبين ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾ أي: اسمعوا ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ أي: فرغ الرسول من القراءة ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ أي: رجعوا إلى قومهم وأهلهم في نصيبين وينيوى ينذرونهم من عذاب الله ويأمرونهم بعبادته وحده لا شريك له

(١) سورة الجن من الآية ١ .

(٢) سورة الجن الآية ٢، والقصة في الجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢١٠-٢١٣، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٦٩-٧٣، والجزء الأخير من القصة (داخل قوسين) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى (قل أوحى إلي)، برقم (٤٩٢١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٥٣٧ .

﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ أي: سمعنا هذا الكتاب الذي أنزل من بعد موسى وهذا الكتاب ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: مصدقا للكتب السابقة المنزلة على الأنبياء ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ أي: يرشد إلى الهدى ﴿وَالِإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: يرشد إلى الطريق القويم الذي لا عوج فيه ثم بدؤوا يدعونهم إلى الإسلام بقولهم ﴿يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ﴾ أي: أسلموا واتبعوا هذا الدين دين محمد ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: يغفر لكم الذنوب التي بينه وبينكم ﴿وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: ينجيكم من العذاب الشديد ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: من استكبر وعتا فإنه لا يعجز الله، بل يأخذه أخذ عزيز مقتدر ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ أي: لن ينجيه من عذابه أحد فلا ولي يواليه ولا ناصر ينصره ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: أن من لا يجيب داعي الله ضالُّ ضللا مبينا، وهذا ترهيب منهم لقومهم؛ لكي يسلموا ويتبعوا رسول الله ﷺ.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تأكيد وجود عالم الجن، وأن الله خلقهم أمة قائمة كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

فمن أنكر وجودهم فقد أنكر القرآن، وإنكار القرآن كفر. وفيها: الحكم بأن رسالة رسول الله ﷺ تشمل الجن كما ورد ذكره في قصة جن أهل نصيبين في قوله تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ وذلك أن الله أرسلهم ليتعلموا الدين بسماعهم لقراءة رسول الله ﷺ. وفيها: أن الله جل وعلا لا يغفر ذنوب العبد كلها، وإنما يغفر ما بينه وبين العبد. أما الذنوب المترتبة من حقوق العباد ففيها القصاص فيؤخذ من حسنات المذنب فتعطى لصاحب الحق أو يؤخذ من سيئات هذا فتوضع على غريمه وهكذا. وفيها: أن من يعرض عن إجابة الدعوة إلى الله معرض للهلاك.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَن اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ أَن يُخْشِيَ الْمَوْتِ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٣ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٤ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَمَهْلُ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ۝٣٥﴾

بيان الآيات:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَن اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ أَن يُخْشِيَ الْمَوْتِ﴾ أي: ألم ير هؤلاء المنكرون للبعث وهم

كفار قريش أن الله هو الذي خلق السموات والأرض وصنعهما بقدرته وعظمته، وأنه لم يتعب من خلقهما بل قال لهما: كونا فكانتا، أفلا يكون قادرا على إحياء الموتى وهو الذي خلقهم أصلا من العدم ؟ ثم أجاب جل جلاله بقوله ﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ثم توعده المشركين والكفرة المنكرين للبعث بقوله ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَىٰ النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾ أي: يوم يعرضون على النار فيرونها عيانا فيقول لهم خزنتها: أليس هذا العذاب بالحق ؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَيْنَا﴾ أي: نقر ونعترف بأنه حق ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: حينئذ ذوقوا العذاب جزاء كفركم.

ثم أمر عز وجل رسوله أن يصبر على تكذيب قومه له بقوله ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ المراد بهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام والمخاطب نبينا محمد ﷺ أي: كن مثلهم في صبرهم على تكذيب قومهم لهم ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾ أي: حينما يرون العذاب كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة رغم طول أعمارهم.

﴿بَلِّغْ﴾ أي: أن هذا القرآن بلاغ للناس عن أمر دينهم ودنياهم، وفيه هدايتهم إذا اهتموا بما فيه من الآيات البينات ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: لا يهلك الله إلا من فسق وأصر على فسقه وبلغه أجله دون توبة نصوح.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن البعث والنشور كائن لا محالة كما قال تعالى ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾^(١). ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢). ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣). إلى قوله ﴿وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾^(٤). ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾^(٥). ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾^(٦).

وفيها: أن من كذب بوجود الله أو ألحد في أسمائه، أو صفاته أو أنكر البعث أو كذب آيات الله أو أحداً من رسله أو كتبه يعد كافراً مستحقاً للعذاب. وفيها: وجوب الصبر على الدعوة إلى الله وعلى طاعته والصبر على النوائب؛ لما في ذلك من الثواب العظيم كما قال جل وعلا ﴿وَالْعَصْرِ﴾^(٧). ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾^(٨). ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٩). وفيها: أن الله لا يظلم أحداً من خلقه فلا يهلك إلا الفساق الذين يصرون على فسقهم فيرتكبون المحرمات، ويخرجون على أوامر الله ويموتون دون أن يتوبوا.

(١) سورة المطففين الآية ٤ .

(٢) سورة المطففين الآية ٥ .

(٣) سورة المطففين الآية ٦ .

(٤) سورة المطففين الآية ١٠ .

(٥) سورة المطففين الآية ١١ .

(٦) سورة المطففين الآية ١٢ .

(٧) سورة العصر الآية ١ .

(٨) سورة العصر الآية ٢ .

(٩) سورة العصر الآية ٣ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة محمد

مدنية وآياتها ثمان وثلاثون آية

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ١ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ٢ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ ٣ ﴿

بيان الآيات:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد بهم مشركو مكة فقد كفروا بآيات الله ولم يصدقوا رسوله ولم يصدقوا بالقرآن رغم نزوله بلغتهم ووضوحه لهم ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لم يكتفوا بكفرهم أنفسهم بل عملوا جاهدين لصدّ غيرهم عن سبيل الله فعذبوا المؤمنين مثل بلال وخباب ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: بسبب كفرهم وصدّهم عن سبيل الله أبطل الله أعمالهم فلا تقبل منهم حسنة ولا عمل ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهم الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكف الأذى ونحو ذلك من أفعال الخير ﴿وَعَمِلُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ وهو

القرآن حيث صدقوه وأحلوا ما أحله، وحرّموا ما حرّمه وعرفوا أنه منزل من عند الله لهداية عباده وأنه الحق الذي لا مرأى فيه كما قال تعالى ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ﴿كَفَرَعَنَّهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ هؤلاء كفر الله عنهم سيئاتهم جزاء أعمالهم ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: أصلح أمورهم في دنياهم ﴿ذَلِكَ يَأْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ أي: أن هؤلاء الكفار الذين أضل الله أعمالهم اتبعوا أوامر الشيطان وما زينه لهم من الكفر، أما المؤمنون الذين كفر الله عنهم سيئاتهم وأصلح أمورهم فهم الذين وصفهم بقوله ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وهو القرآن ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ أي: يبين لهم حال المؤمنين وما يتميزون به من الصلاح ويبين لهم حال الكافرين وما هم عليه من الفساد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أن من يكفر بالله، أو آياته، أو أحد من رسله أو شرائعه ويصد عن سبيله لا يقبل الله منه في الآخرة أي: عمل، بل يجعله في ضلال وخسران. وفيها: أن العبد على مفترق طريقين، فإما أن يكون مؤمناً بالله، وهنا يكون مستحقاً لرضاه فيكفر عنه سيئاته ويصلح أموره فيكون دائماً في حرز منه. وإما أن يكون هذا كافراً وصاداً عن سبيل الله، وهنا يكون محلاً لسخط الله وغضبه عليه.

وفيهما: أن الله يضرب للناس الأمثال ويبين لهم الحقائق؛ ليكون ذلك عوناً لهم على فهم أوامره والاهتداء بهديه والبعد عن غضبه.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا
الْوَتَاكَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ
لَأَنْتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن
يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا
لَهُمْ ۝٦﴾

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ هذا توجيه من الله في حالة الحرب التي يكون فيها المسلمون مع العدو وهي وجوب الشدة في القتال؛ لأن المراد هو الانتصار عليه ولا يكون هذا الانتصار إلا بالقوة في قتاله ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتُمُوهُمْ﴾ أي: أوسعتموهم قتلاً ﴿فَشُدُّوا الْوَتَاكَ﴾ المراد به الأسارى في الحرب والمعنى: أحكموا أسرهم حتى لا يفرّوا منكم وحينئذ أنتم وقائدكم في الحرب مخيرون إما أن تمنوا عليهم بإطلاقهم أو تأخذوا منهم الفداء، لقاء إطلاقهم كما قال تعالى في ذلك ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي: ليكن ذلك شأنكم مع العدو من قتل وأسر إلى أن تنتهي الحرب بينكم وبينه ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأَنْتَصَرْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: لو شاء الله لأهلك

أعداءكم دون قتال منكم، ولكن اقتضت حكمته اختباركم كما قال تعالى ﴿وَلَكِنْ لِّبَلِّئُوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: ليختبركم ويعرف مدى تحملكم وصبركم على الجهاد في سبيله وشاهده قوله عز وجل ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: لن يذهب أعمال هؤلاء الذين ضحوا في سبيله وجاهدوا من أجل نصرته دينه بل سوف ينمي أعمالهم ويدخرها لهم ليجدوا الجزاء عليها ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ أي: يدلهم على طريق الجنة ﴿وَيُصْلِحُ بِأَلْهَمِهِ﴾ أي: أحوالهم وأمورهم ﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ أي: يدخلهم الجنة التي بينها لهم في كتابه وعلى لسان رسوله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الجهاد من فرائض الله على المسلمين كما قال تعالى ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ جِهَادِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾^(٢). وقوله ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾^(٣). وهذه الفريضة من فرائض الله قائمة إلى قيام الساعة لا يحل لأحد أن يبطلها أو يؤولها

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٢ .

(٢) سورة التوبة من الآية ٧٣ .

(٣) سورة الحج من الآية ٧٨ .

أو يقلل منها فهذا هو حكم الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١). وفيها: أن قائد الحرب أو إمام الأمة مخير في حال الحرب بين المن على الأسارى بإطلاقهم، أو تقرير الفداء وذلك بعد أن يكون قد أظهر قوة الجيش في القتال كما قال تعالى مستنكرا المبادرة إلى الأسر قبل الإثخان بالقتل يوم بدر ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢). ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣). وفيها: البشارة العظمى للذين قتلوا في سبيل الله أن الله لن يضيع أعمالهم، بل ينمّيها لهم وسوف يهديهم إلى الجنة التي عرفها لهم في كتابه وعلى لسان رسوله كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(٤). وفيها: أن الله قادر على إهلاك الكافرين ولكن شرع الجهاد ابتلاء للأمة؛ ليرى مدى صبرها وقوتها وتضحيتها في سبيله كما قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا﴾ الآية^(٥).

(١) سورة المائدة من الآية ٥٠ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٧ .

(٣) سورة الأنفال الآية ٦٨ .

(٤) سورة يونس الآية ٩ .

(٥) سورة البقرة من الآية ٢١٤ .

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ءَاضِلٌ أَعْمَالُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ
اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾

بيان الآيات:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن ينصروه بالعمل من أجل إظهار دينه ونشره في الأرض بالدعوة إليه، ومجاهدة الأعداء الذين يصدون عنه، ونصرة دين الله تقتضي نصره رسوله باتباع أوامره، والالتزام بسنته والدفاع عنها والوقوف ضد من يتقول عليه أو يستهزئ به، أو يكذب بنبوته ورسالته ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ أي: إذا نصرتم دين الله ورسوله ربط الله على قلوبكم وثبتكم عند لقاء العدو ونصركم عليه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ءَاضِلٌ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: ليس لهم إلا العثار والشقاوة والهلاك وضلال أعمالهم بعدم قبولها ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: ما حصل لهم هذا الشقاء والهلاك إلا بسبب كرههم لكتاب الله وعدم التصديق به، فاقتضى عملهم هذا إحباط كل عمل من أعمالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن من نصر دين الله نصره على أعدائه

فهذا وعد من الله ووعد الحق كما قال تعالى ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^(١). ونصر دين الله يقتضي حكما نصره نبيه والدفاع عن سنته ومحاربة من يتقول عليه أو يستهزئ به أو يكذب بنبوته. وفيها: تقرير أن التعاسة والشقاوة من نصيب الذين يكرهون كتاب الله ويكذبون به.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾^(١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ^(١١).

بيان الآيتين:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ المراد بهم المشركون بالله المصريون على شركهم رغم ما جاءهم من البينات ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ألم يتفكروا فيمن تعرضوا للهلاك من الأمم السابقة المكذبة لرسُلها كقوم هود وصالح ولوط وشعيب حيث دمر الله بلادهم وحصونهم ومزارعهم بالصيحة والرجفة والريح العاتية ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ أي: أمثال ما حل بتلك الأمم وهذا تهديد لمشركي مكة أن يتفكروا فيمن قبلهم حتى لا يحل بهم ما حل بهم من العذاب ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: إن الله يتولى المؤمنين

بولايته فينصرهم على أعدائهم. أما الكافرون الذين كذبوا بآيات الله فليس لهم مولى يواليهم؛ لأنهم خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الاعتبار بما يصيب الآخرين في أنفسهم وأموالهم كما قال عز وجل ﴿فَاعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾^(١). وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٢). وفيهما أن ولاية الله خاصة لأهل الإيمان؛ بسبب صلاحهم كما قال تعالى ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٣). وأما الكفرة فلا ولاية لهم؛ لأنهم خسروا هذه الولاية بسبب كفرهم وإصرارهم عليه.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۝١٢ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝١٣ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَلِينَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۝١٤﴾.

(١) سورة الحشر من الآية ٢.

(٢) سورة ق الآية ٣٧.

(٣) سورة المائدة الآية ٥٦.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ هذا بيان من الله ووعد لعباده الذين آمنوا به وبرسله وكتبه أن يدخلهم الجنة بكل ما فيها من النعيم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ﴾ أي: يتلذذون بمتع الحياة الدنيا وشهواتها ﴿وَيَا كُلُّوْا كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ﴾ أي: مثلهم في أكلهم وشربهم مثل الأنعام التي لا تعرف إلا الأكل ﴿وَالنَّارُ مَطْوًى لَّهُمْ﴾ أي: مقرر ومقام لهم، وفي هذا وعيد شديد للذين يلهون في حياتهم الدنيا ويتمتعون فيها بالملذات وينسون الآخرة ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال: (أنت أحب بلاد الله إلي ولولا أن المشركين أخرجوني لم أخرج منك)^(١). والمراد أن كثيرا من القرى كان أهلها أكثر عددا وأموالا وحصونا من أهل مكة الذين أخرجوك ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ أي: أخذناهم بالعذاب فلم يجدوا ناصرا ينصرهم منه، وفي هذا تهديد ووعد شديد للمشركين الذين أخرجوا رسول الله ﷺ من بلده الذي كان يحبه.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي: من كان على بصيرة وبرهان

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٣٥، وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٧٨، وأخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب المناسك، باب فضل مكة، ج ٢ ص ١٠٣٧، برقم (٣١٠٨).

وإيمان بالله وبرسوله وكتابه. والمراد بهم: المؤمنون الذين آمنوا بالله وكتابه ورسوله يرجون ما عند ربهم ويخافون من عقابه ﴿كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: أن أولئك المؤمنين ليسوا مثل أهل الشرك والمعاصي الذين زينت لهم أنفسهم سوء أعمالهم فاتبعوا أهواءهم فلم يصدقوا ما جاءهم من عند الله على لسان رسوله فهم كالأنعام أو أضل سبيلا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان حال المؤمنين ونقيضهم، فالمؤمنون يدركون أنهم على طريق الآخرة فيعملون لها والمكذبون بآيات الله يتنعمون في الدنيا ويكفرون بالآخرة، فهم مثل الأنعام السائبة التي لا تفكر إلا فيما تأكل وتشرب. وفيها: تسلية رسول الله ﷺ عن الظلم الذي تعرض له من قومه حين آذوه واضطروه إلى ترك بلده الذي يحبه. وفيها: تقرير التضاد بين المؤمنين الذين يعملون وهم على يقين من ربهم وأولئك الذين يعملون تبعا لأهوائهم.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾

بيان الآية:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: صفتها التي وعد الله بها عباده وأوليائه المتقين الذين وضعوا أنفسهم في الدنيا على طريق الآخرة ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ أي: غير متغير ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ أي: لم يتطرق إليه فساد يغير طعمه ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ أي: وفيها أنهار من خمر فيه لذة لشاربيه على عكس الخمر في الدنيا التي تسكر أصحابها وتغير أمزجتهم ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ أي: في غاية الصفاء وعدم الكدر ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: ولهم في الجنة ما يرغبون فيه من كافة أنواع الثمار من الفواكه وغيرها ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي: مع هذه المزايا يغفر الله لهم سائر ذنوبهم فهل هؤلاء الذين أكرمهم الله وصدق فيهم وعده مثل المشركين المخلدين في النار الذين يسقون فيها الحميم الذي يقطع أمعاءهم كما قال عز وجل ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ الجواب: أن هؤلاء ليسوا كهؤلاء، فهل يدرك الذين يبارزون الله بالعداوة ولا يتوبون إليه ماذا سيكون مصيرهم يوم القيامة ؟

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن تقوى الله وطاعته هي السبب الموجب لرحمته كما قال

تعالى ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١). وقوله ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٢). وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٣). والآيات في هذا كثيرة. وفيها: البيان عن أنواع النعيم التي أعدها الله للمتقين. وفيها: الحكم بعدم التماثل بين أهل الإيمان وأهل الشرك والكفر.

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(١٦) وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ المراد بهم: المنافقون في المدينة، فقد كانوا يستمعون إلى رسول الله ﷺ وهو يتلو آيات الله ليس لقصد الانتفاع من السماع، ولكن ليشعروه بإيمانهم مع عدم صدقهم في بواطنهم ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من الصحابة ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ أي: ماذا قال سابقاً ؟ وذلك لأنهم لم

(١) سورة الأعراف من الآية ٣٥ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٩٨ .

(٣) سورة النحل الآية ١٢٨ .

يفهموا ما قاله عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم أصلاً لم يقصدوا الرغبة في السماع وقد وصفهم الله بقوله ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ختم عليها بسبب ماران عليها من الضلال ومجانبة الحق فتحولوا إلى منافقين ﴿وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: لم يتبعوا في نفاقهم سلطاناً أو برهاناً بل اتبعوا أهواءهم فضلوا.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ أما الذين يبتغون الهدى من ربهم ويتبعون ما أنزل على رسوله فقد زادهم الله هدى وثبتهم ووفقهم لدوام هدايتهم ﴿وَعَالَمُهُمْ يَقُونَهُمْ﴾ أي: أرشدهم إلى الأعمال التي توصلهم إلى هذه التقوى ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ المراد بهم كفار قريش أي: هل يستمرون على شركهم إلى أن تفاجئهم الساعة ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: ظهرت علاماتها وأولها: بعثة رسول الله ﷺ ﴿فَإِنِّي لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ أي: من أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة بغتة وهم عنها غافلون ؟

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بدم المنافقين والتنديد بهم وأن الله يطبع على قلوبهم، وقد بين الله عذابهم يوم القيامة بقوله عز ذكره ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾^(١). ﴿إِلَّا

(١) سورة النساء الآية ١٤٥ .

الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ ﴿١﴾. وقوله جل ثناؤه ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٢﴾. وفيها: تقرير أن للساعة علامات منها: بعثة رسول الله ﷺ، ففي حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (بعثت أنا والساعة كهاتين) وضم السبابة والوسطى ﴿٣﴾. ومنها: انشقاق القمر كما قال تعالى ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ﴿٤﴾.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾.

بيان الآية:

﴿فَاعْلَمْ﴾ المخاطب هنا هو الإنسان في عمومه والمعنى: اعلم علم جزم ويقين ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هذا هو توحيد الألوهية بكل أحكامه. ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ أي: اطلب من ربك المغفرة. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي

(١) سورة النساء من الآية ١٤٦.

(٢) سورة التوبة الآية ٦٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، من سورة النازعات، باب (١)، برقم (٤٩٣٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٥٦٠.

(٤) سورة القمر الآية ١.

وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي
 وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي^(١). وكان عليه الصلاة والسلام يقول:
 (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)^(٢).
 ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: استغفر للمؤمنين والمؤمنات؛ لأنهم
 لما آمنوا بالله حق الاستغفار لهم من ذنوبهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ
 وَمَثْوَاكُمْ﴾ أي: يعلم أحوالكم في ليلكم ونهاركم كما قال عز وجل
 ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا
 كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣).

أحكام ومسائل الآية:

وجوب العلم بأنه لا إله إلا الله وحده، وهذا العلم يقتضي عدة
 أحكام: منها: العلم بأن الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن.
 ومنها: العلم بأنه الذي فطر السموات والأرض وأبدعهما وأنشأهما
 من العدم. ومنها: العلم بأنه الذي خلق الخلق كلهم وهم: الملائكة
 والإنس والجن وسائر الكائنات الأخرى من الحيوانات والدواب وما
 في البر والبحر من المخلوقات المختلفة؛ والعلم بأنه المتفرد بهذا الخلق

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء للمشركين برقم (٦٣٩٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٢٠٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، برقم (٦٣٠٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ١٠٤.

(٣) سورة هود الآية ٦.

فلا يشاركه فيه أحد. ومنها: العلم بأن الله يعلم كل ما في السموات والأرض وما بينهما فلا يغيب عن علمه أي: شيء مهما كان حجمه واسمه. ومنها: أنه المتفرد بهذا العلم ولا يشاركه فيه أحد من خلقه، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل. ومنها: أنه المتفرد بعلم الساعة، فلا يعلم قيامها إلا هو. ومن هذه الأحكام: أنه هو المدبر والمتصرف في الكون علوه وسفله وما يحدث فيه من حادث وما ينزل فيه من نازلة إلا وهو يعلمها. ومنها: أنه متفرد عن خلقه بذاته العلية وأسمائه وصفاته، فليس له من ند ولا مثيل ولا نظير. ومن هذه الأحكام: أنه المستحق وحده للعبادة قولاً وعملاً، وأن أي: عبادة لما سواه تعد عبادة باطلة عاقبتها العذاب والخسران.

ومن أحكام الآية: وجوب استغفار العبد من ذنوبه وأن يستغفر كذلك للمؤمنين والمؤمنات لأنهم إخوانه وأوليائه كما قال تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾^(٢) فَهَلْ

(١) سورة التوبة من الآية ٧١.

عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ هذه من الآيات التي نزلت في المدينة حيث إن قتال المشركين لم يفرض إلا فيها والمراد أن الناس كانوا يقولون بينهم: هلا أنزلت سورة تأمر بالجهاد وتشرعه حتى نجاهد في سبيل الله، ولما فرض الجهاد تخلص عنه بعض الناس وقد أخبر الله عن ذلك بقوله ﴿فَإِذَا أَنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ أي: أنزلت سورة غير منسوخة تحت على الجهاد وتبين فضله ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: المنافقين ينظرون إليك ﴿نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: تراهم وكأن الموت يتغشاهم من شدة فزعهم وجبنهم عن القتال وخوفهم من الموت ﴿فَأَوَلَىٰ لَهُمْ﴾ أي: كان الأحق بهم ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي: امتثال ما أمروا به سواء في الأفعال أو الأقوال ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ أي: لو أنهم صدقوا الله في طلبهم الجهاد ومعاهدتهم لرسول الله على القيام به لكان ذلك أفضل لهم من النكول عنه ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: يتوقع منكم أنكم

إذا توليتم الإمارة ونكلتم عن الجهاد وتخليتم عنه ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تعودوا إلى سابق عهدكم من الاقتتال والفساد في الأرض وقطيعة الأرحام ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ أي: أن أولئك الذين يفعلون هذه الأفعال الفاسدة قد لعنهم الله فأصم آذانهم عن سماع الحق، وأعمى عيونهم من النظر إليه، فهم مطرودون من رحمة الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: عدم جواز التمني على الله، فقد أمر الله عباده أن يسألوه حاجاتهم كما قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(١). وهذا يقتضي عدم جواز التمني عليه كما قال عليه الصلاة والسلام: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله)^(٢). وفيها: التنديد بالجبن والخور كما قال تعالى ﴿الْمُرْتَدَّ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ

(١) سورة البقرة من الآية ١٨٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب (٢٥)، برقم (٢٤٥٩)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٥٥٠، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، برقم (٤٢٦٠).

الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿١﴾.

وفيها: تحريم الفساد في الأرض وتوعد أصحابه بأشد العقوبات، سواء كانوا ولاة أمر أو أفراداً، والأحكام في هذا كثيرة، منها: قوله ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿٢﴾. وفيها: تحريم قطيعة الرحم، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن عز وجل فقال لها: مه قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يارب، قال: فذاك) قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿٣﴾.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ

(١) سورة النساء الآية ٧٧ .

(٢) سورة الرعد الآية ٢٥ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَتُقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾، برقم (٤٨٣٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٤٤٣ .

اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ
إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ
أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾

بيان الآيات:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ لما ذكر الله حال المنافقين وسلوكهم قال عز ذكره في سياق الاستفهام الإنكاري لهم: أفلا يتدبرون القرآن؛ لكي يعلموا مافيه من الهدى فيهدتوا به؟ ﴿أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ أي: هل طبع الله على قلوبهم؛ بسبب نفاقهم فانغلقت فأصبحوا لا يعرفون الحق من الباطل والهدى من الضلال ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ أي: إن رجعوا إلى النفاق بعد أن تبين لهم الحق وهو نبوة رسول الله ﷺ ورسالته ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ أي: إن الذي دفعهم إلى النفاق هو تزيين الشيطان لهم سوء أعمالهم، ووعدهم لهم الأمانى الكاذبة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: قال هؤلاء المنافقون للمشركين الذين كذبوا بالقرآن: سوف نطيعكم سرّاً في بعض الأمور فنكون على صلة

بكم ومودة لكم، وعدم الخروج لقتالكم وسنتواطأ معكم في كل ما يصرف الناس عنكم. وقد كشف الله زيف هؤلاء المنافقين وتوعدهم بالعذاب بقوله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ أي: ما كانوا يخفونه في صدورهم خلافا لما كانوا يظهرونه للمؤمنين من المودة ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَكَةُ﴾ أي: كيف تكون حالهم إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أي: لإخراج أرواحهم من أجسادهم بالقوة والعنف ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ أي: أن هذا العذاب الذي نزل بهم هو بسبب اتباعهم للشيطان وأهوائهم فاسخطوا الله وابتعدوا عن كل ما يرضيه من الأعمال الصالحة ومنها الجهاد ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: أبطلها وجعلها هباء منثورا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب تدبر القرآن وجوب عين على كل مسلم؛ لما فيه من الهداية كما قال تعالى ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١). وفيها: أن سبب النفاق هو سيطرة الشيطان على النفس وتزيينه أعمال السوء لها ووعداها الوعود الكاذبة وانخداعها بهذه الوعود. وفيها:

(١) سورة البقرة من الآية ٢.

أن المنافق إذا رجع عن طاعة الله إلى معصيته واتفق مع الأعداء على عدم الجهاد في سبيل الله ومالاً الأعداء على المؤمنين يعد مرتداً. وفيها: بيان ما يلاقيه المنافق ومن هو في حكمه من الكفرة عند الاحتضار، وفي القبر. وفيها: أن الله لا يتقبل أعمال المنافقين بل يحبطها ويجعلها هباء منثوراً.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَثَهُمْ﴾
 ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

بيان الآيات:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَثَهُمْ﴾
 استفهام إنكاري والمراد أيظن المنافقون أن الله لن يكشف حقدهم وضغينتهم لرسوله وعباده المؤمنين حتى يكونوا على علم بهم؟ بلى سوف يفضحهم الله ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾
 أي: لو أردنا لكشفناهم لك لتعرفهم بأسمائهم، ولكن أردنا الستر عليهم لعلهم يتوبون من نفاقهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: سوف تعرفهم من أقوالهم ومقاصدهم إذا تكلموا عندك؛ لأن ما يخفيه

الإنسان في قلبه يظهر على قسمات وجهه ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: يعلم ما تعملون من سر وجهر، وسوف يجازيكم عليه ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: سوف نفتنكم بالجهاد ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ أي: حتى نعرف من هو المجاهد منكم بقلبه وجسمه ومن هو الصابر عليه والمحتسب فيه الذي يبتغي وجه الله وإعزاز دينه ونصرة رسوله ﴿وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ أي: نمتحن ونعرف مدى صدقكم فيما تقولون وتتحدثون عن أنفسكم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله بين أسرار المنافقين وخفائهم في سورة التوبة كما قال تعالى ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(١). وقد أخفى أسماء بعض المنافقين سترًا لهم، علمهم يتوبون من نفاقهم. وفيها: تقرير حقيقة عضوية، وهي أن ما يخفيه المرء في صدره من النفاق أو الكذب أو الفرح أو الغضب يظهر على قسمات وجهه كما يظهر من خلال حديثه، فيدل الظاهر على الباطن منه. وفيها: أن الله يبتلي عباده إما بما يوجب الجهاد عليهم، أو بما يصيبهم به من النوازل ليعرف مدى صبرهم وقوة إيمانهم، وفي هذا قال الإمام ابن كثير: وليس في

(١) سورة التوبة من الآية ٦٤.

تقدم علم الله بما هو كائن أنه سيكون شك ولا ريب، فالمراد حتى نعلم وقوعه، ولهذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما في مثل هذا: إلا لنعلم أي: لنرى^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ﴾ ﴿٣٢﴾

بيان الآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الذين كذبوا بآيات الله ورسوله ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أنكروا الإسلام وصدوا عنه بالكذب وقول الباطل وآذوا المؤمنين به ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ أي: كذبوه وعاندوه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ أي: بعد ما جاءهم بالبينات وتبين لهم صدق نبوته ورسالته ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ لأنه القاهر لهم والقادر عليهم، وإنما يضرّون أنفسهم؛ لأنه يحبط أعمالهم فلا يثيبهم على أي: عمل قدموه كما قال تعالى ﴿وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ﴾.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الكافر لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله؛ لأنه أعظم من أن يضره كفر أحد من خلقه. وفيها: الحكم بأن أعمال المشركين

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٩٤.

والكفرة من بر أو صدقة أو نحو ذلك مردودة عليهم؛ لأن الله لا يقبل منهم عدلا ولا صرفا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (٢٣) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (٢٤) ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٢٥).

بيان الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ لما ذكر الله حال المنافقين وكفرهم بالله ومشاققتهم لرسوله أمر المؤمنين أن يطيعوه كما أمرهم أن يطيعوا رسوله، وطاعة الله وطاعة رسوله تقتضي الاستجابة لأمرهما والانتفاء عن نهيهما ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: لا تبطلوها بارتكاب الكبائر والمعاصي ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ المراد بهم الذين يكفرون بالله قولا أو فعلا ويصدون خلقه عن الإيمان به فيزينون لهم الباطل ويكرهون لهم الحق ويغرونهم بالمعاصي ويموتون وهم على تلك الحال دون توبة فهولاء لن يغفر الله لهم ذنوبهم قوله ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ أي: لا تضعفوا وتركوا منازلة الأعداء وتستسلموا

لهم وأنتم أقوىاء بإيمانكم، وفوق ذلك أن الله معكم بنصره إذا عرف صدقكم وجهادكم في سبيله ﴿وَلَنْ يَزِيْرَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي: لن ينقصكم ثواب أعمالكم بل يضاعفه لكم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب طاعة الله وطاعة رسوله كما قال تعالى ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الآية (١). وقوله عز ذكره ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٢). وفيها: النهي عن إبطال الأعمال بعد عملها، ويشمل ذلك ما يعمله المسلم من صلاة وزكاة وصيام وحج وغير ذلك؛ فإبطال الصلاة يكون بالرياء فيها، وإبطال الزكاة يكون بالمباهاة فيها، وإبطال الصيام بالغيبة والنميمة، وإبطال الحج بالرفث والفسوق فيه، وذلك لأن تمام كل عمل وقبوله من الله مبني على النية فيه وعلى تجريده من مبطلاته. وفيها: وجوب التوبة من الأعمال الفاسدة قبل الممات. والآيات والأحكام في وجوب التوبة كثيرة كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣).

(١) سورة الأنفال من الآية ٤٦ .

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٧١ .

(٣) سورة النساء الآية ١٧ .

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتْتُ الْأَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١). وفيها: النهي عن الاستكانة للأعداء ومسالمتهم وترك قتالهم إذا كان المسلمون في حال من القوة، أما إذا كان المسلمون في حال من الضعف والكافرون أشد منهم قوة وجبت مهادنتهم والصلح معهم مع وجوب الاستعداد بالقوة لمنازلتهم إذا استمروا على عداوتهم.

﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾^(٣٦) **﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجَ أَضْعَانَكُمْ﴾**^(٣٧) **﴿هَآئِنْتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾**^(٣٨).

بيان الآيات:

﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾ هذا هو واقع الحياة ونتيجتها إلا ما كان منها لله عز وجل من الأعمال الصالحة ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ﴾ أي: إن تؤمنوا بالله وتطيعوه بما أوجبه عليكم

وتتقوه باجتنباب نواهيه، فإنه سوف يؤتكم ثواب هذا الإيمان وهذه التقوى ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ لأنه غني عنكم، وإنما أراد منكم الإنفاق في سبيله كالجهاد ومساعدة إخوانكم المحتاجين ليكون ذلك عوناً لهم وثواباً لكم في الآخرة ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ هَا فَيُخَفِّكُمْ تَبَخَّلُوا﴾ أي: لو سألكم كل أموالكم لكان في ذلك إحقاء لكم أي: إجهاد لكم يجعلكم تبخلون بها ﴿وَيُخْرِجَ أَضْعَانَكُمْ﴾ أي: أحقادكم فتكرهون الدين وتنفرون منه ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ﴾ أي: أنتم تدعون لتبذلوا جزءاً من أموالكم في الجهاد أو في دفع الزكاة لأصحابها أو الصدقة للمحتاجين من المسلمين ومع ذلك منكم من يبخل أي: يكره أن يفعل ذلك ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ﴾ أي: إنما حرم نفسه من الأجر والثواب فيعود إثم ذلك عليه، أما الله فهو الغني بذاته العلية وقدرته العظيمة عن خلقه وهم فقراء إليه في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ قوله ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: تعرضوا عن طاعته وطاعة رسوله مما أمركم به من الأقوال والأفعال في المعتقدات والعبادات ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت بأقوام آخرين يطيعونه ولا يعصونه ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ أي: لا يكونوا مثلكم في المعصية.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التحذير من غرور الدنيا واللغو واللعب فيها وترك العمل للآخرة كما قال تعالى ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾^(١). وقوله ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٢). وفيها: الحكم بدم البخل والإعراض عن الإنفاق في سبيل الله وتقرير أن من يبخل إنما يبخل عن نفسه فيحرمها ثواب البذل والعطاء؛ أما الله فهو غني بذاته العلية عن خلقه كما قال تعالى ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾^(٣). وقوله ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾^(٤). وفيها: أن من يتول عن طاعة الله ويعرض عن أوامره يأت الله بأفضل منه كما قال تعالى ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ الآية^(٥).

(١) سورة آل عمران من الآية ١٨٥ .

(٢) سورة فاطر الآية ٥ .

(٣) سورة الأنفال من الآية ٦٠ .

(٤) سورة المزمل من الآية ٢٠ .

(٥) سورة المائدة من الآية ٥٤ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفتح

مدنية وآياتها تسع وعشرون آية

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا
تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ، عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ
نَصْرًا عَزِيزًا ۝ (٣)﴾

بيان الآيات:

نزلت هذه السورة بعدما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في شهر ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة النبوية بعدما صده المشركون عن المسجد الحرام الذي جاء إليه هو وأصحابه للاعتمار ثم مالوا بعد ذلك إلى الصلح وأن يرجع عليه الصلاة والسلام عنهم ذلك العام، ثم يأتي العام القابل فوافقهم على ذلك، فلما نحر الهدى الذي أحضره معه ورجع أنزل الله هذه السورة^(١) بقوله عز وجل ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ فالفتح المراد هنا يوم الحديبية؛ لأن فيه ما بعده من الخير الكثير، ومن ذلك اطمئنان الناس بالأمن والتواصل، وما حدث من فتوحات ونصر للإسلام ومن ذلك فتح مكة وخيبر وغيرهما.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ١٨٥ .

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ أي: ليغفر لك؛ بسبب جهادك وصبرك وتحملك المشاق في سبيل الدعوة إلى الله وفي حديث أنس: أن رسول الله ﷺ قال: لما نزلت عليه هذه الآية بعد رجوعه من الحديبية: (لقد أنزلت علي الليلة آية أحب إلي مما على الأرض) ثم قرأها عليهم فقالوا: هنيئاً مريئاً يا رسول الله لقد بين الله عزوجل ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله قوله ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(١). ﴿وَبِئْتَهُ نِعْمَتُهُ، عَلَيْكَ﴾ أي: في الدنيا بالنصر والفوز، وفي الآخرة بما اختصه الله به من الفضائل الكبرى كالشفاعة العظمى ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: بما ينزله عليك من أحكام الدين وشرائعه وهدايته للناس ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ أي: سوف ينصرك على أعدائك نصراً مؤزراً تفرح به وتقر به عينك.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الفتح المراد هو يوم صلح الحديبية وفي هذا: روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية. كنا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة والحديبية بئر

(١) أسباب نزول القرآن للواحد ص ٦٠٨، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص ١٢٢.

فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبّه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا^(١). وفيها: أن المراد بالذي غفر الله لرسوله ﷺ ليس ذنبا بسبب كبيرة من الكبائر فحاشاه عليه الصلاة والسلام، وإنما المراد ذنوب المتقين الأبرار. وفيها: أن الله عز وجل أتم نعمته على رسوله بالفتوحات العظيمة ونصره على أعدائه وهداه إلى الصراط المستقيم بما أوحى إليه من الآيات والأحكام العظيمة التي أنزلها رحمة لعباده.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾
 لِيَدْخُلِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾
 وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ ۚ بِاللَّهِ ظَنَنْتُ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾
 وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية وقول الله ﷻ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، برقم (٤١٤٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٧ ص ٥٠٥.

بيان الآيات:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ❀ أي: أن الله هو الذي أنزل الطمأنينة على أصحاب رسول الله ﷺ يوم الحديبية، وكانوا ألفا وأربعمائة بعد أن أصابهم نوع من القلق والشدة لما علموا بالصلح، وعدم تمكنهم من الاعتماد الذي جاؤوا من أجله، وقد تبين ذلك من قول عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنهما: أليس محمد رسول الله؟ قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، فقال عمر: لماذا نعطي الدينية في ديننا؟ فقال أبو بكر لعمر: الزم الأمر فلن نفارقه فإني أشهد أنه رسول الله. فقال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله وكما قال عمر هذا القول لأبي بكر قاله لرسول الله ﷺ: فأجابه عليه الصلاة والسلام قائلا: (أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني) (١).

قوله ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ ❀ أي: يزداد إيمانهم بأنهم على الحق وأن الله ناصرهم على عدوهم ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ❀ أي: له القوة، فلو شاء لأرسل ملائكته فأهلك من يعادي دينه، ولكن حكمته اقتضت أمر العباد بالجهاد ليكون في ذلك خير لهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ❀ أي: كان لا يزال عليما بأحوال خلقه حكيمًا

في تدبيره لهم وتصرفه فيهم ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ ﴿٢٦﴾ هذا وعد منه عز وجل ووعد الحق أنه سيدخل عباده المؤمنين والمؤمنات جناته بما فيها من النعيم ويخلدهم فيها ويكفر عنهم خطيئاتهم فلا يحاسبهم عليها ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٢٧﴾ أي: هذا الذي يحصل لهم هو الفوز العظيم من ربهم.

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ﴾ ﴿٢٨﴾ بِأَللَّهِ ظَنُّكَ السَّوْءُ ﴿٢٩﴾ أي: يحاسب ويعاقب هؤلاء على نفاقهم وشركهم وظنهم السيئ بأن الله لن ينصر رسوله وأن أصحابه الذين صدقوه سيقتلون، ولن يكون لهم نصر فمقت الله هؤلاء على ظنهم وقال ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ ﴿٣٠﴾ أي: سوف تدور عليهم دائرة السوء وعليهم الغضب من الله والطرده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٣١﴾ أي: هيا لهم جهنم ليعذبوا فيها وبئس المصير الذي يصيرون إليه فيها ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿٣٢﴾ أي: له الملائكة في السموات وفي الأرض ينتقم بها من أعداء دينه ورسوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ ﴿٣٣﴾ أي: غالبا في مراده ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿٣٤﴾ في تدبيره.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الله أنزل السكينة على صحابة رسول

الله ﷻ لما علموا من صلح الحديبية أنهم لن يتمكنوا من الاعتماد في ذلك اليوم. وفيها: تقرير وعد الله لعباده المؤمنين بإدخالهم الجنة وتخليدهم فيها، وتكفير سيئاتهم. وفيها: الوعيد بالعذاب للمنافقين والمشركين لقاء نفاقهم وشركهم وظنونهم السيئة بأن الله لن ينصر رسوله وأصحابه. وفيها: الحكم بأن الله إذا شاء أرسل جنوده في السموات والأرض للانتقام من أعداء دينه إلا أنه شرع الجهاد لعباده ليكون في ذلك خير لهم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ هذا من نعم الله على عبده ورسوله محمد ﷺ وامتنانه عليه بأنه أرسله لأمرته شاهدا لله تعالى بأنه الرب الخالق الذي لا خالق غيره، وأنه الإله الواحد الذي لا إله غيره وشاهدا على الخلق يوم القيامة بما بلغهم به من رسالة الله إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين بأن لهم الفوز في الدنيا والآخرة ﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: منذرا للمشركين والمنافقين بأن لهم العذاب إذا لم يتوبوا إلى الله ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: أرسلنا نبينا ورسولنا محمدا إليكم لتؤمنوا بالله أنه الإله الحق، وتؤمنوا بأن رسوله مرسل من عنده

﴿وَتَعَزَّزُوهُ﴾ أي: تنصروه ﴿وَتُوقِّرُوهُ﴾ أي: تقدروه وتبجلوه، وهذا التعزيز والتوقير واجب على العباد لله ورسوله ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: تنزهوا الله في الغداة والعشي، وذلك ذكره وهذا خاص به وحده.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير: نبوة رسول الله ﷺ وأن الله أرسله إلى الثقلين الإنس والجن كما قال تعالى ﴿قُلْ يَتَايَهُمَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(١). وفيهما الثناء على رسول الله ﷺ من ربه بأنه شاهد ومبشر للمؤمنين ونذير للكافرين. وفيهما: وجوب الإيمان بالله ورسوله وتوقيره ووجوب تسبيح الله في الصباح والمساء بما يقتضي ذكره وتقديسه وتعظيمه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُ جَزَاءٌ عَظِيمًا﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٨ .

هذا بيان من الله لرسوله بأن الذين يبايعونه على قتال المشركين إنما يبايعون الله؛ لأنه الذي أمر بقتالهم حتى يسلموا فلهذا قال ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُسَوِّتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وذلك لائتمارهم بما أمرهم به وهذه البيعة هي بيعة الرضوان^(١).

﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ أي: نقض ما عاهد عليه ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ أي: إثم نكثه على نفسه، أما الله فغني عنه ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ أي: استمر على عهده، فجاهد مع الرسول صابرا محتسبا ﴿فَمُسَوِّتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: يعطيه الأجر العظيم وهو الجنة والخلود فيها.

(١) قال ابن اسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: لا نبرح حتى نناجز القوم، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: يبايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت، ولكن يبايعنا على أن لا نفر. فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها، إلا الجد بن قيس، أخو بني سلمة، فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأنني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقتة. قد ضبأ إليها، يستتر بها من الناس. ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل. السيرة النبوية لابن إسحاق ج ٢ ص ١٣١.

قال ابن هشام فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي: أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي.

قال ابن هشام: «وحدثني من أثق به عن حدثه بإسناده له عن ابن أبي مليكة عن ابن أبي عمر: أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان، ف ضرب بإحدى يديه على الأخرى». السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٤٣٨-٤٣٩.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: وجوب الوفاء بالعهد، وهذا يشمل عهد العبد مع ربه بما يجب عليه من توحيدهِ وطاعته وترك معاصيه وهو العهد الأول كما قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١). الثاني: عهد العبد مع الخلق كما هو الحال في الأمانة والدين وغير ذلك من أنواع التعامل. والأصل في وجوب الوفاء بالعهد قول الله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٢)، وقوله ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٣). والوفاء بالعهد يقتضي تحريم نقضه كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا ءَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(٤).

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسَّيْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

(٢) سورة المائدة من الآية ١ .

(٣) سورة الإسراء من الآية ٣٤ .

(٤) سورة الرعد الآية ٢٥ .

خَيْرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا
وَزَيَّتَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾
وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾

بيان الآيات:

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ المراد بهم أعداد من القبائل التي كانت تسكن حول المدينة مثل: غفار ومزينة وجهينة وغيرهم استنفروهم رسول الله ﷺ للخروج معه إلى مكة للعمرة فاختاروا عدم الخروج بعد أن ظنوا أن قريشا سوف تنتصر على رسول الله وعلى المؤمنين، فلما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية أنزل الله عليه هذه الآية بأن هؤلاء الأعراب سوف يعتذرون إليك ويقولون ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ فاضطررنا إلى التخلف عنك من أجل القيام عليها ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ أي: اطلب من الله أن يتجاوز عن خطئنا بعدم الخروج معك، ولأنهم لم يكونوا صادقين في قولهم أنزل الله قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: لم يكونوا صادقين بأن أموالهم وأهليهم سبب تخلفهم، بل كان السبب خوفهم وظنهم السيئ ولهذا أمر الله رسوله أن يقول لهم ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ أي: قل لهؤلاء المتخلفين: هل يرد عنكم ما يريد الله بكم من الضر أو

يرد عنكم ما يريد الله لكم من الخير إذا أنتم عصيتم أمر الله وأمر رسوله؟ والجواب أنه لا أحد ينفعهم قطعاً. ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: خبيراً بنواياكم وظنونكم السيئة في الله ورسوله كما قال تعالى ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ أي: داخلكم الظن بأن قريشا سوف تقتل محمداً وأصحابه فلن تبقى لهم باقية فأردتم أن تجعلوا معها يداً ﴿وَزُيِّنَتْ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: زينته الشيطان لكم ليصدكم عن سبيل الله وليحرمكم مما حصل من الأجر العظيم للذين استجابوا لرسول الله فخرجوا معه وبايعوه ﴿وَوَظَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ أي: أن الرسول ومن معه لن يرجعوا إلى المدينة ولا إلى أهلهم ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ أي: فاسدين في عقيدتكم. ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ أي: أن من لم يؤمن بالله حقاً وصدقاً وإخلاصاً فإن الله أعد له ولكل الكافرين عذاب السعير.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: كشف الله ستر المتخلفين عن العمرة مع رسول الله ﷺ وكذبهم في الاعتذار وإظهار أن سبب تخلفهم الخوف والظن في الله ظن السوء واعتقادهم أن الرسول ومن معه لن يرجعوا إلى المدينة؛ لأن قريشا سوف تقتلهم. وفيها: الحكم بأنه لا أحد في الوجود يقدر على

نفع أحد أو ضره، بل إن الله هو القادر وحده على ذلك. وفيها: تحريم ظن السوء بالله أو رسوله لقول رسول الله ﷺ: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)^(١). وفيها: أن عدم الإيمان بالله ورسوله موجب لأشد العذاب يوم القيامة.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ 

بيان الآية:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ لما ذكر الله عز وجل حال المتخلفين وما كانوا عليه من الظن السيئ وكذبهم في اعتذارهم، بين أن ملك السموات والأرض كله له وأنه يغفر لمن يشاء من عباده، بسبب توبته ويعذب من يشاء بسبب إصراره على الكفر. وفي هذا إشارة إلى أن الله غفر لمن تاب منهم وعفا عن سيئاته، وهو المراد من قوله عز وجل ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فيغفر للتائب ويكفر عنه سيئاته.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم أن ملك السموات والأرض وما فيهما لله وحده؛ فهو المالك المطلق لهما والمتصرف فيهما بما يشاء. الحكم أن المغفرة والعذاب

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير. برقم (٦٠٦٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٤٩٦.

بمشيئته؛ فيغفر لمن تاب وأناب إليه من عباده ويعذب من أصرَّ منهم على الكفر. الحكم أن الله رحيم بعباده، يتجاوز عن سيئاتهم وخطيئاتهم كما قال عز وجل ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١).

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوهَا
ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا
كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا
يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١٥).

بيان الآية:

لقد وعد الله المؤمنين الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى الحديبية أن تكون لهم مغنم كثيرة بعد رجوعهم -كما سنرى- ومن ذلك فتح خيبر وما فيها من المغنم الكثيرة فأخبر الله رسوله أن الأعراب الذين تخلفوا عنه سيطلبون الذهاب معه إلى الغزو كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوهَا
ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ أي: نخرج معكم للغزو وهدفهم من الخروج الحصول على المغنم، وليس الجهاد في سبيل الله فمنعهم الله من ذلك بقوله ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ والمراد به ما أعدّه لأهل الحديبية بالمغنم بعد رجوعهم، وهؤلاء ليسوا منهم فأمر الله رسوله

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٦ .

أن يقول لهم ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾^(١) أي: وعد الله أهل الحديبية ولستم منهم ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾^(٢) أي: سيقولون لكم: إن عدم خروجنا معكم لغزوة خيبر ما هو إلا حسد وحرمان لنا من المغانم ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣) أي: ليس هذا هو السبب كما زعموا، بل السبب عدم استجابتهم للخروج مع رسول الله ولكنهم لا يفهمون.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن الله وعد المؤمنين العائدين من الحديبية بالمغانم في غزوة خيبر، وقد صدق وعده فغزا رسول الله ﷺ وصاحبه خيبر ففتحوها وغنموا المغانم الكثيرة منها. وفيها: أن التخلف عن دعوة الحق يورث أصحابه الحسرة والندامة، وذلك بسبب ما يفوتهم من خيري الدنيا والآخرة. وفيها: سوء الوصف بالجهل وما يجب من الإعراض عن أصحابه كما قال تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١). وقوله عز ذكره في وصف المؤمنين ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٢).

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾

(١) سورة الأعراف الآية ١٩٩ .

(٢) سورة الفرقان من الآية ٦٣ .

نُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ
تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى
حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٧﴾

بيان الآيتين:

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي:
قل يا محمد للذين تخلفوا عن صحبة الرسول يوم الحديبية: ستدعون
في يوم من الأيام لقتال أناسٍ لهم بأس شديد، وقد اختلف المفسرون
في تحديد هؤلاء على وجه اليقين فقليل: إنهم بنو حنيفة كما قال رافع
بن خديج: كنا نقرأ هذه الآية ﴿سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ﴾
فلا نعلم من هم حتى دعانا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة فقلنا: إنهم
هم. وقيل: المراد بهم فارس، وقيل: الروم، وقيل: هوازن أو ثقيف^(١)
﴿نُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ أي: تقاتلونهم أو هم يبادرون إلى الإسلام
فلا يحتاجون إلى قتال منكم ﴿فَإِنْ تَطِيعُوا﴾ أي: إن تطيعوا الأمر
الذي يأمركم بالجهاد ولا تتخلفوا عنه كما فعلتم من قبل ﴿يُؤْتِكُمْ
اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ أي: يثيبكم الله على عملكم بالأجر الحسن ﴿وَإِنْ

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ١٣٢٠ .

تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ ﴿١﴾ أي: إن تعرضوا كما فعلتم يوم دعيتم إلى السفر مع رسول الله ﷺ ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: شديداً.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ لما نزل قول الله تعالى ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ﴾ الآية. قال أهل الاعذار: كيف حالنا يا رسول الله وماذا علينا؟ فأنزل الله هذه الآية^(١) التي بين فيها أن لا إثم على المتخلفين عن الغزو إذا كانوا من أهل الأعذار وهم من كان فاقده البصر، ومن به عرج في رجله، ومن كان به مرض ملازم؛ ذلك لأن هؤلاء لا يقدرُونَ على القتال قوله ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: يطيعهما فيما يأمرانه به من الأوامر كالجهاد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: من ينكل عن الجهاد يعذبه الله بالعذاب الشديد.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين دليل على صحة خلافة أبي بكر وعمر؛ فأبو بكر دعا هؤلاء المتخلفين إلى قتال بني حنيفة وعمر دعاهم إلى قتال فارس، ومن المعلوم أن الداعي للمتخلفين لن يكون الرسول؛ لأن الله قال عنه ﴿لَن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾^(٢). وقد دعاهم أبو بكر وعمر في خلافتهما.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٧٣.

(٢) سورة التوبة من الآية ٨٣.

وفيهما: أن الله رفع الحرج عن أهل الزمانة وهم الأعمى والأعرج والمريض، فليس عليهم إثم إذا لم يخرجوا للجهاد؛ بسبب أحوالهم. وفيهما: أن الله وعد ووعدته الحق بأن من أطاع الله واستجاب لأمره في الجهاد وغيره سيجزيه بإدخاله الجنات بما فيها من النعيم وذلك على خلاف المعرض عن أمره، فهذا يستحق العذاب الشديد.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝﴾

بيان الآيتين:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾

هذا بيان من الله عن رضاه عن الذين بايعوا رسوله تحت الشجرة على الموت أو أن لا يفروا عنه وهي (بيعة الرضوان) كما سبق بيانها.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: علم ما فيها من الإخلاص والصدق

والاستجابة لأمر الله وأمر رسوله ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ وهي

الطمأنينة وتعزيز الإيمان في نفوسهم ﴿وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ أي:

ما حصل من الصلح مع المشركين وما تلا ذلك من فتح خيبر وحصول المغانم الكثيرة وما تبع ذلك أيضا من فتح مكة وكثير من البلاد

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ وهي غنائم خيبر كما ذكر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ بقوته ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره لخلقه.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: بيان ما لأهل بيعة الرضوان من الفضل العظيم؛ لما رواه جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة)^(١). وفيها: أن الله إذا علم صدق عباده وإخلاصهم أنزل السكينة عليهم فتعززت في نفوسهم قوة الإيمان فلم يعودوا يشعرون بالقلق أو الخوف من أعدائهم، ناهيك بما يحققه لهم من النصر المبين عليهم والحصول على الغنائم منهم.

﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٢٠) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١) وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْوَارُ ثُمَّ لَا يَمُجِّدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَحْدِلْ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) ﴿

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب في فضل من بايع تحت الشجرة (٣٨٦٠)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٦٥٢، وأبو داود في كتاب السنة، باب في الخلفاء، برقم (٤٦٥٣)، سنن أبي داود ج ٤ ص ٢١٩.

بيان الآيات:

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾

هذا بيان من الله عن امتنانه على عباده المؤمنين ووعدهم بالمغانم الكثيرة إلى يوم القيامة إذا أخلصوا في دينهم واستجابوا لأمر ربهم بنشر دينه وإعلاء كلمته، وقد عجل لهم مغانم خيبر لوفرتها ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ قيل المراد منه أن المؤمنين لما كانوا في الغزو تمالأ اليهود في المدينة مع يهود خيبر وبعض المنافقين من العرب على أن يغيروا على بيوت الأنصار والمهاجرين في المدينة فيقتلوهم فكفهم الله^(١). وقيل إن عيينة بن حصن الفزاري وعوف بن مالك النضري ومعهما آخرون جاؤوا لينصروا أهل خيبر حين كان النبي ﷺ يحاصرهم فألقى الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين^(٢). قوله ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: دفع الله الأذى عن المؤمنين ورد كيد الذين كانوا يكيدون لهم وهم أثناء حصار خيبر ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: ويدلكم على الطريق المستقيم الذي يتحقق لكم به الفوز في الدنيا والآخرة.

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدَرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: وعدكم فتوحات

أخرى لم تقدرُوا عليها في وقتها، ولكن الله أحاط بها أي: أعدها لكم

(١) زاد السير لابن الجوزي ص ١٣٢٢ .

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج ٣ ص ٢٥١ .

فتكون باقية لكم إلى يوم القيامة ما دمت متم متمسكين بصراط الله الذي هداكم إليه. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: هو قادر على كل شيء ومن ذلك: نصر عباده وأوليائه المؤمنين وتوريثهم الأرض ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ في هذا بشارة للمؤمنين أن النصر سيكون لهم إذا قاتلهم الكافرون، وحينئذ لن يجد الكافرون وليا يواليهم أو ناصرا ينصرهم ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: أن من سننه الكونية العظيمة أن الإيمان ينتصر على الكفر والحق على الباطل ﴿وَلَنْ تَجْدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ بُدِيلًا﴾ أي: وهذه السنة لن تتغير ولن تتحول.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ المراد هنا يوم الحديبية، وقد ورد أن ثمانين رجلا من المشركين هبطوا على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاته يريدون قتله فأخذوا أخذا، فأعتقهم رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية^(١) وكان هذا من دواعي صلح الحديبية ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ أي: عالما وبصيرا بكل ما كان يحدث للمسلمين مع أعدائهم.

(١) تفسير البغوي ص ١٢٠٩.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أن الله قد صدق ما وعد به المؤمنين من الحصول على المغانم الكثيرة، وفيها: فضل الله على عباده المؤمنين بأن صد عنهم الذين كانوا يتآمرون على ذرياتهم ومساكنهم في المدينة حين كانوا في حصار خيبر مع رسول الله ﷺ وجعل هذه آية للمؤمنين ليزداد إيمانهم. وفيها: وعد الله لأجيال المؤمنين بأنهم سوف يغنمون مغانم وفتوحات أخرى لم يتمكن أسلافهم منها فحبسها لأجيالهم، وهذا هو ما حدث حين فتح المسلمون بلاد فارس وغيرها وغنموا الأموال الكثيرة، ثم تتابعت بعد ذلك الفتوحات، ولم تتوقف إلا بعد أن ضعف المسلمون واستكانوا، والوعد الذي وعده الله لهم باق إلى يوم القيامة إذا أخلصوا في عقيدتهم وأتمروا بأمر ربهم وانتهوا عما نهاهم عنه. وفيها: أن الله وعد المؤمنين ووعدته الحق بأن الكفار لو قاتلوهم سوف يولون الأدبار أمامهم، ولن يجدوا لهم ولدا يواليهم أو نصيراً ينصرهم. وفيها: أن سنة الله قد مضت أن الإيمان يعلو على الكفر وأن الحق يعلو على الباطل وآخر الفضائل على عباد الله المؤمنين الذين كانوا مع رسول الله ﷺ أن صرف عنهم كيد المشركين الذين أرادوا مباغتتهم وهم في الحديبية فمكّن الله المؤمنين من أسرهم، ثم امتن عليهم رسول الله فأطلق سراحهم وكان ذلك من أسباب صلح الحديبية كما ذكر آنفاً.

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿٢٥﴾

بيان الآية:

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ هذا بيان من الله بأن الذين صدوا رسوله والمؤمنين عن المسجد الحرام هم المشركون الذين كفروا بالله وآياته وكذبوا رسوله ﴿وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ أي: وبسبب كفرهم صدوا الهدي الذي كان معكوفاً أي: محبوساً مع المؤمنين ينتظر أن يحل محله ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أي: لولا أن في مكة رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات يخفون إسلامهم خوفاً على أنفسهم من المشركين لكننا أذنا لكم في القتال ولكن خشية ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: خوفاً من أن تطوؤهم أثناء القتال فتصيبكم معرة أي: إثم بغير علم منكم ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: لم يرض الله لكم بالقتال، وإنما أراد الصلح رحمة بالمؤمنين الذين لا تعلمونهم، ولعل المشركين يتخلون عن شركهم وبغيهم وعدوانهم فتشملهم الرحمة ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا ﴿١﴾ أي: لو تميز المشركون عن المؤمنين لَأَذْنًا لكم في القتال فقتلتموهم فأصابهم العذاب الأليم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية التنديد بما فعله المشركون من صد رسول الله ﷺ وأصحابه عن دخول مكة. وفيها: تقرير حكم الإحصار وهو أن من منع من دخول البيت الحرام وهو محرم يريد الحج أو العمرة وأحصر بسبب عدو أو مرض أو نحو ذلك، فعليه أن يتحلل ويذبح هديه في مكانه ويرجع من حيث أتى، والأصل فيه قول الله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ ﴿١﴾. وفيها: وجوب الحيطة والحذر من إلحاق الأذى بالمسلمين الذين يكونون في مكان الأعداء.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٢٦﴾.

بيان الآية:

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الحمية: الأنفة والكبرياء والمراد أنفتهم من الإقرار بنبوة رسول الله ﷺ

ورسالته؛ لأنه لما أراد كتابة صلح الحديبية قال رسول الله ﷺ: (اكتب يا علي بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل: لا ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللهم. فقال رسول الله ﷺ: (اكتب من محمد رسول الله) فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك. فقال عليه الصلاة والسلام: (اكتب من محمد بن عبد الله)^(١).

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ أي: أنزل الطمأنينة والهدوء ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بل رضوا بما ذهب إليه رسول الله ﷺ من أمر الصلح فلم يأنفوا منه ولم يمتنعوا عن قبوله ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ وهي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي: وفقهم الله لها وشرفهم بها؛ لأنها كلمة التوحيد وإفراد العبودية لله والإخلاص له ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: هو أعلم بمن يستحق الإيمان والتوفيق له.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: التنديد بحمىة الجاهلية المبنية على التعصب والجهل وكراهية دين الله ورسوله وذلك حين رفض المشركون كتابة البسملة في رسالة الصلح والإقرار بنبوة ورسالة رسول الله. وفيها: أن الله

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج ٢ ص ١٣٢ .

ينزل سكينته على عباده المؤمنين فيثبتهم وتطمئن قلوبهم بذكره فقد أنزل الله على المؤمنين السكينة حين صعب عليهم الصلح مع المشركين. وفيها: تقرير كلمة التقوى بأنها (لا إله إلا الله).

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨﴾

بيان الآيتين:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ﴾ كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه يدخل مكة وأخبر بذلك أصحابه عندما خرجوا معه من المدينة قاصدين مكة، ففرحوا بذلك وبعدها حدث الصلح مع المشركين وأمر رسول الله أصحابه نحر هديهم وحلق رؤوسهم حدث في نفوس بعضهم شيء، وتساءلوا أين الرؤيا التي ذكرها لنا؟ فنزلت بعد ذلك سورة الفتح وفيها هذه الآية. قوله: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ أي: أن رؤيا رسول الله كانت صادقة، فقد صدقه الله فدخل هو والمؤمنون مكة في نفس الأيام من شهر ذي القعدة من العام القابل، وهم آمنون

وقد حلقوا رؤوسهم أو قصروها لقضاء عمرتهم لا يخافون من أحد حيث أخلت لهم قريش المسجد الحرام، فأتوا نسكهم حيث طافوا وسعوا بين الصفا والمروة قوله ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ أي: علم ما في هذا الصلح من المنافع لكم وهي عدم الإضرار بالمؤمنين المخفين إسلامهم في مكة في حال قتال المشركين وإعطاء المشركين أو بعضهم فرصة لعلمهم يهتدون فلا يعذبهم الله؛ لأنه يفرح بتوبة عباده وهذه الأمور لا يعلمها إلا الله؛ أما الخلق فلا يعلمونها. قوله ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ أي: حصل بعد هذا الصلح منافع كثيرة منها فتح خيبر وفتح مكة وغيرها من الفتوحات الأخرى التي كانت نصرا وعزا للإسلام والمسلمين.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ أي: أن الله الذي يعلم ما لا يعلم عباده من مصالحهم أرسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحق وهو الإسلام الذي فيه هداية للإنسان ومنع له من الضلال ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي: يعليه على سائر الأديان ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: كفى به شهيدا لنبيه ورسوله محمد ﷺ بالرسالة والنبوة.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: الحكم بأن رؤيا الأنبياء حق لابد أن تقع كما

قال الله على لسان يوسف ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَوَلَّى رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾^(١). وقد تتأخر سنوات أو شهورا أو أياما، وهذا هو ما حدث لرؤيا رسول الله ﷺ، فقد كان بين رؤياه ووقوعها سنة كاملة. والرؤيا: جزء من أربعين جزءا من النبوة وهي تختلف عن الحلم الذي يُلبس به الشيطان على العبد. وفيها: وجوب التلفظ بالمشيئة عندما يهم المسلم بفعل شيء في المستقبل كما قال تعالى ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾^(٢). ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٣). وفيها: وجوب الحلق أو التقصير للتحلل من العمرة أو الحج، والحلق أفضل؛ لأن الله قدّمه ولأن رسول الله ﷺ قال: (اللهم أرحم المحلقين) ثلاثا ودعا للمقصرين مرة واحدة. وفيها: الحكم بأن الإسلام هو الدين الحق وأنه لا دين إلا هو وأن الله قد وعد ووعدته الحق أنه سيظهره على سائر الأديان. وفيها: أن الله شهد لرسوله بالنبوة والرسالة وهي أعظم شهادة على الإطلاق.

﴿ثُمَّ حَمْدُ رَسُولِ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَّ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْبُهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ

(١) سورة يوسف من الآية ١٠٠ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢٣ .

(٣) سورة الكهف من الآية ٢٤ .

كَزْرَجٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ، يُعْجِبُ
الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾

بيان الآية:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ هذا تأكيد لنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ بكل ما تحمله من معاني النبوة والرسالة من الفضل العظيم ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ هذا وصف لصحابة رسول الله وصفة من صفاتهم أنهم أشداء على الكفار دفاعاً عن دينهم، وتعزيزاً لرسالة نبيهم، ناهيك عما يكون فيها للكفار أنفسهم حين يخافون ويهتدون فتكون عاقبة ذلك لهم. ومن صفاتهم التراحم والتحاب بينهم؛ لأنهم إخوة في دين الله، وهذه الأخوة أعظم من أخوة النسب ﴿تَرْنَهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ وهذا أيضاً وصف لهم في محافظتهم على الصلاة لكونها أحب الأعمال إلى الله ومداومتهم على العبادة يبتغون من ذلك الفضل من الله ورضاه عنهم ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ أي: ظهر أثر السجود في وجوههم، فجعل فيها نورا يراه الناظر لهم؛ ذلك أن للحسنة أثراً في الوجه، وهو الضياء والبشر، وللمعصية أثرها كذلك وهو القلق والاضطراب والخوف ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ أي: هذا

هو الوصف الذي وصفهم الله به في التوراة ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾^(١) أما مثلهم في الإنجيل فهو ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ﴾ أي: فراخه المتفرعة منه ﴿فَفَازَرُهُ﴾ أي: قوى ذلك الشطاء الزرع ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي: صار قويا ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي: استقام على أصوله وجذوره، فكان يعجب الزارعين عندما ينظرون إليه وهذا هو مثل أصحاب رسول الله ﷺ في موازرتهم وتأيدهم ونصرتهم له ولهذا قال تعالى ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ حيث بارك الله فيهم وكثرهم وألّف بين قلوبهم فأغاظ بهم الكفار؛ لكي يعلموا أن الله ينصر المؤمنين ويخذل الكافرين قوله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾ أي: غفرانا لذنوبهم وتكفيرا لسيئاتهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: الجنة ونعيمها.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ وأنها رسالة أبدية قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وفيها: تقرير صفات صحابة رسول الله، ومنها: أنهم أقوياء على الكفار لإظهار دين الله وإبلاغ رسالته كما أمر بها نبيهم وأمروا بها تبعا له مما يقتضي منهم القوة في الدعوة والقتال من أجلها كما قال تعالى ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾^(١). ومن

(١) سورة التوبة من الآية ١٢٣ .

صفات صحابة رسول الله: أنهم كانوا يتراحمون ويتحابون في الله بوصفهم إخوة في دينه واتباع نبيه. ومنها: وصفهم بالصلاة وحب الأعمال التي توصلهم إلى محبة الله ورضوانه. ولهذا قال رسول الله ﷺ: (أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله)^(١). وهو معنى الولاء والبراء أي: الولاء لأولياء الله والبراءة من أعدائه. وفيها: وصفهم بالركوع والسجود إشارة إلى كثرة صلاتهم، وهذه من الفرائض على المسلم. وفيها: الإشارة إلى أن أثر الإيمان يظهر على الوجه كما يظهر عليه أثر الكفر والمعاصي.

وفيها: تحريم سب صحابة رسول الله ﷺ، أو الاستهزاء بهم أو التنقص منهم، أو النيل منهم بأي وصف يسيء إليهم، والأصل فيه قول رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه)^(٢). ولما ذكر لمالك رجل يتنقص أصحاب رسول الله ﷺ قرأ مالك هذه الآية ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ حتى بلغ ﴿يُعِجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم، برقم (٤٥٩٩)، سنن أبي

داود ج ٤ ص ٢٠٣، والإمام أحمد في المسند ج ٥ ص ١٤٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، برقم

(٢٥٤٠) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٢١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٦ ص ٢٩٦-٢٩٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحجرات

مدنية وآياتها ثمانى عشرة آية

﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢﴾

بيان الآيات:

﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ هذا أمر من الله للمؤمنين ألا يتقدموا على الله ورسوله بأي قول أو فعل، بل يجب عليهم الاتباع والانقياد لما أمروهم به والانتفاء عما نهىهم عنه من الأقوال والأفعال مما هو مبين في الكتاب والسنة. ﴿وَانْقُوا اللَّهَ﴾ أي: اخشوه وائتمروا بما أمركم به ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: يسمع أقوالكم ويعلم ما في صدوركم ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ هذا أدب من الله لعباده المؤمنين بأن يكونوا مع رسول الله ﷺ في غاية الأدب والاحترام والإجلال.

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ هذا توكيد لما سبق من وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ بحيث لا تكون مخاطبته مثل ما يخاطب المرء صاحبه، بل يجب احترامه، وذلك بلين القول والتلطف أثناء الحديث معه؛ لأن ذلك تأدباً مع الله. ومع التوكيد على هذا الأدب، بين الله أنه يُخْشَى عليهم إحباط عملهم إذا لم يوقروا رسوله ويحترموا. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ أي: أن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله ويتأدبون معه في الحديث هم الذين أخلص الله قلوبهم ونقاهم لتكون أوسع وأكثر قبولاً للتقوى، هؤلاء قد امتن الله عليهم فغفر لهم وأعطاهم الأجر العظيم كما قال تعالى ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه يجب على المسلم وجوب عين أن يتبع ما في كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ فلا يقول قولاً يخالفهما، ولا يرى رأياً أو يجتهد اجتهداً يعارضهما، بل يكونان مرجعه فيما يقول ويفعل في أمر دينه ودنياه كما قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١). وفيها:

(١) سورة الأحزاب من الآية ٣٦.

وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته فبعد مماته يجب التأدب مع سنته باتباعها والتأدب معه عند ذكره بالصلاة عليه كما قال عليه الصلاة والسلام: (البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي) ^(١). وفيها: أن من لا يتأدب مع رسول الله ﷺ حري أن يحبط عمله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٤٥﴾

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ وهذا ذم للذين كانوا ينادون رسول الله من الحجرات وهي بيوت نسائه والمراد بهم أجلاف من الأعراب الذين كانوا ينادونه وقت الظهيرة بأصوات عالية: يا محمد يا محمد اخرج علينا، فإن مدحنا زين، وذمنا شين، فأنزل الله فيهم هذه الآية ووصف أكثرهم بعدم العقل؛ لعدم تأدبهم مع رسول الله بقوله ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ أي: لو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم بدون مناداتك

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ «رغم أنف رجل»، برقم (٣٥٤٦)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٥١٥، والإمام أحمد في المسند ج ١ ص ٢٠١.

لكان ذلك أفضل لهم؛ لما فيه من الأدب ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: أن عليهم ألا يعودوا لمثل قولهم وعدم أدبهم لكي يتوب الله عليهم لأنه غفور لمن يتوب من عباده رحيم به من العقاب.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الإسلام يحرص على الأدب، واجتناب الغلظة في القول وبذاءة اللسان كما قال تعالى على لسان لقمان وهو ينصح ابنه ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(١). كما أن الإسلام يأمر بحسن الخلق ويحث عليه، وقد وصف الله رسوله وهو القدوة والمثال لأمته بأنه على خلق عظيم بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢). وفي الحديث: قول رسول الله ﷺ: (والكلمة الطيبة صدقة)^(٣).

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٤) وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ

(١) سورة لقمان الآية ١٩ .

(٢) سورة القلم الآية ٤ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب طيب الكلام، برقم (٦٠٢٣)، صحيح البخاري مع فتح

الباري ج ١٠ ص ٤٦٣ .

الرَّشْدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

بيان الآيات:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا﴾ نزلت هذه الآية في بني المصطلق ورئيسهم الحارث بن أبي ضرار الخزاعي والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها، فلما قدم هذا على رسول الله ﷺ وأسلم وأقر بالزكاة قال لرسول الله ﷺ: سوف أجمع الزكاة ممن يستجيب لي من قومي وترسل لي رسولا ليأتيك بما جمعت منها، فلما جمعها انتظر أن يأتيه الرسول فلم يأتَه فظن أنه قد حدث عليه سخط من الله أو من رسوله فجمع سروات قومه وذهب إلى رسول الله. وكان رسول الله قد بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى الحارث ليقبض منه الزكاة ولكنه خاف فرجع من الطريق فقال: يا رسول الله إن الحارث قد منعني ويريد قتلي وقيل إن رجوعه كان لعداوة بين أسرة الوليد وبني المصطلق منذ الجاهلية فوسوس له الشيطان أنهم يريدون قتله. ولما علم رسول الله بما ذكره الوليد بعث إلى الحارث بعثا فتلاقيا في الطريق فأقسم الحارث أن الوليد لم يأتَه، ولما دخل على رسول الله وسأله عن منعه الزكاة وما أراده من قتل الرسول قال الحارث: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وأقبلت حين احتبس عليَّ رسولك

خشية أن يكون سخطاً من الله ورسوله، فنزلت الآية وهي وإن كانت خاصة في الحارث الخزاعي فهي عامة^(١).

والمراد إن جاءكم أيها المؤمنون ﴿فَاسْقُوا﴾ كالكذاب ومن في حكمه ﴿يَنْبِأُ﴾ أي: خبر ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أي: تثبتوا ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ﴾ أي: تصيبوهم بضرر لعدم علمكم بحقيقة الخبر ﴿فَتُصْهِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ أي: تندموا على فعلكم بهم بسبب عدم تثبتكم عما نقل لكم عنهم قوله ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ أي: يجب أن تعلموا أن رسول الله بين أظهركم، وعليكم أن تصدقوه القول لأن الكذب عليه سيبينه الله له بالوحي كما كان يبين له أحوال المنافقين، ومن ثم يضعكم فعلكم في عنت أي: خطيئة وإثم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَيَّ مَنَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ المراد أنه لما كان رسول الله بين أظهركم ووجب عليكم أن تصدقوه القول فإن الله يحب إليكم الإيمان ويزينه في قلوبكم مادمتم تتبعون رسوله ولا تخالفونه وهو كما يحب إليكم الإيمان يكره إليكم الكفر وسائر أنواع الفسق والمعاصي، وهذا رحمة منه لكم؛ لأن من نعم الله على عبده أن يوفقه لطاعته

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٦١٩ .

ويجنبه معاصيه. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرّٰشِدُونَ﴾ أي: أن أصحاب رسول الله هم الراشدون المهديون الذين يصدقونه في أقوالهم وأفعالهم ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ وما كان رشدهم إلا فضلا من الله ونعمة أنعم بها عليهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بأحوال عباده حكيم في تدبيره لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم الكذب ووجوب تثبت المسلم مما ينقل إليه؛ لأن في عدم التثبت منه أضرارا كثيرة، وكم أؤذي أناس بما نقل عنهم من أخبار كاذبة، وكم ظن أناس ظن السوء في أقوام؛ بسبب ما نقل عنهم من أخبار كاذبة. وفيها: أن من نعم الله على عبده أن يزين له الإيمان ويحببه له ويكره إليه الكفر والمعاصي والمفاسد.

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَقِّلُوا لَهُمَا مَا تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفْقَهُمَا إِلَهَ الْأَمْرِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ لما بين

الله لعباده المؤمنين أنه حبيب إليهم الإيمان وكره إليهم الكفر أرشدهم فيما قد يحدث بينهم من خلاف، فأمر بالصلح بين من يقتتل من طوائف المؤمنين بما يقتضي إزالة الخلاف بينهم ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾ أي: رفضت حكم المصالحة المبني على أحكام الشرع ﴿فَقَاتِلُوا آلَئِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: قاتلوا هذه الطائفة حتى ترجع إلى حكم الشرع ﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾ أي: رجعت إلى الحق الذي تم الصلح عليه ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾ أي: يجب أن يكون صلحكم مبنياً على العدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: يحب الذين يعدلون في أحكامهم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ هذا بيان من الله أن المؤمنين إخوة في الدين وهذه الأخوة تقتضي عدم الشقاق بينهم لأنه مدعاة إلى الفرقة والعداء وتشتيت شمل الأمة ووحدتها ومدعاة لتسلط الأعداء عليها ولهذا قال عز وجل ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ أي: الطائفتين منكم إذا حدث بينهما نزاع ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم وإياكم والتقاتل بينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ أي: يرحمكم إذا اجتمعتم وتوحدتم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الأمر للأمة بإصلاح ما يحدث فيها من خلل، ومن ذلك الصلح

بين المتخاصمين والمتقاتلين منها وكان سبب نزول هذه الآية ما حدث بين الأوس والخزرج من عراك بسبب امرأة منعها زوجها من زيارة أهلها^(١).

قلت: ولو أن الأمة حققت هذا الأمر كما يجب أن تفعله في كل مراحل تاريخها لما حصل بين بعض طوائفها خصام كان له أبلغ الأثر في تمكن أعدائها منها وتسلطهم عليها، وهو الواقع الذي ما زالت الأمة تعيشه فكان الأجدر بها إنشاء محكمة لها صلاحية البت في المسائل الخلافية وما يقتضيه ذلك من نزع الشقاق وتحكيم شرع الله في أي خلاف وإحقاق الحق لصاحبه ورد المبطل عن باطله. وفي الآيتين: وجوب العدل بين المتخاصمين كما قال تعالى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(٢). وقوله عز ذكره ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾^(٣). وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن عزوجل بما أقسطوا في الدنيا)^(٤). وفيهما: أن الأخوة في الدين هي الأصل في العلاقة بين الأمة، فالقربى في النسب وإن كانت إحدى الروابط بين الأمة إلا أن

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٣١٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٢١٣.

(٢) سورة المائدة من الآية ٨.

(٣) سورة النحل من الآية ٩٠.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ١٥٩.

رابطة الدين هي الأصل، فالمسلمون من أجناس وأصول شتى فلا يجمعهم إلا رابطة الدين الذي كون منهم أمة واحدة زالت فيها الفوارق والأعراق كما قال تعالى ﴿وَلِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (١).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١١).

بيان الآية:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ لما نهى الله في الآية السابقة عن التقاتل والتخاصم وأوجب العدل بين الطائفتين المتقاتلتين، نهى عن أحوال قد تكون سببا للتقاتل ومنها: سخرية المسلم بأخيه المسلم أو تحقيره أو الاستهزاء به، أو التنقص منه في دينه أو نسبه أو مظهره، فقد يكون المسخور منه أفضل ممن سخر منه وذلك معنى قول الله تعالى ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ فالحكم عام للرجال والنساء، وقد

خص الله النساء بالنص لما يحدث بين النساء من التخاصم خاصة
 منهن الضرائر. قوله ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ المراد باللمز هنا العيب
 أي: لا يعب بعضكم بعضا لما يؤدي إليه ذلك من التخاصم؛ لأن من
 يبحث عن عيب أخيه يبحث هذا عن عيب من عابه ﴿وَلَا تَنَابَرُوا
 بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا تتنادوا بالألقاب التي تكرهون أن تدعوا بها؛
 لما في ذلك من دواعي الشقاق ﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾
 أي: بئس أن ينادي المسلم أخاه باسم يفسقه به بعد أن أصبح مؤمنا
 كتسميته كافرا أو مجرما ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي:
 من لم يتب من السخرية بالمؤمنين وعدم لمزهم فهو ظالم لنفسه
 وسوف يحاسب على ظلمه.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأنه يحرم على المسلم أن يسخر من أخيه، أو
 يستهزئ به أو يتنقص منه كما قال تعالى في الذين كانوا يستهزئون
 برسول الله ﷺ وصحابته ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ
 عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِلَيَّ اللَّهُ مُخْرِجُ
 مَا تَحْذَرُونَ﴾^(١). ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا

(١) سورة التوبة الآية ٦٤ .

نَحُوزُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١﴾
 ﴿لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ﴿٢﴾. كما يحرم على المسلم أن
 يعيب أخاه المسلم أو يلمزه أو يناديه بلقب يكرهه؛ لما يؤدي إليه ذلك
 من التخاصم و الشقاق، وقد توعد الله من يفعل ذلك بقوله ﴿وَيَلْ
 لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ﴾ ﴿٣﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
 وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بََعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ
 لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٤﴾

بيان الآية:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ ما زال السياق في
 تربية المؤمنين وإرشادهم لما فيه خيرهم، فنهاهم عن الظن وهو أن
 يوجه المسلم إلى أخيه تهمة دون أن يكون له دليل من علم كالظن به في
 أمانته أو أخلاقه أو عبادته أو نحو ذلك من الظنون المفضية إلى الطعن
 في المسلم دون حق ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ المراد به الظن الذي
 بني على غير علم كما يشاهد اليوم في الظن بأهل الصلاح حيث يتهمون

(١) سورة التوبة الآية ٦٥ .

(٢) سورة التوبة من الآية ٦٦ .

(٣) سورة الهمزة الآية ١ .

من أصدادهم بشتى أنواع التهم التي تنفر الناس منهم كاتهامهم بالتعصب والجهل ونحو ذلك ﴿وَلَا تَحَسَّسُوا﴾ أي: لا تبحثوا عن عورات المسلمين وتتبعوا أحوالهم ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: لا تذكروا إخوانكم في غيبتهم بما يكرهون ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه الميت؟ والجواب بالنفي؛ لأنه ليس من المعقول أن يحب الإنسان أكل لحم أخيه الميت فكما أنه يكره ذلك أشد الكراهية فيجب أن يكره الوقوع في عرض أخيه لأن ذلك محرم سواء كان حياً أو ميتاً ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ﴾ أي: اجتنبوا غيبة بعضكم؛ لما ينشأ عن ذلك من الفساد والخلل بينكم ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يتوب على من يتوب من عباده وهو رحيم بهم فيما يأمرهم به من أعمال الطاعات وما ينهاهم عنه من الأفعال التي تؤدي إلى تخاصمهم كالتجسس عليهم واغتيالهم.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: تحريم الظن المجرد من العلم والدليل وشاهده: حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)^(١). وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولا تظن

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التجسس، برقم (٦٦٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٤٩٦.

بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا وأنت تجد لها محملا^(١). وفيها:
تحريم تجسس المسلم على أخيه لقول رسول الله ﷺ في حديث أبي
هريرة الأنف الذكر: (ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا
تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا)^(٢).

وفيها: تحريم الغيبة وهو أن يتحدث المسلم عن أخيه في غيبته بما
يكره؛ لما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون ما الغيبة؟)
قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (ذكرك أخاك بما يكره) قيل: أفرأيت
إن كان في أخي ما أقول؟ قال ﷺ: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته
وإن لم يكن فيه فقد بهته)^(٣). وما رواه أيضا أن رسول الله ﷺ قال:
(بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم
حرام دمه وماله وعرضه)^(٤).

ويستثنى من الغيبة ما إذا كان المغتاب ظلما فيحق للمظلوم ذكر
مظلمته كما قال تعالى ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾^(٥). كما يستثنى منها مرتكب المنكر فيجوز ذكره لإزالة منكره،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٢١٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير. برقم (٦٠٦٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٤٩٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة برقم (٢٥٨٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٠٨.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، برقم (٢٥٦٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٧٣.

(٥) سورة النساء من الآية ١٤٨.

ويشمل ذلك أيضا ذكر أصحاب الفسوق والمفسدين ونحوهم ممن لا خلاق لهم.

﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿١٣﴾

بيان الآية:

﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ لما أمر الله بالمحبة والتعاون بين المسلم وأخيه، وعدم احتقاره، أو التعرض له بما يكرهه، بين عز وجل أنه خلق الناس من أصل واحد هو آدم وحواء وأن كل إنسان مخلوق من أبوين هما الذكر والأنثى قوله ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ أي: جعلكم متشعبين من تجمعات مختلفة في كبرها وصغرها ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ أي: جعل هذا التشعب سببا للتعارف بينكم وما يترتب عليه من التعاون وتحقيق المصالح الدنيوية والأخروية لكم، فمن المصالح الدنيوية التعاون بين الأقارب والتوارث بينهم، ومن المصالح الأخروية: تحقيق ما أمر الله به من البر بين الأقارب والأرحام التي أمر الله بوصلها. ولما بين عز وجل حكمته في تشعب الإنسان في أصوله وفروعه، أكد أن الأساس هو التقوى وحدها كما قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ فأكرم الخلق عنده أكثرهم طاعة له، وأبعدهم عن معاصيه وأشدّهم قوة في دينه والدفاع عنه وأكرمهم كذلك أنفعهم لخلقه في قضاء حوائجهم قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ

عَلِمَ خَيْرٌ ﴿١﴾ أي: عليم بأحوال خلقه في سرهم وعلاانيتهم، خير بما يعملونه في حياتهم من خير أو شر.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الله خلق البشر متشعبين من قبائل كبيرة وصغيرة لكي يتعارفوا في أنسابهم؛ لما يترتب على ذلك من المصالح في دنياهم وأخراهم كالتعاون والتراحم وما في ذلك من الأجر لهم. وفيها: الحكم بأن أكرم الخلق عند الله هم الأتقياء، وهذا يقتضي تحريم فخر الإنسان بنسبه أو حسبه أو انتمائه لمذهب أو عقيدة خلاف ما أمر الله به. وفي ذلك قال رسول الله ﷺ في خطبته أيام التشريق: (يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى أبلغت؟) قالوا: بلغ رسول الله ﷺ. قال: (ليبلغ الشاهد الغائب) ^(١). وفيه أيضا قوله ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) ^(٢).

وللخليفة الراشد علي رضي الله عنه شعر مشهور في هذا المعنى:

الناس من جهة التمثيل أكفاء

أبوهم آدم والأم حواء

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٥ ص ٤١١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، برقم (٢٥٦٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٧٣.

نفسٌ كنفسٍ وأرواحٌ مشاكلةٌ
وأعظمُ خلقت فيهم وأعضاءُ
فإن يكن لهم من أصلهم حسبٌ
يفأخرون به، فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم، إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاءُ
وقدر كل امرئٍ ما كان يحسنه
وللرجال على الأفعال سيماءُ
وضد كل امرئٍ ما كان يجله
والجاهلون لأهل العلم أعداءُ^(١)

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمْتُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ

لِلْإِيمَنِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ
بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

بيان الآيات:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا﴾ هذه الآية نزلت في أعراب بني أسد من خزيمة حين وفدوا على رسول الله ﷺ في سنة مجدبة وأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون: أتيناك بالآثقال والعيال ولم نقاتك كما قاتلك بنو فلان فأعطنا من الصدقة وجعلوا يتحدثون ويمنون عليه بإسلامهم فنزلت فيهم هذه الآية^(١). وقيل: نزلت في أقوام من القبائل الأخرى^(٢). والمعنى: أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لقد آمنا بما قلته من وجوب توحيد الله وطاعته وعدم الشرك به وآمنا بما جئت به من النبوة والرسالة، ولأنهم لم يزالوا في بداية عهدهم أمر الله نبيه أن يريهم بقوله عز وجل ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي: لم تكونوا بعد مؤمنين فقولوا: أسلمنا ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: لم يتمكن الإيمان منكم ولم تصلوا بعد إلى حقيقته ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ أي: أن أطعتم الله ورسوله بما أوجبه عليكم، فلن يلتكم أي: لن ينقصكم من أجوركم شيئا ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: غفور للتائبين رحيم بهم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٦٢٤، ٦٢٥، وتفسير البغوي ص ١٢٢٥.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص ١٣٣٦.

أي: الخالصون هم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي: هم الذين آمنوا بالله ورسوله حقاً وصدقاً وإخلاصاً ثم لم يشكوا في إيمانهم، بل ثبتوا عليه فلم يبدلوا ولم يغيروا ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: بذلوا أرواحهم من أجل إعلاء كلمة الله والدفاع عن دينه يبتغون مثوبته ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي: الصادقون في إيمانهم وليسوا أولئك الذين لم يثبت الإيمان بعد في قلوبهم كحال بعض الأعراب ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء الأعراب: أتعلمون الله بما في قلوبكم فليس لله حاجة في ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فلا يخفى عليه ما في ضمائرکم فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾ أي: يمن عليكم هؤلاء الأعراب بأنهم أسلموا فقل لهم: لا تمنوا علي إسلامكم؛ لأن إسلامكم لمصلحتكم ﴿بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ أي: أن الله هو الذي يمن عليكم بأن أعتقكم من الكفر وهداكم للإيمان ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تقولون ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يعلم كل ما غاب في الكون في علوه وسفليه لا يخفى عليه منه مثقال حبة من خردل ﴿وَاللَّهُ بِصِيرُورٍ مَعْمَلُونَ﴾ أي:

يعلم كل عمل تعملونه من الأعمال الحسنة أو الأعمال السيئة لا يخفى عليه منها صغيرة ولا كبيرة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير الفرق بين الإسلام والإيمان؛ فالإيمان أخص من الإسلام، وقيل إن الإيمان والإسلام بمعنى واحد وقيل إنهما متغايران - وهو الأصح - فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا وقد بدأ جبريل بسؤال رسول الله ﷺ عن الإيمان ثم عن الإسلام ثم عن الإحسان^(١). وفيها: أن هؤلاء الأعراب الذين ادعوا الإيمان لم يصلوا إلى مرحلته، ولكنهم كانوا مسلمين. وفيها: الحكم بأن المؤمنين الحقيقيين هم الذين آمنوا بالله ورسوله حقا وصدقا لا تشوب إيمانهم شائبة، فهم عابدون لله متبعون لرسوله مجاهدون في سبيله إعازا لدينه ودفاعا عنه. وفيها: تحريم المن على الله بعبادته والدخول في دينه؛ لأن نفع عبادة العبد تعود له وحده وليس لله فيها حاجة، والواجب أن يقر المسلم بأن الله هو الذي منَّ عليه ووفقه لدينه وأنقذه به من الضلال. وفيها: الحكم بأن الله يعلم كل ما في مغيبات الكون وكل دقائقه وجلائله وظواهره وبواطنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض لا إله إلا هو فله الحمد والمنة أولا وآخرا.

(١) أخرجه البخاري بطوله في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان. برقم (٥٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ١٤٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة ق

مكية وآياتها خمس وأربعون آية

﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِیْظٌ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِیْحٍ ۝٥﴾

بيان الآيات:

﴿قَ﴾ هذا من الحروف المقطعة مثل (ص) و(ن) والله أعلم بمراده منها ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ هذا قسم من الله بالقرآن والمراد أن القرآن كتاب عظيم كما قال تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١) وقسم الله بالقرآن له جواب هو تقرير نبوة رسول الله بقوله ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ أي: عجب الكفار أن الذي جاءهم بالرسالة بما فيها من النذارة رجل من البشر ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي: عجبوا مما جاء به من إنذارهم بالعذاب؛ ذلك أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث أصلاً فيما حكاه الله عنهم بقوله عز ذكره ﴿أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أي:

(١) سورة فصلت الآية ٤٢ .

إذا تحولنا إلى تراب وعظام بالية، فإن إعادة رجعتنا إلى الحياة أمر بعيد فرد الله عليهم بقوله ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: علمنا ما يتحلل من أجسادهم في قبورهم ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ أي: مدون فيه كل شيء عنهم ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي: وعلاوة على تكذيبهم بالبعث فقد كذبوا وأنكروا نزول القرآن ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ﴾ أي: مشوش ومضطرب لا يعرفون ما يقولون.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بحقيقة القرآن وعظمته وهدايته للبشرية كما قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(١). وفيها: الحكم بأن البعث حقيقة لا مرء فيها كما قال تعالى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٢). وفيها: أن الأرض لا تأكل كل أجساد الأموات، فمنهم من يبقى جسمه محرما على الأرض أن تأكله كحال الأنبياء لقول رسول الله ﷺ: (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)^(٣). ومنهم: من تأكله الأرض فيبقى منه عَجْبُ

(١) سورة الإسراء الآية ٩.

(٢) سورة الحج الآية ٧.

(٣) أخرجه النسائي في كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، برقم (١٣٧٣)، سنن النسائي ج ٣ ص ١٠٢، وأبو داود في كتاب الوتر، باب في الاستغفار، برقم (١٥٣١)، سنن أبي داود ج ١ ص ٥٦٧.

الذَّنْب، فهذا لا يفنى لكي يبدأ منه الخلق يوم البعث. وفيها: الحكم بأن كل أعمال الخلق مدونة ومحفوظة في اللوح المحفوظ. وفيها: أن الكافرين الذين يكذبون بالقرآن هم دائماً في قلق واضطراب لفراغ قلوبهم من الإيمان.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾

بيان الآيات:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ هذا استفهام إنكاري للمكذبين بالبعث، والمراد أليس لهم أعين ينظرون بها إلى السماء التي تظللهم، وكيف صنعناها على غير وجود سابق وكيف زينناها بالأفلاك العظيمة ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ أي: من شقوق. ﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي: أليس لهم عقول يفكرون بها كيف وسعنا الأرض وجعلناها آمنة للسكن فيها، ووضعنا فيها الجبال الراسية لتثبيتها ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَهِيجٍ﴾ أي: أنبتنا فيها من مختلف الأصناف الزوجية التي تسر الناظرين ﴿تَبَصَّرَةٌ﴾

وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿١٠﴾ أي: أن في هذا الصنع تبصرة لكل عبد راجع إلى الله بقلبه فيعلم أن الذي صنع هذا الكون بقدرته قادر على إحياء الموتى للحساب والجزاء يوم القيامة.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾ ﴿١١﴾ أي: أنزلنا المطر وباركنا فيه ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ ﴿١٢﴾ أي: أنبتنا به البساتين بكل ما فيها من الثمرات وأنبتنا به البرّ لقوتهم ومدخر طعامهم ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ ﴿١٣﴾ أي: النخيل الطوال ﴿لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ ﴿١٤﴾ أي: متناسق ومتراكم في أوعيته وهي عذوقه أو قنوانه ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ ﴿١٥﴾ أي: جعلنا في نزول هذا المطر رزقا للعباد في طعامهم وشرابهم ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾ ﴿١٦﴾ المراد الأرض التي كانت خالية من النبات فاهتزت وربت بعد نزول المطر عليها ﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ ﴿١٧﴾ أي: هكذا يكون خروج الأموات ينزل من السماء مطرا فتنبت أجسامهم كما ينبت العشب ويخرجون من قبورهم قياما لرب العالمين.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: التنديد بالكافرين لعدم إيمانهم بالبعث رغم ما يشاهدونه من قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض وفرش الأرض وإرسائها بالجبال، وإنزال المطر من السماء، وهذا يقتضي من المسلم أن يتفكر في خلق الله وآياته كما قال تعالى ﴿إِنَّ فِي

خَلَقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ ﴿١﴾. وفيها: الأمر بالإنباء إلى الله وذلك بالعمل في طاعته
والبعد عن معاصيه كما قال تعالى ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿٢﴾.

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيْسِ وَثَمُودُ﴾ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ
وَإِخْوَنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ
﴿١٤﴾ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

بيان الآيات:

ما زالت الآيات تؤكد حقيقة البعث الذي ينكره المشركون فقال
عز وجل ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: كذب بالبعث قبل مشركي قريش
﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ وهم أول الأمم التي كذبت نبيها نوحا عليه السلام
حيث عاش فيهم تسعمائة وخمسين عاما، يدعوهم إلى الله فأصروا
على كفرهم فيئس منهم ودعا عليهم فأهلكهم الله بالطوفان كما
سبق ذكره ﴿وَأَصْحَابُ الرَّيْسِ﴾ المراد بهم الذين أخذوا نبيهم ورسوله
أي: دفنوه في بئر كانوا يعبدون حولها الأصنام وقيل: إنها من
قري ثمود قوم صالح قوله ﴿وَتَمُودُ﴾ هم قوم صالح ﴿وَعَادُ﴾ هم:

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٠ .

(٢) سورة الزمر الآية ٥٤ .

قوم هود ﴿وَفِرْعَوْنَ﴾ أي: قومه وهم القبط الذين أرسل الله إليهم موسى ﴿وَإِخْوَنُ لُوطٍ﴾ أي: أصحاب قرية سدوم أهل الفاحشة ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ هم قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ بَعْثٍ﴾ أي: قوم تبع الحميري ملك اليمن ﴿كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلِ﴾ أي: أن هذه الأمم كذبت أنبياءها ورسلها وعتت عن أمر ربها ﴿فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ أي: وجب عليها الهلاك والعذاب، فمنهم: من هلك بالغرق ومنهم من أخذته الرجفة، ومنهم: من أخذته الصيحة، وفي هذا تهديد ووعد للمشركين الذين كذبوا رسول الله ﷺ فأنذرهم الله بما سبق لغيرهم من الأمم التي بيننا لهم. قوله ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي: هل عجزنا عن الخلق الأول الذي خلقناه حتى يكون لدى هؤلاء المنكرين للبعث ريب في عدم قدرتنا على إعادة الخلق والجواب بالنفي؛ لأنهم يرون الخلق ظاهرا في أنفسهم وفي غيرهم فلا يستطيعون إنكاره، وإنما اختلط الأمر عليهم بسبب عدم إيمانهم وضعف عقولهم فأنكروا إعادة الخلق وهو معنى قوله تعالى ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن الذين كذبوا رسول الله ﷺ لم يكونوا أول المكذبين برسول يأتي من عند الله، وإنما كان هناك أمم قبلهم

كذبوا رسلهم فأهلكهم الله. وفي ذكر ما حل بهذه الأمم تهديد ووعيد لكل من كذب رسول الله. وفيها: تقرير حقيقة البعث بالدليل العقلي؛ لأن من له عقل يدرك به يقينا أن الذي خلق الخلق ابتداء كان بقدرته وأنه كما يميتهم بقدرته قادر على إعادة بعثهم بقدرته. وفيها: أن الذين يفقدون الإيمان في نفوسهم تضطرب عقولهم فيكونون دائما في شك وريب.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ ۝١٧﴾ إِذْ يَنْتَقِي الْمَتَلَقَّانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾

بيان الآيات:

ما زالت الآيات الكريمة تؤكد واقعة البعث كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: خلقنا الإنسان من العدم إلى الوجود فصار خلقا سويا، وما خلقناه إلا ونحن نعلم علم اليقين حقيقته وما فيه من الخواطر والهواجس وهو معنى قوله تعالى ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ﴾ أي: نحن بعلمنا

وملائكتنا أقرب إليه من عِرْقِ عنقه، لو أردنا أن نأخذه أو نعذبه، وفي هذا دلالة على قدرته عز وجل في تدبيره وتصرفه في خلقه ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقَّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: أن أحد الملاكين الموكلين به قاعد عن يمينه، والآخر عن شماله، يتلقيان عمله ويكتبانه ليراه في سجله بعد بعثه ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ أي: ما يتكلم الإنسان بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: ملك حاضر يكتب أقواله ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: جاءت غشاوة الموت وسكراته وهو الحق الذي كتبه الله على الخلق لا محالة لهم منه فتقول الملائكة للمكذب بالبعث هذا هو اليوم الذي كنت تفر منه وتهرب ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ أي: نفخ إسرافيل في القرن نفخة الفناء ثم البعث، وذلك هو اليوم الذي وعد الله فيه المؤمنين بالثواب على أعمالهم ووعد فيه الكافرين بالعذاب جزاء كفرهم ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي: يجيئ مع كل نفس ملك يسوقها للحساب وملك يشهد عليها بما عملت، فمن كان غافلاً عن أمر ربه ناسياً أو متعمداً يقال له ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ أي: أزلنا عنك حجاب غفلتك ونسيانك لأمر ربك ﴿فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: بصرك اليوم نافذ لترى عاقبة عملك.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عظمة الله وقدرته وتصرفه في عبادته، وأنه أقرب إلى كل واحد منهم من حبل عنقه وهذا القرب قرب علم كما قال تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(١) أي: بعلمه وليس بذاته كما يقوله الحلوليون الكفرة. كما أن الملائكة أقرب إلى العبد من حبل عنقه؛ لكونهم يعملون بأمر الله ويكتبون أعمال العباد. وفيها: أن الله يعلم بعلمه المطلق ما توسوس به نفس العبد من الحسن أو السيئ، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم)^(٢). وفيها: تقرير أن لكل عبد ملكين أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله يكتبان كل ما يتلفظ به من قول أو يفعل من فعل كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾^(٣). ﴿كَرَامًا كُنِينٍ﴾^(٤). ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(٥). وفي حديث بلال بن الحارث المزني أن رسول الله ﷺ قال: (إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وأن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب

(١) سورة الحديد من الآية ٤ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران، برقم (٥٢٦٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٩ ص ٣٠٠ .

(٣) سورة الانفطار الآية ١٠ .

(٤) سورة الانفطار الآية ١١ .

(٥) سورة الانفطار الآية ١٢ .

الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه^(١). وفيها: تقرير أن للموت غشاوة وسكرات، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: (لا إله إلا الله إن للموت سكرات)^(٢). وفيها: أن كل نفس تأتي يوم القيامة ومعها ملك يسوقها للحساب، ومعها ملك يشهد عليها بما عملت فيكشف للكافر غطاؤه، ويرى بعينه جهارا ما كان يكذب به من الحساب والجزاء.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلَقِيََا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوهُ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ حينما يجيء الملك الذي يسوق النفس للحساب، والملك الذي يشهد عليها يقول هذا الشاهد ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ أي: حاضر ما كتبت لا زيادة فيه ولا نقص، فعندئذ يحكم

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب في قلة الكلام، برقم (٢٣١٩)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٨٤، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٦٩)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣١٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، برقم (٦٥١٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٣٦٩.

الله بالعدل فيقول للملكين ﴿أَلْقِيََا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: ألقيا هذا الكافر الذي كان معاندا للحق ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيْبٍ﴾ هذا وصف له أيضا، فبالإضافة إلى معاندته للحق فهو يمنع الخير لخبث نفسه وطويته فلا يبر من يستحق البر، ولا يساعد من يستحق المساعدة بل هو معتد في أقواله وأفعاله لا يرتدع عن الظلم، ولا يتورع عن حقوق الناس ودمائهم وأموالهم وأعراضهم وهو إلى جانب هذا كله يرتاب في كل أمر يدعو به إلى الخير وينهاه عن الشر ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ وهذا وصف آخر لهذا الكافر وهو أشد أوصافه، حيث يجعل مع الله إلها آخر فينكر بذلك توحيده في ألوهيته ﴿فَالْقِيََاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ وهذا تأكيد لما أمر الله به الملكين من إلقائه في نار جهنم.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ المراد به الشيطان وقريته حين يختصمان أمام الرحمن فيتبرأ القرين من صاحبه ويقول: يارب لم أظغه ولم أضله، ولكنه هو الذي أضل نفسه حين اتبع هواه فيرد الله على ذلك بقوله عز ذكره ﴿لَا تَخْصِمُوهُ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ أي: لا تتخاصموا لدي فقد قدمت لكم بالوعد أي: أعذرتكم بما أرسلت لكم من الرسل وأنزلت لكم من الكتب، وبينت لكم طريق الخير من الشر ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ أي:

يقول المولى عز وجل: لقد حكمت بالعدل ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أي: لست أظلم أحدا فأعاقبه بذنب لم يرتكبه، وإنما أعاقب من ارتكب ذنبا ولم يتب منه رغم ما جاءه من البينات.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان أن الله يأمر الملكين اللذين يأتیان بالكافر للعرض أن يلقياه في العذاب بعد أن ثبت أنه كافر عنيد وأنه مناع للخير، وأنه معتد مريب، وأنه مشرك بالله منكر لتوحيده في ألوهيته. وفيها: أن هذا الكافر وقرينه من الشياطين يختصمان أمام الرحمن فيتبرأ القرين من عمل صاحبه ويتهمه بالضلال، ثم ينهاهما الله عن التخاصم عنده بعد أن بين لهم الآيات والحجج في الدنيا وهذا هو حال الشياطين حين يغيرون أتباعهم ثم يتبرؤون منهم كما قال تعالى ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١). وفيها: الحكم بعدل الله، ونفي الظلم عنه في أحكامه كما قال تعالى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَلِّئُنَا مَا لِهَذَا

الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١﴾

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

بيان الآيات:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ لما كان قد سبق في علم الله أنه سيملاً جهنم من الكفرة وشياطينهم كما قال تعالى لإبليس ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٢﴾. فإنه يسأل جهنم وهو أعلم بما يسألها عنه عما إذا كانت قد امتلأت فتجيب قائلة: هل من مزيد، أي: هل تزيدونني؟ ﴿وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: قربت في مكان غير بعيد للمتقين الذين آمنوا بالله وآياته، وصدقوا رسوله واتبعوا ما جاء به من عند ربهم ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ أي: هذا ما وعدكم الله به من النعيم المقيم ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ﴾ أي: منيب رجاء إلى طاعة الله في كل أمر من أموره وحافظ

(١) سورة الكهف الآية ٤٩ .

(٢) سورة ص الآية ٨٥ .

لحدوده غير مضيع لها ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ هذا وصف للأوَّاب بأنه يخاف الرحمن وهو غائب عنه ولكنه يعرف أنه حفيظ عليه يعلم ما يعلنه وما يخفيه ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ أي: وفد إلى الله بقلب سليم من الآثام والخطايا ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أي: يقال لهؤلاء المتقين الذين يتصفون بالإنابة وخشية الرحمن: ادخلوا الجنة وأنتم سالمون من العذاب والملائكة تسلم عليكم وتحييكم ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ أي: هذا اليوم الذي تخلدون فيه في الجنة فلا تخرجون منها ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ أي: لهم ما يختارون فيها مما تلد به نفوسهم ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي: وعند الله لهم زيادة وهي لذة النظر إلى وجهه الكريم التي لا يماثلها لذة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن النار تسأل عن المزيد إلى أن يضع رب العزة قدمه عليها فتتوقف عن السؤال. وفي ذلك: روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (تحتاج الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله عز وجل للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذاب أعذب بك من أشياء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهناك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من

خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا^(١). وفيها: تقرير كرامة المتقين الذين يرجعون دائما إلى ربهم ويحفظون حدوده ويخشونه بالغيب. وفيها: أن أعظم حظ يناله أهل الجنة رضا الله عنهم ونظرهم إلى وجهه الكريم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
الِالْدِّهِلِّ مِّنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ
أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

بيان الآيتين:

لما ذكر الله في أول السورة تعجب المشركين من إنذارهم بالبعث الذي يكذبون به ثم ذكر بعد ذلك واقعة الموت وأحوال يوم القيامة، قال عز وجل إن عذاب هؤلاء المشركين من قريش هيئ عليه فقد أهلك أمما قبلهم كانوا أقوى منهم وأشد بأسا كما قال تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ ثم بين أن العذاب لما حاق بهم صاروا يسألون عن ملجا يلجؤون إليه كما قال تعالى ﴿فَنَقَّبُوا فِي الِالْدِّهِلِّ مِّنْ مَّحِيصٍ﴾ أي: هل من مهرب يفرون إليه من الهلاك وأنى لهم ذلك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ أي: فيما حدث لتلك الأمم

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، برقم (٤٨٥٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٤٦٠.

من الهلاك لعبرة وعظة ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: قلب يتعظ ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: سمع ما يقال له من النذارة وقلبه حاضر.

أحكام ومسائل الأيتان:

تقرير أن الله أهلك أمما كثيرة، بسبب تكذيبها لرسولها، وهذا يقتضي تذكير الناس بهذه الحقائق؛ لكي يعتبروا ويتعظوا ويفيقوا من الغفلة التي يتعرضون لها، بسبب لهو الحياة وغرورها. وفيهما: أن العبد لا ينتفع بالموعظة إلا إذا كان قلبه حاضرا أثناء سماعها وإلا لم ينتفع بما وُعِظَ به كحال المنافقين الذين قال الله فيهم ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(١).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ﴿٢٦﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ ﴿٢٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾

(١) سورة محمد الآية ١٦ .

أي: خلقنا السموات في ستة أيام معدودات ابتداء من يوم الأحد وانتهاء بيوم الجمعة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ أي: ما كان في خلقهما من نصب أو تعب، وفي هذا رد على اليهود الذين قالوا إن الله بدأ خلق السموات والأرض يوم الجمعة واستراح يوم السبت فهم لهذا يجعلون يوم السبت راحة لهم ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اصبر يا نبينا محمداً على المكذبين من المشركين واليهود والمنافقين ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: وكما تصبر على أذى هؤلاء المكذبين استعن على ذلك بالتسبيح ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ والمراد به هنا صلاة الفجر التي تقام قبل طلوع الشمس ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ والمراد هنا صلاة المغرب وصلاة العشاء؛ لكونهما تصليان في الليل، وقوله ﴿وَأَذْبَرْ السُّجُودَ﴾ أي: سبح باسم ربك بعد أداء الصلوات.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عظمة الله وإرادته في خلق السموات والأرض والرد على مزاعم اليهود بأنه استراح يوم السبت كما قال عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزَمْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١). وفيها: وجوب الاستعانة

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٣.

بالصبر والصلاة عند النوائب كما قال تعالى ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(١). وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر صلى^(٢). وفيها: تقرير فضل التسبيح في دبر كل صلاة؛ لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون، ويجاهدون ويتصدقون، قال ﷺ: (ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرائه، إلا من عمل مثله: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين) فاختلفنا بيننا فقال بعضنا: نسبح ثلاثاً وثلاثين ونحمد ثلاثاً وثلاثين ونكبر أربعاً وثلاثين فرجعت إليه فقال: (تقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاث وثلاثون)^(٣).

﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۖ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾^(٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ

(١) سورة البقرة الآية ٤٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج ٥ ص ٣٨٨ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، برقم (٨٤٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٢ ص ٣٧٨ .

وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ
 عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ
 بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: استمع يا محمد يوم ينادي إسرافيل الخلق لفصل القضاء، وذلك من مكان قريب من الناس قيل إنه صخرة بيت المقدس ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ وهي نفخة إسرافيل الثانية للبعث ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ أي: خروج الأموات من قبورهم ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أي: يقول المولى عز وجل: أنا الذي أبدأ الخلق أول مرة ثم أميته ثم أحياه ﴿وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ أي: إلي مرجع جميع الخلائق لحسابهم وجزائهم على أعمالهم التي عملوها في الدنيا إن خيرا فخير وإن شرا فشر ﴿يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ أي: وفي ذلك اليوم ينزل الله مطرا من السماء، فتنتبث فيه الأجساد ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور، فإذا نفخ خرجت الأرواح بين السماء والأرض فيأمر الله كل روح أن ترجع إلى جسدها فتدب فيه الحياة ثم تنشق الأرض فيقومون مسرعين للحساب ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: أن بعث الخلائق سهل علينا كما قال تعالى

﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْئِسٍ وَاحِدَةٍ ﴾^(١). ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ هذا تهديد لكفار قريش ووعد لهم بالعذاب إذا لم يتوبوا، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ بألا يحزن من قولهم ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ أي: لا تقدر على إجبارهم على الهدى، وإنما أنت مبلغ تذكّر بالقرآن المؤمنين الذين يخافون الله ويخشون وعيده كما قال تعالى ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير واقعة البعث والنشور ومناداة إسرائيل للأممات وسماع الصيحة وخروج الأممات من قبورهم مسرعين كما قال تعالى ﴿ مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾^(٢). وفيها: بيان الله لرسوله أنه يعلم ما يقوله المكذبون له وأن عليه الصبر كما قال عز وجل ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾^(٣). وفيها: بيان الله لرسوله أنه لا يقدر على هداية من كفر من قومه، وإنما عليه أن يبلغ بالقرآن ويذكر به المؤمنين الصالحين الذين يخشون وعيد الله.

(١) سورة لقمان من الآية ٢٨ .

(٢) سورة القمر الآية ٨ .

(٣) سورة الحجر الآية ٩٧ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الذاريات

مكية وآياتها ستون آية

﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَوْا﴾ ١ ﴿فَالْحَمِلَتِ وَقْرًا﴾ ٢ ﴿فَالْجَرِيَّتِ يُسْرًا﴾ ٣
 ﴿فَالْمُقْسِمَتِ أَمْرًا﴾ ٤ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ ٥ ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ ٦ ﴿وَالسَّمَاءِ
 ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ٧ ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْلِيفٍ﴾ ٨ ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ ٩ ﴿.

بيان الآيات:

﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَوْا﴾ هذا قسم من الله عز وجل بآية من آياته وهي
 الرياح التي تذرو التراب وغيره وتقسمه أقساما ﴿فَالْحَمِلَتِ وَقْرًا﴾
 أي: السحب التي تحمل في طياتها المطر حملا ﴿فَالْجَرِيَّتِ يُسْرًا﴾
 المراد بها السفن حين تجري في البحر بسهولة ﴿فَالْمُقْسِمَتِ أَمْرًا﴾
 أي: الملائكة تقسم الأرزاق وذلك بأمر ربها ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾
 أي: أن ما توعدون به أيها الخلق من البعث والحساب والجزاء هو وعد
 صادق سيقع لا محالة ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ أي: أن الحساب يوم المعاد
 واقع لا شك فيه.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ هذا قسم بالسماء ذات البهاء والحسن
 وقيل: إنها طرائق السحاب ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْلِيفٍ﴾ هذا جواب

القسم، وهو أنكم أيها المكذبون لرسول الله في قول مضطرب فتارة تتهمونه بالكذب، وتارة تتهمونه بالسحر، وتارة تقولون إن القرآن شعر، فأنتم في شك وريب؛ بسبب كفركم ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مِنَ الْفِكِّ﴾ أي: يصرف عما جاء به الرسول من الحق من صرفه الله بقضائه بعد أن تبين عناده واستكباره عن الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير قسم الله تعالى على وقوع البعث في أجله المسمى عنده وما يتبع ذلك من الحساب والجزاء. وفيها: تقرير اختلاف المكذبين لرسول الله، فمنهم من يتهمه بالكذب، ومنهم من يتهمه بالسحر، ومنهم من يصف القرآن بالشعر، وما هذا الاختلاف إلا بسبب كفرهم. وفيها: أن الله يصرف عن الحق الذين يستكبرون عنه.

﴿قِيلَ الْخَرَّصُونَ﴾ ١٠ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ ١١ ﴿يَسْأَلُونَ﴾
 ﴿أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ١٢ ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ﴾ ١٣ ﴿ذُقُوا فَنَنَّاكُمْ هَذَا﴾
 ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ١٤

بيان الآيات:

﴿قِيلَ الْخَرَّصُونَ﴾ أي: لعن الذين يقولون الكذب ويتخرصون بالظنون ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ أي: الذين هم في جهالة

غافلون عن الآخرة ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: يتساءلون في سخرية واستهزاء عن قيام الساعة ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ﴾ أي: في ذلك اليوم الذي هم فيه يعذبون ويقال لهم فيه ﴿ذُوقُوا فَنَّتَكُمْ﴾ أي: عذابكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: هذا هو اليوم الذي تستعجلونه استهزاء فأنتم ملاقوه اليوم حقيقة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير لعنة الله للخراسين الذين يكذبون آيات الله ورسالة رسوله، ويستهزئون بيوم القيامة. وفيها: أن هؤلاء يعذبون يوم القيامة؛ بسبب تكذيبهم واستهزائهم ويقال لهم وهم في ذلة وصغار لاقوا العذاب الذي كنتم تستهزئون به.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۖ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۖ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۖ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۖ ﴿١٩﴾﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ لما توعد الله بالعذاب المشركين المكذبين لآياته ورسوله، ذكر حال المتقين وما أعد لهم في الجنة من النعيم ﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: مستمتعين بما أعطاهم ربهم

من الثواب ثم وصفهم الله بقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي: كانوا قبل أن يقدموا إلى ربهم مخلصين في أعمالهم يبتغون رضا ربهم ويرجون ثوابه ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ هذا وصف لقيامهم في الليل، فهم لا ينامون عن ذكر ربهم ولا يغفلون عن عبادته، بل يقومون من الليل فيصلون ويسبحون له ويستغفرونه كما قال تعالى ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْحَرُمِ﴾ أي: كما هم يصلون، فإنهم لا يبخلون بأموالهم، بل يزكون ما أوجب الله عليهم زكاته ويتصدقون من فضول أموالهم فيعطون من سألهم ويعطون المحروم الذي يتعفف عن سؤالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير جزاء المتقين، وذكر ما يتصفون به من الإحسان وقيام الليل والاستغفار في الأسحار، وبذل المال في سبيل الله، ومساعدة المحتاجين. وفي هذا قال رسول الله ﷺ لما قدم المدينة: (يا أيها الناس أفسحوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)^(١).

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام، برقم (٣٢٥١)، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٠٨٣، والإمام أحمد في المسند ج ٢ ص ٢٩٥.

﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴿٢٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ أي: فيها من الآيات العظيمة الدالة على قدرته وسلطانه ما جعلها صالحة لسكن الخلق ومقامهم وما أرسى فيها من الجبال وما بث فيها من الحيوان والدواب والطيور وما وضعه فيها من البحار والأنهار والعيون وما فيها من النباتات والأشجار، وكل ذلك لمنفعة خلقه في طعامهم وشرابهم ومقامهم ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: وفي أنفسكم أيها الخلق الدلائل العظيمة المتمثلة في تدرج خلقكم من النطفة الصغيرة إلى استواء خلقكم بما فيه من السمع والبصر والعقل والقوة والمشاعر والحواس، كل ذلك بصنع الله وقدرته، فالعقلاء هم الذين يتبصرون في أنفسهم ويعلمون قدرة الله وعظمته فيخلصون له العبادة.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ المراد به المطر وهو مصدر رزق الخلق في الأرض؛ لأن نزوله من السماء يحيى الأرض، وما يكون فيها من النبات والثمار ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ المراد به ما عند الله في السماء من الجنات للمتقين وما فيها من العذاب للمكذبين ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ هذا قسم من الله بذاته العلية أن ما قاله

عن المتقين والمكذبين وجزاء كل منهم إنه حق لا مرأ فيه مثل ما أن الإنسان لا يماري في النطق الذي ينطق به.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن في الأرض آيات بينات للذين ينظرون في الكون ويتفكرون فيه فيعلمون أن خالقه ومبدعه هو المستحق للعبادة، كما أن في أنفس الخلق آيات بينات للذين يتدبرون فيها بعقولهم وبصائرهم، فيعرفون أن هذه الآيات تدل قطعاً على قدرة الله وعظمته. وفيها: أن المطر الذي ينزله الله من السماء هو مصدر رزق الخلق في الأرض، حيث يحيي الله به الأرض فتنبت النبات لأرزاق الخلق. وفيها: قسم الله وقسمه حق أن البعث ووعده الله للمتقين بالثواب ووعده للمكذبين بالعذاب حق لا مرأ فيه.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ هذه الآيات وما بعدها خلاصة لقصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة حين وفدوا عليه وقد تقدم تفصيلها في سورتي (هود) و(الحجر) والمراد هل أتاك يا محمد ما حدث بين إبراهيم وضيوفه ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: سلموا عليه فرد عليهم السلام ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: أنكر هيئتهم؛ لأنهم كانوا شبانا يكسوهم الجمال والمهابة ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ أي: تسلل خفية منهم ليقدم لهم ما يقدمه المضيف لضيوفه ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ أي: من أفضل ما عنده ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ أي: جعله قريبا منهم خدمة وتلطفا بهم كما يتلطف المضيف بضيوفه، فلما رآهم لا يأكلون استفهم منهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: أحب أن تأكلوا ما قدم إليكم. ولما لم يأكلوا صعب عليه وهو معنى قوله تعالى ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ فلما رأوا ذلك على وجهه عليه السلام ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ أي: قالوا له كما في الآية الأخرى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ ^(١) ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ أي: بشروه بما سيأتيه من الولد ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَاقَةٍ﴾ أي: صرخت من المفاجأة كعادة النساء في مثل هذه الحال

(١) سورة هود من الآية ٧٠.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي: ضربت بيدها على وجهها كما يفعل من فوجئ بأمر ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: كيف ألد غلاما وأنا عجوز أصابها العقم واليأس من الولادة ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ أي: قال الملائكة لزوجة إبراهيم: هذا هو ما أرادته ربك إنه هو الحكيم بما يريد، العليم بما ينفع عباده.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فضل إبراهيم عليه السلام ومكانته عند الله كما قال عز وجل ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾^(١). وفيها: تقرير إرادة الله وقوته وتدبيره في خلقه وحكمته فيهم، فتلد العجوز الولد رغم يأسها منه، ويلد العقيم الولد رغم يأسه، وهكذا لا يعجز الله من الأمر شيء. وفيها: وجوب إكرام الضيف والتلطف به لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) الحديث^(٢).

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾^(٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ^(٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ^(٣٣) مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ

(١) سورة النجم الآية ٣٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم (٦٠١٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٤٦٠ .

﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

بيان الآيات:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ لما عرف إبراهيم أن ضيوفه ملائكة الله سألهم في تلطف عن خبرهم ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ أي: أرسلنا الله إلى قوم كفروا بآيات الله، وتعدوا على حرماته بارتكابهم الفواحش وذلك ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ أي: حجارة من طين مطبوخ ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: معلّمة من عند الله مكتوب عليها اسم كل واحد من هؤلاء الذين أسرفوا في فعل الفواحش وانتهكوا حرمت الله ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أخرجنا من قرية سدوم لوطا ومن معه من المؤمنين ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهو بيت لوط وابنتيه ومن كان معه من المؤمنين ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ أي: جعلنا هذه القرية بعد هلاك أهلها عبرة وهي تحولها إلى بحيرة سيئة لا تزال تعرف الآن بالبحر الميت أو بحيرة لوط ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي: جعلناها عبرة للذين يخشون الله ويخافون عقابه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أن سنة الله قد خلت بعقاب المجرمين الذين

يعتدون على حدود الله، وينتهكون حرماته كما قال تعالى ﴿أَفَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾^(١). ﴿أَوْ أَمِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾^(٢). ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣). وفيها: أن كل مؤمن مسلم، ولا يتحقق إيمان المسلم إلا إذا تعمقت في نفسه شروط الإيمان، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾^(٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرًا أَوْ مَجْنُونٌ^(٣٩) فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ^(٤٠) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ^(٤١) مَا نَذِرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ^(٤٢) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ^(٤٣) فَفَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ^(٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ^(٤٥) وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ^(٤٦).

بيان الآيات:

﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ وفي سياق

(١) سورة الأعراف الآية ٩٧.

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٨.

(٣) سورة الأعراف الآية ٩٩.

ذكر آيات الله التي تكون عبرة للمؤمنين، ومنها: إهلاك قوم نوح وعاد وصالح ولوط ذكر الله عز وجل أنه أرسل موسى إلى فرعون ملك القبط بحجج وبيانات واضحة هي العصا والجراد والقمل وغير ذلك مما سبق ذكره ﴿فَتَوَلَّىٰ بُرْكِيَّةً﴾ أي: أعرض عن الحق معتمدا على قوته وجنوده ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي: قال لموسى: إما أن تكون ساحرا أو مجنونا فيما تقول، ولهذا لن نؤمن لك ولن نصدقك فكان عقابه ما ذكره الله بقوله ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ أي: ألقيناهم جميعا في البحر فغرقوا كلهم ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: ذهاب وهو ملوم على عناده وإصراره على الكفر وجحود الرسالة.

﴿وَفِي عَادٍ﴾ المراد بهم: قوم هود، فقد أرسله الله إليهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، فكذبوا وعصوا واستكبروا، فأرسل الله عليهم ريحا عاتية فلم يبق لهم باقية كما قال تعالى ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ أي: الريح المهلكة ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾ أي: ما مرت عليه من بشر أو شجر أو حجر أو غير ذلك إلا حولته إلى ركام متفتت.

﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ المراد بهم: قوم صالح فقد أرسله الله إليهم يدعوهم إلى توحيد الله وطاعته والبراءة من الشرك وذكرهم بما أسبغ الله

عليهم من نعمه ومنها: الناقة التي طلبوها، ومع ذلك استكبروا وعقروا الناقة ف قيل لهم ﴿تَمْنَعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: أبقوا على ما أنتم عليه حتى يحين الأجل الذي حدده الله لعذابكم بسبب كفركم وهو ما أخبر الله عنه بقوله ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: استكبروا عنه ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: أخذتهم صاعقة العذاب وهم ينظرونه يحيق بهم من كل جانب ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ أي: لم يستطيعوا الوقوف على أقدامهم بل هلكوا وهم قعود ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ﴾ أي: لم يقدروا أن ينتصروا لأنفسهم بشيء.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ أي: أهلكنا قبل هؤلاء الذين ذكرناهم قوم نوح بسبب فسوقهم وتكذيبهم لنبيهم رغم دعوته لهم دهرًا طويلا فأصروا على كفرهم فأغرقهم الله بالطوفان فلم يبق منهم إلا نوح وقلة من المؤمنين معه.

أحكام ومسائل الآيات:

في الآيات السابقة: بيان من الله عن الأمم التي هلكت بسبب تكذيبها لرسولها، وهم فرعون وجنده، وعاد قوم هود، وشمود قوم صالح وقوم نوح، وما كان الله ليهلكهم إلا بعد أن جاءتهم رسلهم بالبراهين والبيانات، فأصروا على كفرهم، وفي هلاك هذه الأمم عبرة لغيرهم ودليل على أن الكفر والمعاصي لا تعمر الأرض بل

تدمرها ومن فيها حتى لو تمتعت إلى حين ومن هنا سوف يدرك الذين يفسدون في الأرض ويستعلون على الضعفاء ويستعمرونهم وينتهكون حرمتهم أنهم لن يسلموا من عذاب الله وفيما حدث للأمم السابقة عبرة لأولي الألباب.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ٤٧ ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ﴾ ٤٨ ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٩

بيان الآيات:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ هذا بيان من الله أنه بنى السماء بما فيها من الأفلاك، وذلك بحكم قدرته العظيمة وإرادته المطلقة وقد وسع أرجاءها ورفعها بغير عمد ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ﴾ أي: جعلناها فراشا سهلا ويسيرا لسائر مخلوقات الله على الأرض، فنعم المسهلون الميسرون للقرار فيها ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: جعلنا جميع المخلوقات في عمومها من الإنس والجن والحيوانات والطيور وغيرها من الكائنات زوجين ذكرا وأنثى ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتفكرون وتعلمون أن الذي خلق هذا الكون في علوه وسفله هو الله الواحد الأحد الذي لا رب غيره ولا إله سواه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عظمة الله وقدرته المطلقة في صنع السماء والأرض وإبداعهما كما قال تعالى ﴿لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١). وفيها: تقرير عظمة الله في جعل المخلوقات زوجية كما قال عز وجل ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢). وهذا هو الأمر الذي بينه الله منذ أنزل القرآن على رسوله قبل معرفة العلم الحديث ظاهرة الزوجية في الكون في الذرة وغيرها، فما من شيء في هذا الوجود إلا زوجي؛ لأن قوله ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يدل على صفة العموم والإطلاق.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

بيان الآيتين:

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ هذا أمر من رسول الله لأئمة أن يفرّوا إلى الله، وذلك بالعمل في طاعته واجتناب معاصيه؛ لأنه لا مفر منه إلا إليه، ولا ملجأ منه إلا إليه ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: إني نذير لكم

(١) سورة غافر الآية ٥٧ .

(٢) سورة يس الآية ٣٦ .

من عذاب الله، فقد جئتمكم بالبينات والبراهين القاطعة بأنه هو ربكم وإلهمكم ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي: لا تعبدوا معه غيره من ملك أو نبي أو ولي أو صنم بل اعبدوه وحده ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ توكيد لندارته عليه الصلاة والسلام لأُمته.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب اللجوء إلى الله في السراء والضراء، فلا مفر منه إلا إليه ولا ملجأ إلا إليه، والفرار إلى الله يقتضي تحقيق طاعته واجتناب معاصيه. وفيهما تحريم الشرك بالله؛ لأنه تعهد ألا يغفر لمن أشرك به كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (١).

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾
 ٥٢ ﴿أَتَوَصَّوهُمْ بِبَلٍ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ ٥٣﴾ فَنُؤَلِّهِمْ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ
 ٥٤ ﴿وَذَكَرْنَا فِي الذِّكْرِ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥﴾

بيان الآيات:

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾
 في هذا تسلية لرسول الله ﷺ مما أصابه من تكذيب قومه له والمراد

(١) سورة النساء من الآية ١١٦ .

أنه كما كذب هؤلاء فإنه ما أتى الأمم قبلهم من رسول إلا اتهموه بالسحر أو الجنون ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضا بهذا الكذب؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: هم قوم طغاة كذبوا بالحق لما جاءهم ﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: لما كان قومك بهذه الصفة من الطغيان فأعرض عنهم فلا تلتفت إلى ما يقولون من الكذب والبهتان، فلن نلومك بشيء لأنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت لهم فلم يستجيبوا، ومع ذلك فإن توليك عنهم لا يعني الإعراض عنهم نهائيا، بل ذكرهم وعظهم ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تنفع الذين كتب لهم الإيمان فهم في حاجة إلى تذكيرك لهم بالقرآن.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير التماثل بين الأمم السابقة في تكذيبها لرسولها وإتهامهم بالسحر أو الجنون. وفيها: أن طغيان الإنسان وهواه مصدر شقاوته وتعاسته كما كان حال فرعون وقارون وهامان وغيرهم من الطغاة على مر التاريخ، وما سببه هؤلاء الطغاة لأممهم من الكوارث والهلاك كما هو الحال كذلك للطغاة في كل زمان ومكان. وفيها: وجوب تذكير الناس بأوامر الله ونواهيه، فكما أن هذا واجب الأنبياء والرسول نحو أمتهم، فإن هذا الواجب

يترتب على العلماء والدعاة، ومن في حكمهم؛ ذلك أن النفس البشرية في غمرة لهوها تحتاج إلى تذكيرها بما أوجب الله عليها من طاعته واجتناب معاصيه.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ٥٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ في هذه الآية العظيمة يبين الله أنه ما خلق الخلق من الجن والإنس للعبث واللهو فحاشاه ذلك بل خلقهم لعبادته وطاعته وحده لا شريك له، وهذه العبادة هي لمنافعهم لأن الله غني عنهم، وليس بحاجة إليهم؛ لأنه الذي خلقهم ورزقهم كما قال تعالى ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ أي: هو الرازق خلقه بقوته المطلقة التي لا يصفها وصف ولا يحدها حدود.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله خلق الخلق من الجن والإنس لعبادته وحده فإذا أنكر الخلق هذه العبادة، فقد نفوا حكمة الله في خلقهم، وعند ذلك يكونون قد استحقوا عقابه؛ لأن العقل يقتضي أن المأمور إذا عصى الأمر بنفي أمره فقد استحق غضبه الموجب لعقابه، وإلا لم يكن للأمر

معنى وحاشا أن يكون أمر الله غير ذي معنى؛ فما من أمر منه أو من رسوله إلا له معنى يقتضي طاعته. ومن أحكام الآيات: أن فائدة العبادة هي للخلق أنفسهم؛ لأن الله غني عنهم فلا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ٥٩
﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ٦٠

بيان الآيتين:

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ أي: إن للذين ظلموا من قومك نصيبا من العذاب مثل نصيب من سبقهم من الأمم المكذبة لرسولها ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: لا يستعجلوا العذاب فإنه آتٍ لا محالة ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ويل - وهو واد في جهنم - للذين كفروا بالبعث وبما جاءهم من البينات ﴿مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي: ويل لهم من العذاب الذي وعدهم الله به يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: التهديد والوعيد للمكذبين لرسول الله، وأنه سوف يصيبهم من العذاب مثل ما أصاب من سبقهم من الأمم إذا لم يتوبوا إلى الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الطور

مكية وآياتها تسع وأربعون آية

﴿وَالْطُّورِ ١﴾ وَكُنْتَ مَسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ٣
وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦
إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨ ﴿٨﴾

بيان الآيات:

لقد جرت حكمة الله أن يقسم بأحد مخلوقاته أو آياته؛ لتوكيد الأمر المقسم عليه في أذهانهم ومعارفهم كالقسم بالسماء، أو بالليل، أو بالبحر؛ لأنها إما مخلوقات أو آيات مشاهدة ومحسوسة، ولهذا أقسم بالجبل والكتاب والبحر وغيرهم قوله ﴿وَالْطُّورِ﴾ المراد به الجبل الذي فيه شجر، ومنه: الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿وَكُنْتَ مَسْطُورٍ﴾ المراد به اللوح المحفوظ أو الكتب السماوية ومنها القرآن ﴿فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ﴾ أي: في جلد أو ورق ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ وهو البيت الواقع في السماء الذي تصلي فيه الملائكة ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ المراد به السماء ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ البحر المعروف؛ أما كونه مسجورا فهو لأنه يوقد يوم القيامة نارا.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ أي: إن عذاب ربك يا محمد واقع بالكافرين لا محالة، وليس لهم ملجأ أو مفر منه ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ أي: لا أحد يستطيع دفعه عنهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله أن يقسم بمن يشاء من خلقه أو آياته ليقرّب المقسّم عليه في أذهانهم؛ أما الخلق فيحرم عليهم أن يقسموا بغير الله كما يقسم بعض العامة بالنبي أو جاهه أو بولي أو نحوه؛ لأن القسم بالنسبة للمخلوق عبادة والعبادة لا تجوز إلا لله.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ۝١٣ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ أَصَلَوْهَا فَأَصْبُرُوا أَوْ لَا تَصْبُرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾

بيان الآيات:

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ أي: تتحرك ويموج بعضها في بعض ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ أي: تزول فتصير هباء ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: عذاب شديد لهم في ذلك اليوم يوم القيامة ثم

وصفهم الله بأنهم كانوا في الدنيا يخوضون في الباطل ويدفعون الحق ويكذبون رسولهم ويستهزئون بما جاءهم به من البينات كما قال تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ وقوله ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ أي: تدفعهم الزبانية إلى النار بعنف وغلظة ويقال لهم في توبيخ وإهانة وذل ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ قوله ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا﴾ أي: يقال لهم أيضا في توبيخ: أهذا الذي ترونه سحر كما كنتم تقولون في الدنيا ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصُورَ﴾ أي: لا ترونه أو المراد بل أنتم لم تبصروا في الدنيا بعقولكم، بل اتبعتم أهواءكم ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ أي: ادخلوا نار جهنم، وذوقوا حرها وسواء عليكم أصبرتم على عذابها أم لم تصبروا فأنتم فيها ولا مخرج لكم منها ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يقال لهم إن ما تلاقونه اليوم من العذاب هو جزاء كفركم بالله وآياته ورسوله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أحوال البعث وأحوال القيامة وما يلاقيه الكافرون من التوبيخ والإهانة والعذاب؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم بالبعث كما قال تعالى ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَيُبْعَثُنَّ ثُمَّ لِيُنَبِّئَنَّهُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(١). وفيها: الحكم بأن الجزاء من جنس العمل

(١) سورة التغابن الآية ٧ .

كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾^(١).

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ
رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُّوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ
عِينِ ﴿٢٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ بعد أن بين الله حال المكذبين وأن مآلهم إلى العذاب، بين حال المتقين، وأن مآلهم الجنات بكل نعيمها المقيم ﴿فَكَهِينَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: يتفكهون بما أنعم الله عليهم في الجنة فيما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر ﴿وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي: نجاههم وحفظهم من عذاب جهنم ثم يقال لهم في سلام ﴿كُلُّوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: تمتعوا بما أنتم فيه جزاء أعمالكم الصالحة في الدنيا ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ أي: يجلسون على سرر منسق بعضها مع بعض بحيث تكون متقابلة وجوههم ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: قرناهم بنساء بيض حسان العيون.

(١) سورة يونس من الآية ٢٧.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير ما للمتقين عند الله من النعيم المقيم وما يلقونه من السرور والهناء ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝ (٢١) وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ (٢٢) يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسٍ ۝ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكُونٌ ۝ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ (٢٦) فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ۝ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝ (٢٨)﴾

بيان الآيات:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ المراد بهم الذين بلغوا مرحلة الكمال في الإيمان ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ إلا أنهم لم يكونوا في درجة إيمان آبائهم فيلحق الله الذرية بالآباء كما قال تعالى ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وقيل: قد يكون الأبناء أرفع درجة من الآباء، فيلحق الله الآباء بهم؛ لأنهم يدخلون في معنى الذرية كما قال تعالى ﴿وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾

فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١﴾. والمراد أن الله عزوجل يقر عيون الآباء بذريتهم؛ لكي تكتمل فرحتهم في الجنة ﴿وَمَا أَلْتَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما نقصنا عمل أيٍّ منهم، فلم ينقص عمل الآباء لما ألحق بهم أبناءهم الصغار، ولم ينقص عمل الأبناء لما ألحق بهم الآباء ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: أن كل امرئ مرتهن بعمله فيجازى عليه يوم القيامة جزاء من جنسه إلا أن الله يمن برحمته وفضله على الآباء فيلحق أبناءهم بهم كما يتفضل على الأبناء فيلحق آباءهم بهم.

﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ﴾ المراد بهم الآباء والأبناء ﴿فَكَهْهَ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ هذا بالنسبة لطعامهم، أما بالنسبة لشرابهم فهو قوله تعالى ﴿يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ أي: يشربون في الجنة خمرا ليست كخمر الدنيا، فليس فيها كلام فاحش ولا عمل إثم ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ أي: يطوف عليهم خدمهم ﴿كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُكُمْ كُنُوزٌ﴾ أي: كأنهم في حسنهم وجمالهم مثل: اللؤلؤ المستور ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: يتحدث بعضهم إلى بعض عن أحوالهم التي كانوا عليها في الدنيا ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: إنهم في حديثهم عن أحوالهم في الدنيا يقولون: إنا كنا خائفين من عذاب الله ولكن الله قد منَّ علينا برحمته وفضله ووقانا

من عذاب النار لقوله تعالى إخبارا عنهم ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ أي: يقولون ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أي: كنا في الدنيا ندعوه ونستجير به من عذاب النار ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ أي: المتلطف بعباده المؤمنين، الرحيم بهم من عذابه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير فضل الله وامتنانه على المؤمنين بأنه يلحق ذرياتهم بهم كرامة لهم وجزاء لهم على إيمانهم وفي الأثر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن في درجته، وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ قول الله تعالى ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمُ﴾ الآية (١).

وفيهما: الحكم بأن كل إنسان مرتتهن بعمله يوم القيامة، ولكن الله يتفضل على عباده المؤمنين فيلحق ذريتهم بهم، ولو لم يكونوا على درجاتهم في أعمالهم. وفيها: أن على المرء أن يخشى الله ويشفق في الدنيا خوفا من عذاب الله ونقمته. وفيها: وجوب دعاء المسلم ربه كما أمره بذلك في قوله عز وجل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٢).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٣ ص ٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٢٤٣.

(٢) سورة غافر الآية ٦٠.

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾

بيان الآيات:

لما بين الله عز وجل أحوال المكذبين لما جاء به رسوله ومالهم من العذاب، والمصدقين به ومالهم من الثواب، أمر رسوله أن يبلغ الرسالة التي أمره بتبليغها إلى خلقه مكذبا ما اتهمه به قومه من الكهانة والجنون فقال ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ أي: لست بكاهن كما يقول كفرة قريش، ولست بمجنون كما يقولون كذبا وبهتاننا ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ أي: يقول كفار قريش إن محمدا شاعر ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ قيل إنهم - كما سبق ذكره - لما اجتمعوا في دار الندوة للتشاور في أمر رسول الله ﷺ قال قائل من بني عبد الدار الذين يصفونه بأنه شاعر: احتبسوه في وثاق وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من سبقه من الشعراء مثل النابغة وزهير، وإن أباه مات شابا، فربما يموت كما مات أبوه^(١).
فأنزل الله هذه الآية ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أي:

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٣ ص ٣١ .

قل لهم يا محمد: انتظروا فإنني معكم من المتربصين أي: من المنتظرين أن يأتيكم العذاب، وقد صدق الله وعده فأحاط بهم العذاب يوم بدر ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ﴾ أي: عقولهم ﴿بِهَذَا﴾ الكذب ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: بل هم قوم كفروا بالله وطغوا وعتوا ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ﴾ أي: يقولون اختلقه من نفسه ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: هم قوم ضالون معاندون لله ورسوله ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ أي: ليأتوا بكتاب مثل ما جاء به محمد ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وجوب تذكير عباد الله ووعظهم بكتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، وهذا واجب العلماء والدعاة؛ لكونهم ورثوا مهمة رسول الله في التذكير والدعوة والوعظ. وفيها: تحريم الكهانة التي تتم عن طريق الرئي من الجن حين يأتي أصحابه بالكذب عن خبر السماء. وفيها: تحريم الطغيان؛ لأنه من أوامر الشيطان وضلاله، وفي هذا قال تعالى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ (١). وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٢). وفيها: تحريم الكذب على الله أو على رسوله وفي هذا قال عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٦.

(٢) سورة النحل من الآية ٣٦.

عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١﴾ ﴿مَتَّعُ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢﴾.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ
أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ
بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا
فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ
يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ
سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾.

بيان الآيات:

بعد أن بين الله كذب المشركين فيما قالوه عن رسول الله ﷺ
بدأ في توبيخهم فقال عز وجل ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أي: هل
خلقوا من غير أن يخلقهم خالق ﴿أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ أي: هل هم الذين
خلقوا أنفسهم والجواب أنه لا هذا ولا هذا، بل إن خالقهم هو الله
الذي لا خالق غيره ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: هل هم
الذين خلقوا السموات والأرض، والجواب بالنفي؛ لأنه لا خالق إلا الله
﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ لأنهم جهلة وضلال أغواهم الشيطان عن اليقين

(١) سورة النحل من الآية ١١٦.

(٢) سورة النحل الآية ١١٧.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ أي: هل عند هؤلاء المشركين خزائن الله ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾ الغالبون على الكون، فهؤلاء أبعد ما يكونون عن ذلك؛ لأن الله هو المالك والمتصرف وحده، وعنده خزائن السموات والأرض ﴿أَمْ لَهُمْ سُلُمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: هل لهم مرقى إلى السماء يصعدون فيه ﴿فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: أن كان ذلك لهم فليأت من استمع منهم بحجة تبين صدقه ﴿أَمْ لَهُ أَلْبَنَتْ وَلَكُمْ أَلْبُنُونَ﴾ أي: هل لله تعالى البنات ولهم البنون؟ وهذا رد على كذبهم وفجورهم حين جعلوا الملائكة بنات الله ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي: أتسألهم أجراً عن تبليغك لهم الرسالة؟ ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ أي: ستراهم يتبرمون ومثقلين من أضعف شيء يطلب منهم، مع أنك يا نبينا محمداً لن تطلب منهم أجراً ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ أي: ليس لهم ذلك، فهم أضعف وأقل وأصغر من أن يعلموا الغيب؛ لأنه لا يعلمه إلا الله ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي: يريدون كيدا لك ولرسالتك ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي: بل هم المكيدون وسيرجع كيدهم إليهم ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ أي: ألهم إله غير الله حاشا وكلا، فلا إله إلا هو، وفي هذا تهديد ووعد لهم في عبادتهم للأصنام ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزهه وتقدس عما يشرك به المشركون من الأصنام والأوثان.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله عز وجل هو الخالق لا خالق غيره ولا رب سواه، وفي حديث جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بالطور فلما بلغ قوله تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ وما بعدها كاد قلبي أن يطير وكان جبير مشركاً وقدم على النبي ﷺ في وفد من أسارى بدر فكان سماعه لهذه الآية سببا في دخوله الإسلام^(١). وفيها: بيان عجز المشركين وضعفهم، فلا هم ولا غيرهم يستطيع مضاهاة خلق الله وقدرته كما قال عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٢). وفيها: تقرير سفاهة المشركين وجهلهم في وصف الملائكة بأنهم بنات الله. وفيها: أن كيد الكافرين يرتد إليهم، وهذا ما حصل للمشركين يوم بدر حين قتلوا شر قتلة، وهو حكم عام لكل زمان ومكان.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾^(٤٤)
فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ^(٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ
كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ^(٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج ١ ص ٢٣٥.

(٢) سورة الحج من الآية ٧٣.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ هذا تعريض بالمشركين واستهجان لعنادهم وكفرهم وجهلهم والمراد أن هؤلاء لو رأوا قطعة تنزل من السماء لعذابهم فسيقولون: هذا سحب مركوم سوف ينزل علينا منه المطر ﴿فَذَرَّهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ أي: دعهم يا نبينا محمداً في غيهم وعنادهم إلى أن يلاقوا موتهم ثم يحاسبون على كفرهم ويجزون عليه. ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ أي: في ذلك اليوم الذي يصعقون فيه لن يغني عنهم مكرهم ولا كيدهم ولا عنادهم من شيء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: في ذلك اليوم لن يجدوا أحدا ينصرهم أو يواليهم ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: أن للمشركين الظالمين عذابا غير عذاب الآخرة هو عذاب الدنيا، وذلك أن الله ابتلاهم بالسنين العجاف ثم بالقتل في المعارك التي حدثت معهم وفي مقدمتها معركة بدر ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لم يكونوا يعلمون ما كان سيحدث لهم من القتل والهلاك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير سفاهة المشركين وجهلهم وعنادهم عن اتباع الحق الذي جاء به رسول الله إليهم. وفيها الحكم بأن الظلمة

في أي: زمان ومكان إذا لم يتوبوا يلاقون عذابا في الدنيا بما يصيبهم من الكوارث والأوبئة والأمراض ونقص الثمرات كما قال عز وجل ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾^(١).

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ۝٤٩﴾

بيان الآيتين:

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: اصبر يا محمد على أذى المشركين وعنادهم واستمر في دعوتهم إلى الله ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: في رعايتنا وحفظنا نسمع ما تقول، ونسمع ما يقولون ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قيل: في هذا آثار كثيرة، ولعل أولها أن يقول العبد عند القيام للصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ أي: سبحه في صلاة الليل وعند إدبار النجوم أي: بعد طلوع الفجر.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الصبر على أوامر الله بالقيام بها، والصبر على تجنب نواهيه. وأمر الله لعباده بالصبر على أذى المشركين فيه فائدتان:

(١) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .

أولهما: احتمال توبتهم ورجوعهم إلى الله؛ لأنه عز وجل يفرح بتوبة عباده حتى لا يعذبهم. الثانية: زيادة أجر رسول الله ﷺ وكل داعية إلى الله على ما يصيبهم من الأذى في سبيل الدعوة إلى الله. وفيهما: فضل التسبيح عند قيام المرء من نومه، لما رواه عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: (من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب فإن تَوْضُّأً قبلت صلاته)^(١).

وفيهما أيضاً فضل التسبيح عند قيام المرء من مجلسه؛ لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك)^(٢). وفيهما: فضل التسبيح في الصلاة عند طلوع الفجر والمراد بها: الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر^(٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل، برقم (١١٥٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٤٧.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس برقم (٣٤٣٣)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٤٦٠، والإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ٤٩٤.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب تعاهد ركعتي الفجر ومن سماها تطوعاً، برقم (١١٦٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٥٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النجم

مكية وآياتها ثنتان وستون آية

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ
فَأَسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ
أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ هذا قسم من الله تعالى بالنجم إذا غاب بعد طلوعه، وقيل المراد الثريا إذا سقطت مع الفجر ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ هذا جواب القسم، وهو أن محمدا -يا قريش- ما ضل في حياته وما غوى، فأنتم تعرفونه منذ صغره، وهو يتمتع بالصدق والنزاهة والأمانة كما تعرفون أنه لم يرتكب غواية ولا فسقا ولا جهلا في حياته ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: لم يكن نطقه بالقرآن ولا بما يعظكم ويذكركم به صادراً عن هوى أو غرض في نفسه أو لمصلحته ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ أي: أن ما ينطق به ما هو إلا وحي أوحاه الله إليه به علمه إياه ملك ذو قوة شديد والمراد به: جبريل

عليه السلام الذي أمره الله أن ينزل بالوحي على رسوله محمد ﷺ وهو ذو مرة أي: سليم وقوي وذو خلق كما قال تعالى ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ﴿ذُو مِرْقٍ فَاسْتَوَى﴾ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ أي: استقر في الأفق الأعلى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ أي: تدلى جبريل في نزوله من الأفق فكان ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أي: قدر قوسين من محمد أو أدنى منهما والقوس آلة للرمى معروفة ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ أي: أوحى الله إلى رسوله محمد بواسطة جبريل ما أوحاه إليه من النبوة والرسالة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قسم الله عز وجل بالنجم إذا هوى. وفيها: تقرير أمانة رسول الله محمد ﷺ وبعده عن الهوى. وفيها: الحكم بأن ما يقوله عليه الصلاة والسلام وحي يوحيه الله إليه. وفيها: إثبات رؤيته لجبريل عليه السلام.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ١١ ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ ١٢ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ١٣ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ١٤ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ ١٥ ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ ١٦ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ ١٧ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ ١٨.

بيان الآيات:

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ أي: ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه ببصره وهو جبريل عليه السلام حين نزل عليه بالوحي من عند الله. وقيل: المراد ما رآه رسول الله عليه الصلاة والسلام ليلة أسري به من الآيات الكونية العظيمة، ولعل الأصح هو القول الأول أنه رآه مرتين في هيئته الأصلية الأولى لما كان في الأفق الأعلى والثانية في السماء السابعة بدليل ما سيأتي من قوله تعالى ﴿أَفَتَمُرُّنَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى﴾ أي: تكذبونه وتجادلونه فيما رآه ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ أي: رآه -كما ذكر- في السماء السابعة حين عرج به إلى السماء ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ وهذه شجرة عظيمة في السماء السابعة ينتهي إليها ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها وقيل المراد ينتهي علم الأنبياء أو علم الخلائق إليها ويعزب علمهم عما وراءها^(١) ﴿عِنْدَ هَاجَةِ الْمَأْوَى﴾ أي: عند هذه السدرة جنة المأوى التي يتطلع لها المتقون والشهداء والصالحون ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ أي: يغشاها نور الله وضياؤه فتكون نورا على نور ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ أي: ما مال بصر رسول الله يمينا ولا شمالا حين عرج به إلى السماء، ولم يتجاوز الحد بل رأى

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٣ ص ٥٢-٥٣، والجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ٩٤-

ما أمر أن يراه وهذا من حسن أدبه عليه الصلاة والسلام ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ أي: رأى جبريل على صورته الطبيعية التي له فيها ستمائة جناح ورأى في ذلك المقام العظيم عجائب قدرة ربه وعظيم آياته في ملكوت لا يوصف بوصف أو يحدد بعلم إذ لا يعلمه إلا الله المتعالي في ملكه وسلطانه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير رؤية رسول الله ﷺ لجبريل في هيئته الطبيعية وهي ستمائة جناح مرتين الأولى حين نزل عليه بالوحي كما ذكر، والثانية حين رآه في السماء السابعة. وفيها: أن سدرة المنتهى شجرة عظيمة ينتهي عندها علوم الخلائق. وفيها: الحكم بوقوع حادثة الإسراء حين عرج برسول الله ﷺ إلى السماء فرأى فيها آيات الله العظيمة كما قال عز وجل ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (١٩) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ

(١) سورة الإسراء الآية ١ .

وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾

بيان الآيات:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُرَى﴾ (١)، (٢). ﴿وَمَنَوَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَى﴾ (٣) لما نزه الله رسوله محمداً ﷺ عن كذب المشركين وبين أن ما كان يقوله إنما هو وحي يوحيه إليه خاطب المشركين موبخا لهم على صنيعهم وعبادتهم للأصنام. والمراد هل أوحى لكم هذه الآلهة التي تعبدونها شيئا كما يوحى إلى محمد ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ أي: أترضون لأنفسكم الذكور لأنكم تحبونهم، وتجعلون الإناث لله لأنكم تكرهونهن (تعالى الله عما يقول ويفعل الظالمون علوا كبيرا).

﴿تِلْكَ إِذَا قَسَمَةٌ ضَيْرَى﴾ أي: قسمة جائرة وظالمة لو كانت بين مخلوق وآخر، فكيف إذا كانت مع ربكم الذي خلقكم من العدم

(١) اللات صنم كان لثقيف في الطائف وكانوا يفخرون بها وقد اشتقوا اسمها (اللات) من الله وقيل إن اسمها مشتق من اسم رجل منهم كان يلت السوق للحجاج فلما مات عبده. الجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ٩٩، برقم (١٠٢)، ومعجم معالم الحجاز لعاتق البلادي ج ٦ ص ٩٠-٩٣.

(٢) العُرَى كانت صنما في نخلة بين مكة والطائف وكانت قريش تعظمها. الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ١٠٠، برقم (١٠٢)، ومعجم معالم الحجاز لعاتق البلادي ج ٦ ص ٩٠-٩٤.

(٣) مناة كانت في المشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٣ ص ٥٨-٥٩.

ورزقكم وأنعم عليكم بنعمه الظاهرة والباطنة؟ ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ أي: أنكم سميتم أنتم وآباؤكم هذه الأصنام بأسماء من عندكم فعبدتموها ولم يكن لكم في ذلك حجة ولا برهان من كتاب ولا من رسول، وإنما أنتم بعبادتكم لهذه الأصنام، إنما تتبعون الظن الذي لا حقيقة له كما تتبعون هوى أنفسكم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ أي: جاء كتاب الله ورسوله مبينا لهم طريق الهدى من الضلال والحق من الباطل فاتبعوا الباطل فعبدوا الأصنام ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ هذا استفهام إنكاري والمعنى ليس كل ما يتمناه الإنسان يدركه ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ أي: أن الأمر كله لله فهو الذي يتصرف في خلقه بحكمته ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ أي: كم من الملائكة المقربين من الله لا تغني شفاعتهم لأحد إلا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة، فلما كان هذا حال الملائكة فكيف تعتقدون أن هذه الأصنام الصماء من الأخشاب والحجارة تشفع لكم عند الله فما يفعل ذلك إلا الحمقى والجهلة كما أنتم.

أحكام ومسائل الآيات:

التنديد بالمشركين الذين يعبدون الأصنام مما يدل على حماقتهم

وجهلهم؛ لأنهم يعرفون أن هذه الأصنام أحجار وأخشاب صماء. وفيها: أن المشركين عبدوا هذه الأصنام تقليداً لأبائهم دون أن يكون لهم دليل نقلي أو عقلي، بل كانت عبادتهم لها مجرد هوى وظن بأنها سوف تشفع لهم عند الله، مع أن الله قد بين لهم في كتابه وعلى لسان رسوله أنه لا معبود بحق إلا هو، وأن عبادة غيره محرمة وتؤول بصاحبها إلى العذاب السرمدي. وفيها: أن الإنسان لا يحصل على كل ما يتمناه كما قال تعالى ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(١). وفيها: أن الدنيا والآخرة ملك لله تعالى، فمن طلبهما من دون مالكما فقد خسر خسرانا مبينا. وفيها: أن أحدا لا ملك مقرب ولا نبي مرسل يستطيع أن يشفع لأحد إلا بعد رضا الله كما قال عز وجل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٢). وقوله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوتُنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾^(٢٨) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا^(٢٩)

(١) سورة النساء الآية ١٢٣.

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٥٥.

(٣) سورة الأنبياء من الآية ٢٨.

ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٣٠﴾

بيان الآيات:

ما زال السياق في ذكر طغيان المشركين وضلالهم فقال عز ذكره ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ يعني المنكرين للبعث المكذبين به ﴿لَيَسْمُنَ الْمَلَكَةَ سَمِيَةَ الْأَنْثَى﴾ أي: جعلوا الملائكة بنات الله - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا - وما كان صنيعهم هذا إلا لأنهم أنكروا البعث، فلو آمنوا به لعلموا أنهم سوف يحاسبون على أفعالهم ويجزون عليها وقد توعدهم الله بقوله ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكَبُّ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (١). ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ليس لهم حجة ولا برهان بل هو كفر وطغيان ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: ليس لهم في زعمهم وضلالهم وقولهم الباطل من حجة إلا الظن وهو أكذب الحديث ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: أعرض عن الذي جاءه الحق وكفر به متبعا لهواه ﴿وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: لم يكن همه إلا الدنيا والسعي فيها وحبها بعد أن ضل في تفكيره فأنكر الآخرة ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ

(١) سورة الزخرف الآية ١٩ .

مِّنَ الْعِلْمِ ﴿٣١﴾ أَي: إن رغبتهم ومسعاهم وغاية حبهم هو طلب الدنيا والتمتع فيها ﴿٣٢﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَهْتَدَى ﴿٣٣﴾ أَي: أن ربك يا محمد هو العليم بأحوال خلقه، ومن يضل منهم عن الحق ومن يهتدي منهم إليه، فكل ذلك في علمه وسوف يحاسب كلا بما عمل من خير أو شر .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن من لا يؤمن باليوم الآخر، وما أَعَدَّه الله فيه للمتقين الأبرار سوف يرتكب كل أنواع الضلال والفساد كما كان المشركون يسمون الملائكة بنات الله -تعالى الله عن قولهم-. وفيها: أن من الجهل وفساد العقول القول بالظن والبعد عن الأدلة والبراهين الشرعية. وفيها: التنديد والوعيد لمن يعرض عن كتاب الله ويجعل الدنيا هدفه ومبتغاه.

﴿٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٣﴾

بيان الآيتين:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمته وعدله ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: يجزيهم من جنس عملهم؛ لأنهم أساءوا إلى أنفسهم وظلموها ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ وهذا غاية العدل، فمن عمل خيرا فجزاؤه مثل عمله ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ هذا بيان للمحسنين بأنهم اجتنبوا الكبائر المحرمة وزكوا أنفسهم وطهروها بالإيمان والخشية من الله فلم يشركوا ولم يقتلوا ولم يزنوا ولم يقطعوا رحما ولم يفسدوا في الأرض ﴿إِلَّا اللَّعْمَ﴾ المراد بها: صفائر الذنوب؛ ذلك أن الله واسع المغفرة يتجاوز عن ذنوب عباده إذا عرف توبتهم وصلاحهم كما قال عز وجل ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعُ الْمَغْفِرَةَ﴾ قوله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: هو عليم بكم وبأفعالكم منذ أن خلق أباكم آدم من الطين ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَحِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ هو أعلم بكم من أنفسكم منذ أن كنتم نطفة ومضغا في أرحام أمهاتكم لا تعرفون ولا تعلمون شيئا ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا تمتدحوها وتطهروها ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ أي: هو أعلم بمن كان تقيا مخلصا في عبادته مؤتمرا بما أمره الله به ومنتهيا عما نهاه عنه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن لله ما في السموات والأرض، وما بينهما، وأنه المتصرف والمدير فيهما بإرادته وحكمته وعدله كما قال تعالى ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(١). وفيهما تقرير قاعدة أن الجزاء يكون من جنس العمل كما قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٢). وقوله جل وعلا في الحديث القدسي: (إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)^(٣). وفيها: أن الله يتجاوز عن اللوم وهو صغائر ذنوب عباده إذا اجتنبوا كبائرهما، وفي حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه)^(٤).

وقيل إن المراد باللمم هو التوبة بعد ارتكاب الفاحشة بدليل قول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٣.

(٢) سورة المدثر الآية ٣٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٩٢.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، برقم (٢٦٥٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٧١٤.

اللَّهُ فَاسْتَغْفِرُوا لِدُنُوبِهِمْ ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم﴾ ﴿الآية (٢)﴾. ومنها: تحريم تزكية النفس؛ لأن الله هو العالم بالنفس وخفاياها فلا يزيكها إلا هو كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونُ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ﴿٣﴾. وفي حديث عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه قال إن رجلا ذكر عند النبي فأثنى عليه رجل خيراً فقال عليه الصلاة والسلام: (ويحك قطعت عنق صاحبك - يقوله مراراً - إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك والله حسبي ولا يزكى على الله أحداً) ﴿٤﴾.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا نَزَرُ وَأَزَرَهُ وَزَرَ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ ﴿٣٣﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد

(١) سورة آل عمران من الآية ١٣٥ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٣٦ .

(٣) سورة النساء الآية ٤٩ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يكره من التماح، برقم (٦٠٦١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٤٩١ .

اتبع رسول الله ﷺ فسخر منه بعض المشركين وقالوا: لم تركت دين آبائك وضللتهم وزعمت أنهم في النار؟ فقال: إني خشيت عذاب الله فضمن له أحد شياطين المشركين أن يتحمل عنه العذاب إذا أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه فأعطاه ما طلبه ثم منعه إياه فأنزل الله فيه هذه الآية^(١) والمراد أنه تولى وأعرض عن الحق بعد أن كاد أن يسلم ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ أي: أعطى قليلاً من المال للذي عرض عليه لتحمل العذاب عنه وأكدى أي: قطع عطيته بخلا وشحا ﴿أَعْنَدَهُ، عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ أي: أكان يعرف علم الغيب بأن أحداً سوف يتحمل عذاب غيره يوم القيامة، وهذا سؤال إنكارى؛ لأنه لا أحد يتحمل إلا وزره، وما كان قبول الوليد بن المغيرة بما عرضه عليه المشرك إلا دليلاً على عمق الجهل المترسب في عقول المشركين ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ أي: ألم يعرف هذا الجاهلي المشرك ما ورد في صحف موسى وهي التوراة ﴿وَأِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ أي: ألم يعلم كذلك هذا الجاهلي المشرك ما قام به إبراهيم تجاه ربه وطاعته واستسلامه لأمره وأن ما ورد في صحفه وصحف موسى هو ﴿أَلَا نَزَرُ وَأَزَرُهُ وَزَرَ أُخْرَى﴾ أي: لا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى وإنما توفي كل نفس ما كسبت ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ أي: ليس لأي إنسان إلا عمله

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٦٣٠، وتفسير البغوي ص ١٢٤٨ .

الصالح الذي سعى إليه وبذل فيه جهده سواء علما علمه أو صدقة تصدق بها، أو ولدا صالحا خلفه فدعا له ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ أي: أن سعيه الذي سعاه في الدنيا سوف يرى يوم القيامة ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى﴾ أي: سوف يجزى على عمله حسبما هو إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن كل نفس تجزى بما كسبت، وهذا يقتضي أن أحدا لا يتحمل ذنب أحد كما قال تعالى ﴿وَأَن تَدْعُ مَثْقَلَةً إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾^(١). وفيها: أنه ليس للإنسان إلا سعيه أي: عمله فكما أنه لا يتحمل ذنب غيره، فلا يحصل له من الثواب إلا ما كسبه، ولا تعارض بين هذا وبين قول رسول الله ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)^(٢). وذلك لأن كل هذا من كسبه، فعلمه من كسبه وصدقته من كسبه وولده كذلك وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولد الرجل من كسبه)^(٣).

(١) سورة فاطر من الآية ١٨ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم (١٦٣١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٤٤٥١ .

(٣) أخرجه النسائي في كتاب البيوع، باب الحث على الكسب، برقم (٤٤٦١)، سنن النسائي ج ٧ ص ٢٧٦، وأبو داود في كتاب الإمارة، باب في الرجل يأكل من مال ولده، برقم (٣٥٢٨)، سنن أبي داود ج ٣ ص ٢٧٤ .

وفيها: أن عمل الإنسان وسعيه في الدنيا سوف يكشف يوم القيامة، وفي هذا قال تعالى ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١).

﴿وَأَنِّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦) وَأَنَّهُ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (٥٢) وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَى (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَمَارَى (٥٥)﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَنِّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ أي: إليه معاد الخلائق كلها لا محالة ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ أي: جعل في عباده الضحك والبكاء ومسبباتهما؛ فالعبد يضحك لسرور نزل به من مال، أو ولد أو راحة في نفسه، ويبكي لما قد ينزل به من النوائب والهموم

كفراق الأحبة، وقد يبكي من المرض والخشية من العذاب ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ أي: هو الذي خلق الحياة وخلق الموت وقدرهما بأجال معلومة ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ أي: خلق الذكر والأنثى ليحصل التناسل بينهما ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ أي: من قطرة المنى التي تتلاقح من الزوجين ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْآخِرَى﴾ أي: هو الذي بقدرته وإرادته يحيي الخلائق بعد موتهم؛ ليقوموا بين يديه يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ أي: أغنى عباده بما يسره لهم من أسباب الكسب والرزق وأقنأهم أي: أنعم عليهم من أنواع الرزق بما يكونون به مقتنين للمال ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ وهو الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء وكان هذا الكوكب معظما عند العرب في الجاهلية يعبدونه فبيّن تعالى أن الشعرى مخلوق وأنه هو الذي خلقه وغيره من الكواكب ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ أي: أهلك عادا قوم هود، فهي الأولى في الهلاك قبل ثمود، وقد أهلكها الله بالريح الصرصر ﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى﴾ وهم قوم صالح وقد أهلكهم الله بالصيحة الشديدة ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: أهلك قوم نوح قبل هلاك عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَأَطْعَنِي﴾ أي: كانوا أشد كفرا وتمردا من الذين أتوا بعدهم من

الأمم، حيث طالت مدة نوح فيهم فلم يزدهم ذلك إلا تكبرا وطغيانا حتى قيل إن الرجل منهم كان ينطلق بابنه إلى نوح فيقول له احذر هذا الرجل فإنه كذاب ﴿وَالْمُؤَنَّفَكَةُ أَهْوَى﴾ المراد بهم: قوم لوط ائتفكت بهم مدنهم أي: انقلبت عليهم حين رفعها جبريل إلى السماء ثم هوت فصار عاليها سافلها ﴿فَغَشَّهَا مَا غَشَّى﴾ أي: أرسل لها من الحجارة ما أرسل ﴿فَيَأْتِي الْآءَ رَبِّكَ نَتَمَارَى﴾ أي: فبأي نعم ربك تمتري أيها الإنسان.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن المصير والمنتهى إلى الله يوم القيامة. وفيها: بيان مظاهر قدرة الله وعظمته في خلق أسباب الضحك والبكاء والموت والحياة وخلق الزوجين من نطفة صغيرة وإحياء الخلائق بعد موتهم وأنه رب كل شيء ومليكه، وأن الأفلاك كلها مربوبة. وفيها: أيضا بيان قدرة الله وعدله في خلقه حين أهلك الطغاة من الأمم الذين كذبوا رسلهم.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ﴾ ٥٦ ﴿أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ﴾ ٥٧ ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ٥٨ ﴿أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجِبُونَ﴾ ٥٩ ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ ٦٠ ﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ ٦١ ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ ٦٢ ﴿

بيان الآيات:

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ أي: هذا النبي والرسول محمد هو نذير مثله مثل الرسل المنذرين قومهم من الضلال كما في قوله تعالى ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾^(١). ﴿أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ﴾ أي: قربت القيامة ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي: لن يدفعها أحد إذا حل أجلها، وستبقى في علم الله وحده لا يعلمها إلا هو ﴿أَفَمَن هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ﴾ في هذا إنكار ووعيد للمشركين والمراد أنكم من القرآن تعجبون أي: تكذبون به ﴿وَتَضَحَكُونَ﴾ استهزاء وسخرية منه ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ خوفا مما ورد فيه من الوعيد بالعذاب الذي سيحيق بكم إذا لم تتوبوا من ضلالكم وشرككم ﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ أي: غافلون ومعرضون عما جاءكم من الحق والهدى ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ أي: اخضعوا له جزاء فضله وانقادوا لطاعته ووحدوه في عبادته واشكروه على نعمه.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن رسول الله ﷺ أحد الرسل المنذرين لأممهم وأقوامهم كما قال عليه الصلاة والسلام: (وإني أنا النذير العريان)^(٢). وفيها:

(١) سورة الأحقاف من الآية ٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، برقم (٦٤٨٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٣٢٢.

قرب قيام الساعة كما قال تعالى ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾^(١). وقوله ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٢). وفيها: ذم كثرة الضحك الذي يغفل به القلب عن الذكر، وقد روي أن رسول الله ﷺ لم يضحك بعد نزول هذه الآية، وإنما كان يتبسم، وفي حديث أبي هريرة أنه لما نزل قول الله ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ قال أهل الصفة: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله ﷺ بكاءهم بكى معهم فبكينا لبكائه فقال عليه الصلاة والسلام: (لا يلج النار من بكى من خشية الله)^(٣)، ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله، ولو لم تذنّبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم ويرحمهم إنه هو الغفور الرحيم^(٤). وفيها: أنه يشرع السجود عند تلاوة آية السجدة وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس^(٥).

(١) سورة الأنبياء الآية ١.

(٢) سور القمر الآية ١.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، سنن الترمذي ج ٤ ص ١٥٠، برقم (١٦٣٩).

(٤) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ١٢٢، والحديث أخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٤ ص ٥٩٣، برقم (١٩٥٠).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا﴾، برقم (٤٨٦٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٤٨٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القمر

مكية وآياتها خمس وخمسون آية

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۚ﴾ (١)
 ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۚ﴾ (٢)
 ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۚ﴾ (٣)

بيان الآيات:

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۚ﴾ هذا بيان من الله أن الساعة قد اقتربت، وأن الدنيا سوف تنتهي قريباً، ومن دلائل ذلك بعثة رسول الله ﷺ وانشقاق القمر معجزة له؛ ذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما فلم يؤمنوا بل قالوا سحرنا محمد^(١). وفي هذا قال تعالى ﴿وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۚ﴾ أي: هذا سحر باطل، سحرنا به محمد وليس حقيقة ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ﴾ أي: كذبوا ما جاءهم من الحق واتبعوا في تكذيبهم ما أمرتهم به نفوسهم

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۚ﴾ وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُعْرَضُوا ﴿مختصراً، برقم (٤٨٦٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٤٨٤.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: كل أمر واقع بأهله إن كان خيرا فهو خير لهم، وإن كان شرا فهو شر لهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: جاءهم من أخبار الأمم السابقة وقصصها وما حل بها من العذاب حين كذبت رسلها ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: موعظة وعبرة لهؤلاء المشركين تزجرهم عن الكفر لو كانوا يتدبرون القرآن ويعقلون ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ أي: إن هذا القرآن حكمة بالغة لمن أراد أن يهتدي بما فيه، ويسلم من الضلال ﴿فَمَا تُغْنِ الْنُذُرُ﴾ أي: ما تغني النذر لقوم يكذبون آيات الله وما جاء به رسوله ويصرون على هذا التكذيب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الساعة قد اقتربت، وأنها قائمة لا محالة كما قال تعالى ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾^(١). وفيها: بيان بعض علامات الساعة ومنها: البعثة النبوية لقول رسول الله ﷺ: (بعثت والساعة كهاتين)^(٢). ومن علامات الساعة: انشقاق القمر، حيث انشق على عهد رسول الله ﷺ فلقتين فرآه أهل مكة كما رغبوا أن يروه، ومع ذلك لم يصدقوا بل قالوا: هذا سحر. وفيها: تحريم اتباع

(١) سورة الأنبياء الآية ١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ برقم (٤٩٣٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٥٦٠ .

الهوى إذ أن من أخطر ما يصاب به المرء اتباعه لهواه كما قال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ الآية (١). وفيها: أن النذر لا تنفع الذين يتبعون أهواءهم ويصرون على كفرهم؛ لأن قلوبهم قد انطبعت بسبب هذا الكفر على دفع الحق واتباع الباطل.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكُرٍ﴾ ﴿٦﴾ خُشْعًا
أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ
يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾

بيان الآيات:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض يا محمد عن هؤلاء الذين كذبوا بالآية واتركهم لحكم الله فيهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكُرٍ﴾ أي: إلى ذلك اليوم الذي تجتمع فيه الخلائق للحساب والجزاء ويرون ما فيه من الأحوال ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ أي: ذليلة منكسرة في نظراتها ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: من قبورهم ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ أي: مثلهم في انتشارهم وذهابهم للحساب مثل الجراد الذي ينتشر في السماء ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ أي: مسرعين إلى داعي الله لا يتخلفون عنه ولا يتأخرون ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أي: يتحدث الكافرون إلى نفوسهم وإلى أصحابهم أن

هذا اليوم يوم عسير عليهم لما يعرفونه من سوء أعمالهم وكفرهم وتكذيبهم بآيات الله.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: وصف لحال الخلائق يوم تقوم الساعة فيخرجون من قبورهم أذلة أبصارهم من هول ما يرون فينتشرون في الآفاق، متجهين إلى الله، مثلهم في ذلك مثل الجراد حين ينتشر في الأفق. وفيها: أن الكفرة يرون عسر ذلك اليوم عليهم كما قال تعالى ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾^(١). ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾^(٢).

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾^(١)
 فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ^(١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ^(١١)
 وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ^(١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ
 الْوُجْهِ وَدُسِّرِ^(١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ^(١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً
 فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ^(١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ^(١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ^(١٧) ﴿١٧﴾

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ هذا بيان من الله لرسوله يسليه فيه

(١) سورة المدثر الآية ٩.

(٢) سورة المدثر الآية ١٠.

عما وجده من قومه، ويبين له أن قوم نوح كذبوه من قبل حين
 دعاهم إلى توحيد الله وعدم الشرك به فاتهموه بالجنون وزجروه
 وحاربوا دعوته كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ
 وَازْدُجِرَ﴾ ﴿فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ أي: دعا نوح ربه أنني
 ضعيف، وقد تعبت من دعوتهم فلم يستجيبوا لي فانتصر لدينك
 وقد استجاب الله دعوته بقوله ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾
 أي: أنزلنا المطر بغزارة ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي: نبعت عيونا
 ﴿فَالْتَفَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: التقى ماء المطر وماء العيون
 لما قدره الله أن يهلكهم بالطوفان، جزاء كفرهم وتكذيبهم لنبيهم
 ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَلْوَجِ وُدُسِيرٍ﴾ أي: حملناه ومن معه من المؤمنين
 في السفينة ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: تحت قدرتنا وحفظنا ﴿جَزَاءً
 لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: جعلنا هذا الطوفان جزاء للذين كفروا بآياتنا
 وانتصارا لنبينا نوح ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ أي: تركنا سفينة نوح
 وقيل الطوفان ليكون في ذلك عبرة لمن يكذبون رسلهم ﴿فَهَلْ مِنْ
 مُّذَكِّرٍ﴾ أي: هل من متعظ ومعتبر بما حدث لقوم نوح؟ ﴿فَكَيْفَ
 كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ هذا استفهام للتعجب والمراد تهديد للمشركين أن
 يصيبهم العذاب؛ بسبب تكذيبهم لرسولهم ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
 لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلنا لفظه ومعانيه وبيناه لمن يتذكر به ﴿فَهَلْ مِنْ

مُذَكِّرٌ ﴿١٨﴾ أي: هل من معتبر ومتعظ بما فيه من البراهين.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير واقعة الطوفان، وما حدث فيها من نجاة المؤمنين، وهلاك الكاذبين لرسولهم نوح. وفيها: تقرير أن الله يستجيب دعاء المغلوبين على أمرهم لضعفهم وقلة حيلتهم، واستبداد القوي عليهم. وفيها: أن الله إذا أهلك قوما ترك آية لغيرهم؛ لكي يتعظ ويعتبر بها. وفيها: الحكم بأن الله يسر القرآن للتذكر، فمن أراد الاهتداء اهتدى به.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَزْعُ النَّاسَ كَانْتِهِمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٢٢﴾

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ أي: كذبت عاد نبيها هودا كما كذب قوم نوح نبيهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ هذا استفهام للتعجب كما ذكر والمراد انظر يا محمد كيف أصابهم العذاب، وهو ما بيّنه تعالى بقوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: ريحا شديدة ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ أي: جاءتهم هذه الريح في يوم شؤم عليهم؛ بسبب تكذيبهم لرسولهم

ثم وصف الله هذه الرياح بأنها ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ أي: أنها كانت ترفع الواحد منهم ثم تنكسه على رأسه فيخر صريعا على الأرض ثم تنزع رأسه فيبقى جثة بلا رأس فيكون مثل قعر النخلة التي قلعت من جذرها ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ أي: انظر كيف كان العذاب الذي حل بهم، وهذا تهديد للمشركين كما ذكر آنفا. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ أي: هل من يتدبر ويتعظ.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ما حدث من العذاب لقوم عاد الذين كذبوا رسولهم هودا ووصف هذا العذاب بأنه استمر عليهم سبع ليال متتابعات، فكانت هذه الرياح تنزع رؤوسهم وتدخل الحصون التي تحصنوا فيها فتخرجهم منها ثم تصرعهم. وفيها: الحكم بأن قوة الله غالبية على كل قوة في الوجود.

﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ (٢٣) ﴿فَقَالُوا أَأَشْرًا مِمَّا وَحَدَّا تَتَّبَعُهُ إِنَّآ إِذَا لَفَى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٢٤) ﴿أُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌّ﴾ (٢٥) ﴿سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ أَأَشَرُّ﴾ (٢٦) ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّافَةِ فَنَنَّهُ لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ (٢٧) ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌّ﴾ (٢٨) ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ (٢٩) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ (٣٠) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ (٣١) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (٣٢)

بيان الآيات:

﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ﴾ أي: كما كذب قوم نوح وكذبت عاد قوم هود كذبت ثمود - وهم أهل الحجر - نبيهم صالحا ﴿بِالنُّذُرِ﴾ أي: كذبوا بما أُنذِرهم به نبيهم صالح ﴿فَقَالُوا أَأُشْرَأُ مِنَّا وَاحِدًا نَّبَعُهُ﴾ أي: كيف نتبع واحدا مثلنا ﴿إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ وَسُعُرٍ﴾ أي: لو اتبعناه فإننا غير رشيدين وغير عقلاء ﴿أَلَيْسَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾ أي: أيعقل أن يوحى إليه من دوننا ﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ أي: متجاوز الحد في الكذب ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَابِ الْأَشْرِ﴾ أي: سيعلمون حين يرون العذاب الذي يحل بهم من هو الكذاب الأشر، وهذا تهديد ووعيد شديد لهم. ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ﴾ أي: اختبارا لهم حيث قالوا لنبيهم صالح: إن كنت رسولا حقا فاسأل الله أن يخرج من هذه الصخرة في هذا الجبل ناقة فسأل الله - كما ذكر من قبل - أن يعطيه ما سألوه فخرجت من الصخرة ناقة عُشراء حسبما سألوا لتكون حجة عليهم ثم أمر الله رسوله صالحا أن يراقبهم ليرى ما يفعلون وهل يؤمنون ويصدقون كما قال تعالى ﴿فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ أي: أخبرهم أن الماء يوم لهم ويوم للناقة ﴿كُلُّ شَرِبٍ مِّنْهُم مُّحَضَّرٌ﴾ أي: يحضره من هو له من ثمود أو الناقة فتحضر الناقة يوم قسّمها

وتغيب عنهم يوم قسمهم ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ أي: دعوا صاحبهم واسمه قدار بن سالف، وطلبوا منه أن يعقرها ففعل، فلما رأى صالح ما فعله قومه بكى وقال: لقد حل بكم عذاب الله؛ لأنكم انتهكتم حرماته ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ أي: انظر يا محمد كيف كان العذاب الذي حل بهم بعد عقر الناقة وهو ما أخبر عنه بقوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخِطَرِ﴾ أي: صاح بهم جبريل صيحة تقطعت منها قلوبهم فأصبحوا مثل الهشيم المتحطم في حظيرة الماشية ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: هل من متعظ ومعتبر؟

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن سنة الله اقتضت أن يتعرض المكذبون لآيات الله ورسله في كل زمان ومكان لغضب الله ونقمته وإهلاكهم بالعذاب. وفيها: أن قوة الإنسان وحضارته وشدة بأسه وقوة صناعته لا تنفعه بشيء أمام قدرة الله. وفيها: أن الله حين يعطي الكافرين مبتغاهم في الدنيا إنما يفتنهم فيما يعطيهم؛ ليرى ما إذا كانوا سيشكرونه أم يكفرون به، وعندئذ يعاملهم حسبما هم عليه من الشكر أو الكفر. وفيها: أن من شقاوة الإنسان أن ينتهك حرمان الله ويتعدى على حدوده كما فعل قدار بن سالف أشأم ثمود.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذُرِّ ۝٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَيْنَاهُمْ
 بِسَحَرٍ ۝٣٤ نِعْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۝٣٥ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ
 بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذُرِّ ۝٣٦ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ
 فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ ۝٣٧ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ۝٣٨ فَذُوقُوا
 عَذَابِي وَنُذِرْ ۝٣٩ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ۝٤٠﴾

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذُرِّ﴾ أي: كما كذبت الأمم من قبل، كذبت قوم لوط نبيهم وعصوه عما نهاهم عنه من ارتكاب الفواحش المقيتة، وهي إتيان الذكور، فأرسل الله إليهم جبريل فحمل مدائنهم وهي (سدوم) وما حولها إلى أفق السماء ثم قلبها عليهم، وأرسلها إلى الأرض وأتبعها بحجارة صغيرة أصابت كل واحد منهم بحجر كما قال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ وقد نجى الله لوطا ومن كان معه من المؤمنين من أهله ومن غيرهم كما قال تعالى ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ أي: آخر الليل ﴿نِعْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ أي: أنعمنا عليهم بإنجائنا إياهم مما أصاب قومهم ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ أي: كذلك نجازي الذين يشكرون ربهم ويأتمرون بما أمرهم به وينتهون عما نهاهم عنه ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ أي: أنذرهم لوط قبل نزول العذاب بهم بأن من يعرض عن أمرنا سوف نأخذه

بالعذاب الشديد ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ أي: لم يصدقوا ما جاءهم به بل شكوا فيه ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ وذلك حين علموا بمجيء الملائكة إلى لوط فأضافهم فراودوه عن ضيوفه بعد أن أعلمتهم زوجته عن وجودهم لديه ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ فأعميت عيونهم فرجعوا على أدبارهم ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ أي: ذوقوا ما حل بكم جزاء عملكم القبيح.

﴿وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: فاجأهم في الصباح عذاب دائم لهم لاقوه في الدنيا وسيلاقون عذاب يوم القيامة ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ أي: ذوقوا جزاء كفركم وعملكم القبيح ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلنا لفظه ومعانيه وبيناه لمن يريد أن يتذكر به ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ أي: هل من متعظ.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله يجزي الشاكرين لنعمه، ويزيدهم منها كما قال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١). وفيها: أن على المضيف أن يدافع عن ضيفه بوصفه في حمايته، وقد فعل لوط عليه السلام ذلك حين دافع قومه عن ضيوفه. وفيها: أن فعل قوم لوط لم يسبقهم إليه أحد من الأمم وأنه من أخس

(١) سورة إبراهيم الآية ٧.

الأعمال وأقبحها وأقذرها.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ﴾ (٤١) ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْنَدِرٌ﴾ (٤٢) ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ (٤٣) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ (٤٤) ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ﴾ (٤٥) ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ (٤٦).

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ﴾ ﴿آل فرعون هم: القبط، جاءهم النذر من الله على لسان موسى بن عمران وأخيه هارون ومعهما الآيات والبيانات المؤيدة لدعوتهما لفرعون وقومه فما آمنوا بل تكبروا وطفغوا وكذبوا فأخذهم الله بقوته وبأسه الشديد فاغرقهم في البحر كما قال تعالى ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْنَدِرٌ﴾ قوله تعالى ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ﴾ هذا الاستفهام المتضمن التهديد يراد به كفار قريش أي: هل كفاركم خير من كفار الأمم السابقة كقوم نوح، وعاد، وشمود، وقوم فرعون الذين أهلكهم الله؛ بسبب تكذيبهم لرسولهم ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: هل لكم براءة وحصن من العذاب قرأتموه في الكتب ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ أم أنهم يقولون: إن جمعهم سوف ينصرهم وينجيهم

من العذاب؟ والجواب ليس لهم ذلك كله؛ لأنهم أضعف ما يكونون أمام قدرة الله وعظمته وهو ما أخبر عنه عز وجل بقوله ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ﴾ أي: سينهزمون لا محالة؛ فمنهم من قتل يوم بدر، ومنهم من فر مدبرا هائما على وجهه خوفا من الموت ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ أي: أن الساعة التي ينكرونها ستكون موعدهم، وحينذاك سيكون عذابهم أشد من عذابهم في الدنيا. وهو معنى قوله تعالى ﴿وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنه لا فرق بين الكفار، مهما اختلفت أزمنتهم وأمكنتهم ومللهم فكل من كفر بآيات الله، وكذب رسله، واتبع هواه سيحقيق به العذاب أينما كان في أي: زمان أو مكان. وفيها: أن قوة الكفرة وبأسهم لا تغني عنهم شيئا أمام قدرة الله وبأسه. وفيها: أن عذاب الآخرة لا يقاس بعذاب الدنيا كما قال تعالى ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ وَأَبْقَى﴾ (١).

﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ

مَذْكِرٍ ﴿٥٦﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٧﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ
 مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٨﴾ إِنَّ الْتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٩﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ
 مُّقْنَدٍ ﴿٦٠﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ هذا بيان من الله بأن الذين
 أجرموا في الدنيا فأشركوا به وعصوه وانتهكوا حرماته هم في حياتهم
 الدنيا في ضلال وشكوك وبعد عن الحق ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى
 وُجُوهِهِمْ﴾ أي: يجرون على وجوههم حين يساقون إليها ويقال لهم
 على سبيل التقرير ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ أي: ذوقوا عذاب جهنم الذي
 كنتم به تستهزئون وتكذبون ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾ هذا بيان
 من الله أنه هو الذي خلق كل شيء في هذا الكون في علوه وسفليّه وأنه
 قضاء قضاءه وقد قدره، فما من شيء يحدث في هذا الكون من حادث
 كبير أو صغير إلا وقد قدره وكتبه في اللوح المحفوظ، وكل هذا بقوته
 وسلطانه حيث يقول للشيء كن فيكون كما قال عز وجل ﴿وَمَا أَمْرُنَا
 إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾

قوله ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ الخطاب هنا لمشركي مكة
 والمراد لقد أهلكنا من كان قبلكم من الكفار الذين كذبوا رسلهم

﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ أي: هل من متعظ ومعتبر منكم بما حدث لهم؟ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: كل ما فعله المشركون من الكفر والتكذيب والعصيان قد كتبه الحفظة من الملائكة وسيجدونهم في صحائف أعمالهم كاملاً غير منقوص ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ أي: كل صغيرة أو كبيرة من أعمالهم مسطورة في صحائف أعمالهم سوف يرونها بأنفسهم، فلن يستطيعوا إنكارها لأن أعضاءهم تشهد عليهم إذا أنكروها ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ لما بين الله حال المجرمين وما سيلاقونه من العذاب لقاء ضلالهم في الدنيا بين عز وجل نقيضهم وهم المتقون الذين عبدوا الله حق عبادته فلم يشركوا معه غيره، ولم ينتهكوا حرماته بل صدقوا آياته ورسوله واتبعوا ما أمروا به، فهم في جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ هو الجنة دار الكرامة والرضوان ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ﴾ أي: عند الملك العظيم رب الكون ومليكه الذي خلق كل شيء وقدره بعدله وحكمته هو الأول والآخر والظاهر والباطن فله الحمد والثناء على ما أنعم به وأفضل على عباده.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان مآل المجرمين يوم القيامة وعدل الله فيهم. وفيها: أن كل شيء في الكون علوه وسفليه هو مخلوق

بقدر الله وإرادته وسابق علمه كما قال تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾^(١). وقوله ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾^(٢). وفي الحديث: (استعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)^(٣). وهذا يقتضي الإيمان المطلق بالقدر، وهذا الإيمان ركن من أركان الإيمان. ولا يشك في القدر إلا من نزع الله منه ربة الإيمان، وفي حديث زرارة عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه تلا هذه الآية ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ قال: (نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله)^(٤). وفيها: الحكم بأن أقوال العباد وأفعالهم مدونة في صحائف أعمالهم كما قال تعالى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٥).

(١) سورة الفرقان من الآية ٢.

(٢) سورة الأعلى الآية ٣.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير إليه، برقم (٢٦٦٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٧٢٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٦٩.

(٥) سورة الكهف الآية ٤٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الرحمن

مدنية وآياتها ثمان وسبعون آية

﴿الرَّحْمَنُ ١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣﴾ عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ ٤ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ
٦ ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ
٨ ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ٩﴾ وَالْأَرْضَ
وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ١٠ ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ ١١﴾ وَالْحَبُّ
ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ١٢ ﴿فِي آيَاءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣﴾.

بيان الآيات:

﴿الرَّحْمَنُ﴾ اسم من أسماء الله عز وجل ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه الذي علّم نبيه ورسوله محمداً ﷺ القرآن ثم تعلمته منه أمته كما أنزله الله إليه ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ﴿عَلَّمَهُ﴾ ﴿الْبَيَانَ﴾ أي: أن الرحمن هو الذي خلق الإنسان من العدم وعلمه النطق وفصاحة اللسان ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي: والرحمن هو الذي جعل الشمس والقمر يتعاقبان في نظام محكم لا يتبدل ولا يتغير ولا يضطرب ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ النجم: ما ليس له ساق من

النبات والشجر هو الذي له ساق وقيل إن المراد بالنجم هنا نجوم السماء، وعلى هذا فعلى أي: تفسير حملت فهما يسجدان خضوعاً لله ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أي: رفع السماء عن الأرض كما اقتضت بذلك إرادته وحكمته ووضع الميزان والمراد به آلهة لكي ينتصف الناس من بعضهم حين يتعاملون ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ أي: لا تبخسوا ولا تخونوا من وزنتم له ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل وعدم الجور ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ أي: لا تنقصوا إذا وزنتم لغيركم، بل يجب أن توفوا في وزنكم ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أي: مهد الأرض وبسطها وسهلها لخلقه ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ﴾ أي: وضع فيها فاكهة متعددة الألوان والمذاق ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أي: وضع في الأرض النخل بأكمامه والمراد بها وعاء الطلع ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ الحب: الحنطة والشعير، والعصف: التبن وسمي عصفاً؛ لأن الريح تعصف به أي: تنثره، والريحان: كل بقلة لها رائحة زكية ﴿فَيَا أَيُّهَا الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم الله الظاهرة والباطنة تكذبون؟ ونجيب على ذلك بجواب الجن المؤمنين لما تلا عليهم رسول الله ﷺ هذه السورة فكلما مر بقوله ﴿فَيَا أَيُّهَا الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد^(١).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٥٥) من سورة الرحمن، برقم (٣٢٩١)، سنن الترمذي

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله هو الذي علم نبيه ورسوله محمدا ﷺ القرآن، وفي هذا دحض لافتراء المشركين ومن كان على ملتهم بأن القرآن لم يكن من عند الله، وإنما هو مفترى من محمد وفي ذلك قال عز وجل ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١). وفيها: أن الله هو الذي قرر العدل بين خلقه، ودلهم على صنع آله وهي الميزان. وفيها: وجوب إقامة العدل وعدم بخس الناس حقوقهم كما قال تعالى ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٢). وقوله ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾^(٣). ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(٤). ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(٥).

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾^(١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ^(١٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ^(١٦) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ^(١٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ^(١٨) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ

(١) سورة هود الآية ١٣ .

(٢) سورة هود من الآية ٨٥ .

(٣) سورة المطففين الآية ١ .

(٤) سورة المطففين الآية ٢ .

(٥) سورة المطففين الآية ٣ .

﴿١٩﴾ يَنْهَمَا بَرَزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

بيان الآيات:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي: أن الرحمن هو الذي خلق الإنسان ﴿مِنْ صَلَصَلٍ﴾ أي: من طين يابس له صلصلة أي: صوت ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ وهو الطين الذي يُحَرَّقُ حتى يصير مثل الحجارة وتصنع منه الأواني ونحوها ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ أي: خلق الجن من لهب النار ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكم الدينية والدنيوية الظاهرة والباطنة تكذبون ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ أي: هو رب المشرق والمغرب ورب كل شيء ومليكه ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ﴿يَنْهَمَا بَرَزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ أي: البحر المالح والبحر العذب يلتقيان ولا يمتزجان؛ لأن الله جعل بينهما حاجزا من الأرض هو البرزخ لكي ينتفع العباد بكل واحد منهما حسب طبيعته ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ المراد بهما: خرز الزينة خلقهما الله لنفع الإنسان وفائدته ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ﴿وَلَهُ

الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ ﴿٦٧﴾ أي: السفن الجارية المرفوعة ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ﴿٦٨﴾ في علوها وظهورها للعيان ﴿فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٦٩﴾ فهذه هي نعم الله لكم أيها العباد فكيف تكذبون وتكفرون بهذه النعم مع أن الواجب عليكم شكر الله عليها ؟

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: أن الإنسان خُلِقَ من طين كما قال عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ﴾ ﴿٦٧﴾ (١). أما الجن فقد خلقوا من لهب جهنم وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم) (٢). وفيها: بيان الله لنعمه على عباده ومنها: ايجاد البرزخ بين البحرين المالح والعذب؛ لينتفعوا بكل واحد منهما حسب طبيعته. ومن هذه النعم خلق اللؤلؤ والمرجان؛ لما فيهما من منافع الإنسان وزينته، وهذه المنافع لا تزال مشهودة، ومنها: إلهام الله للإنسان صناعة السفن، حيث تطور هذا الإلهام إلى جعل السفن أحد المعالم الكبرى في العصر الحديث.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿٦٨﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٩﴾

(١) سورة غافر من الآية ٦٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة، برقم (٢٩٩٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٧٢٧٥ .

فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾

بيان الآيات:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

أي: كل من في الأرض من إنس وجن وغيرهم من المخلوقات صائر إلى الزوال فلا يبقى إلا الله الحي القيوم ذو العظمة والكبرياء الذي خلق الخلق ويميتهم ثم يحييهم، فلا رب إلا هو ولا إله إلا هو ولا حي باقيا إلا هو فتقدست ذاته وأسماءه وصفاته ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو الغني عن خلقه وهم المفتقرون إليه في دنياهم وأخراهم، فإذا دعوه استجاب دعاءهم، وإذا سالوه كشف ضرهم ورحمهم فأزال عنهم بأساءهم وضرأهم، وإذا شكروه على نعمه زادهم منها فهو دائما قريب منهم كما قال عزوجل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (١). ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي: يغفر الذنوب ويفرج الكرب ويجيب الدعوات ويرحم العبرات ويغفر الخطايا والزلات لا يشغله شاغل، ولا يثقل عليه سؤال السائلين وإلحاح الملحين يتوب على التائبين ويغفر ذنوب المستغفرين، عمت فضائله ونعمه أهل الأرض

(١) سورة البقرة من الآية ١٨٦ .

والسموات؛ فما من مخلوق في الكون في علوه وسفله حتى العصاة إلا وقد تقلب في نعمه فله الحمد والشكر على عطائه وهباته. ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن كل من في الكون يفنى فلا يبقى إلا الله ذو العظمة والكبرياء كما قال عز وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١). وفناء الجن والإنس موقوت إلى قيام الساعة ثم يبعثون للحساب والجزاء فيذهب أهل التقى إلى الجنة فيخلدون فيها، ويذهب المشركون والطغاة إلى النار ويخلدون فيها إلا من رحم الله منهم. وفيها: أن كل من في السموات والأرض محتاج إلى الله وأن من سألته فهو قريب إليه يجيب دعوته ويكشف ضره ويزيل بأسه ويغنيه من فقره ويعزه بعد ذله.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾^(٣١) ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٣٢)
يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ^(٣٣) ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٣٤)
يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظُ النَّارِ وَمُحَاسٌّ فَلَا تَنْصِرَانِ^(٣٥) ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٣٦)

(١) سورة القصص من الآية ٨٨ .

بيان الآيات:

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ﴾ أي: لحسابكم ومجازاتكم يوم القيامة حسب ما في صحائف أعمالكم والمراد بالثقلين الجن والإنس وسميًا ثقلين لأنهما أثقلا بالتكاليف ﴿فَيَا أَيُّهَا الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قوله ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾ أي: تهربوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أي: إن استطعتم أن تهربوا من الحساب والجزاء فاهربوا، ولكنكم لن تقدروا؛ لأن قضاء الله وقدره محيط بكم من كل جانب فلا مفر ولا مهرب منه وإنما هي أعمالكم توفى لكم بالعدل من الرحمن. ﴿فَيَا أَيُّهَا الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: هل تكذبون بما تكونون فيه يوم القيامة أمام ربكم وهو الذي خلقكم أولاً، ثم أماتكم ثانياً، ثم أعادكم إليه مرة أخرى، والجواب: لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ أي: لهب النار ﴿وَنُحَاسٌ﴾ أي: دخانها ﴿فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ أي: لا تقدرون إن اردتم الفرار من القضاء والفصل يوم القيامة ﴿فَيَا أَيُّهَا الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: هل تكذبون بقدرة الله؟ والجواب: لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد، هذا ما يجب أن يقوله العبد عند قراءة هذه الآية كما ذكره السلف.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الله يفصل يوم القيامة بين الجن والإنس

فلا يستطيع أحد منهم الفرار في ذلك اليوم؛ لأنهم محكومون بأمره الذي يحيط بهم من كل جانب. وفيها: أن من تصور أنه يستطيع الفرار سوف يصاب بلهب نار جهنم ودخانها.

﴿فَإِذَا أُنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا أُنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ هذا تنمة لما ذكره الله عز وجل عن أحوال يوم القيامة وفي تلك الأحوال تنشق السماء فتكون ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ أي: تكون حمراء كحمرة الورد وتصير مثل الدهن في رقتها ﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد. ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ أي: في ذلك اليوم الذي تقوم فيه الساعة وتنشق السماء ويعود الناس إلى ربهم لا يسأل الله العباد عن ذنوبهم؛ لأنه أعلم بها منهم وإنما يسألون لماذا عملتم ما

عملتم. ﴿فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب
 فلك الحمد. ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ سِيمَهُمْ﴾ أي: بعلاماتهم في وجوههم
 وهو اسودادها ﴿فِيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ أي: تأخذ الملائكة المجرم
 من ناصيته وقدميه فترميه في النار ﴿فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا
 بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: تقول الملائكة الموكلون
 بالعذاب تقريرا لهم: أيها المجرمون هذه جهنم التي كنتم تكذبون
 بها وتستهزئون بمن يحذركم منها فاصلوها اليوم بما كنتم تكفرون
 ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ﴾ أي: يترددون بينها وبين الحميم الذي
 اشتدت حرارته، فهم في تطوافهم يلاقون أشد العذاب لا يفتر عنهم
 وهم فيه ملبسون ﴿فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء من آلائك
 ربنا نكذب فلك الحمد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن الساعة حين تقوم يتغير الكون من
 أساسه فتتنطمس النجوم، وتنسف الجبال، وتنشق السماء كما قال
 عز وجل ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾^(١). وقوله

(١) سورة الفرقان الآية ٢٥.

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾^(١). ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾^(٢). وفيها: وصف
للسماء حين تتشقق فتصبح حمراء اللون وتسيل كما يسيل الدهن.
وفيها: تقرير أن الناس سيكون لهم علامات يوم القيامة فمنهم من
يبيض وجهه ومنهم من يسود كما قال تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ
وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^(٣).

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانٍ﴾^(٤٦) ﴿فِي أَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾^(٤٧)
﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾^(٤٨) ﴿فِي أَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾^(٤٩) ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾^(٥٠)
﴿فِي أَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾^(٥١) ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَكْهَةٍ زَوْجَانِ﴾^(٥٢) ﴿فِي أَيِّ
ءَالٍ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾^(٥٣).

بيان الآيات:

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانٍ﴾ لما بين الله ما لأهل النار من
العذاب في الحميم بين أن لمن اتقى ربه وخشيه وأطاعه واجتنب
معاصيه جنتين إحداهما عن طاعته، والأخرى عن ترك معاصيه
﴿فِي أَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب،
فلك الحمد. ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أي: أغصان، هذا وصف للجنتين أي:

(١) سورة الانشقاق الآية ١

(٢) سورة الانشقاق الآية ٢

(٣) سورة آل عمران من الآية ١٠٦.

ففيهما ألوان وأصناف من الفاكهة ﴿فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١) لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد. ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ أي: في كل واحدة من الجنتين عين تجري بالماء الزلال لا تتبدل ولا تتغير ﴿فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أي: في كل من الجنتين أنواع من الفواكه التي يتنعمون ويتلذذون بها ﴿فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: فضل الخوف من عذاب الله عز وجل واستشعار عظيمته وقوته وانتقامه من الطغاة والمكذبين والخوف ينبغي أن يكون من الله وليس من أحد من خلقه كما قال عز وجل ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١). وفيها: أن الخوف من الله يوصل إلى تقواه، وقد وعد الله ووعدته الحق أن للمتقي لربه جنتين: إحداهما عن طاعته لله، والأخرى عن ترك معاصيه، وفي هاتين الجنتين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾

(١) سورة آل عمران الآية ١٧٥.

فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ
 إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ
 أَلْيَاقُوتٌ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ
 الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ ❀

بيان الآيات:

﴿مُتَّكِئِينَ﴾ أي: أهل الجنة ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: الغليظ من الديباج ﴿وَحَتَّى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ أي: ثمار أشجار الجنتين قريبة منهم متى ما أرادوا تناولوها ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: هل تكذبون بهذه النعم التي وعد الله بها المتقين؟ ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ﴾ أي: وفي الجنتين اللتين أعدهما الله لمن خاف مقامه زوجات غضيضات الأبصار طاهرات لا ينظرن إلا إلى أزواجهن ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ أي: هن أبكار لم يطأهن أحد قبلهم من الإنس أو الجن فلم يطأ الإنسي الإنسانية ولم يطأ الجني الجنية قبل زوجها ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ أَلْيَاقُوتٌ وَالْمَرْجَانُ﴾ أي: هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بهذه النعم ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ أي: هل جزاء من آمن بالله في الدنيا وعمل صالحا وخاف مقام ربه إلا الإحسان إليه ومجازاته في الآخرة بالأجر والثواب على عمله ولاشك أن هذا من عدل

الله ورحمته بعباده ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير طهر نساء الجنة وفضلهن فلا ينظرن إلا إلى أزواجهن، ولا يحبن إلا إياهن، وفي هذا دليل على أن الزوجة الصادقة في الدنيا هي التي لا تنظر إلا إلى زوجها، ولا تحب إلا إياه. وفي هذه الآيات: دليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة ويتزوجون من الجنيات فيها. وفيها: أن من عدل الله في عباده أنه يجازي الذي أحسن في الدنيا وعمل صالحا بالإحسان إليه في الآخرة وزيادته على ذلك كما قال تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢). وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ثم قال: (هل تدرون ما قال ربكم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (يقول ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة)^(٣).

(١) سورة يونس الآية ٢٦.

(٢) سورة النحل الآية ٩٧.

(٣) أخرجه البغوي في تفسيره ص ١٢٦٤، وابن الجوزي في زاد المسير ص ١٢٨٢، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٢١٥.

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾
 مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ
 ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيِّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ نَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي: من دون الجنتين الأوليين جنتان
 أخريان دونهما في الفضل فالأوليان للمقربين والأخريان لأصحاب
 اليمين ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء بآلاء ربنا نكذب فله
 الحمد ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ أي: مسودتان من شدة الاخضرار ﴿فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ﴾ أي: في الجنة
 عينان فياضتان أو فوارتان ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا
 فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ وقد خص الله النخل والرمان بالذكر من بين
 الفاكهة لشرفهما ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: كيف تكذبون
 بهذه النعم العظيمة المعدة لأهل الجنتين ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ أي: في

الجننتين نساء صالحات حسان الوجوه ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾
 لا بشيء من آلاء ربنا نكذب فله الحمد ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾
 أي: إن تلك النساء الصالحات حور مخدرات في البيوت والهوراء من
 غلب بياض عينيها سوادهما ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بشيء
 بآلاء ربنا نكذب فله الحمد ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ عَنْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ أي: لم
 يطأهن إنس ولا جان قبل أزواجهن ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾
 ونقول: لا بشيء من آلاء ربنا نكذب فله الحمد ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ
 خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ أي: أن أصحاب الجننتين متكئون على الفرش
 الخضر العالية الحسان التي لها رفرفة تزيد في جمالها ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: كيف تكذبون بما أعد الله للمتقين من الجننتين
 ونحن نقول: لا بشيء من آلاء ربنا نكذب فله الحمد ﴿نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ
 ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أي: تقدس الله ذو العظمة والكبرياء فله الحمد
 على آلائه وعلى فضائله وما أعده لأوليائه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير الفرق بين الجننتين اللتين أعدتا للمقربين،
 واللتين أعدتا لأصحاب اليمين. وقد أشار الله إلى هذا الفرق بينهما
 بالنص فقال في الجننتين الأوليين ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ وهي كثيرة
 الأغصان وقال في الثانية ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ أي: مسودتان من شدة

الاخضرار، فوصف الأولين بكثرة الاغصان ووصف الآخرين بالخضرة وحدها. وقال في الأولين ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ وفي الآخرين ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ أي: فوّارتان ولكنهما ليستا كالجاريتين والنضخ دون الجري وقال في الأولين ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ وهذا عموم وليس بخصوص وفي الآخرين قال ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ﴾ ولم يقل: من كل فاكهة وقال في الأولين ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو الديباج وقال في الآخرين ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيِّ حِسَانٍ﴾ وفي ذلك فرق بينهما، وقال في الأولين في وصف الحور ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ وقال في الآخرين ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان^(١).

وفي هذه الآيات: خص الله نوعين من الفاكهة وهما التمر والرمان، فلا بد أن فيهما من المنافع الغذائية والصحية أكثر مما في غيرهما. وفيها أن الله مدح المرأة التي تقر في بيتها، وهذا يقتضي ذم من تخرج من بيتها من نساء الدنيا لغير حاجة كما قال عزوجل ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٧ ص ١٨٣-١٨٤، وانظر المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٣٤٨-١٣٤٩.

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٣٣.

فهرس المجلد الثامن

- ٥ تفسير سورة غافر
- ٥ تفسير قوله تعالى ﴿حَمَّ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ
- ٥ ٣-١ ﴿... الْعَلِيمِ
- ٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٦ الحكم بأن القرآن منزل من الله على رسوله محمد ﷺ
- ٦ الحكم بعظمة الله وقدرته في غفران ذنوب عباده
- ٦ الحكم بتوحيد الألوهية المقتضي وجوب صرف العبادة لله
- ٦ تفسير قوله تعالى ﴿مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ
- ٦ كَفَرُوا﴾ ٦-٤
- ٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٧ تقرير أنه يجب على العبد أن لا ينخدع بما فيه الكفار
- ٧ من النعيم
- ٨ الحكم بأن من يجادل بالباطل سيكون مصيره إلى العذاب ...
- ٨ تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ
- ٨ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ٩-٧
- ١٠ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠ تقرير فضل تسبيح الله وتحميده
- ١٠ تقرير اجتماع المؤمنين وذرياتهم في الجنة
- ١٠ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ
- ١٠ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ ١٠-١٢
- ١١ أحكام ومسائل الآيات

- ١١ تقرير أن مقت الكفار لأنفسهم لاينفعهم
- ١٢ تقرير عدم قبول الأعذار يوم القيامة
- تفسير قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا...﴾ ١٣-١٧ ١٢
- أحكام ومسائل الآيات ١٤
- تقرير لطف الله بخلقه ١٤
- وجوب صرف الدعاء وكل أنواع العبادة لله وحده ١٤
- الحكم بأن الله أرسل الرسل بأمره ليبلغوا رسالته ١٥
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ...﴾ ١٨-٢٠ ١٥
- أحكام ومسائل الآيات ١٦
- تقرير مشاهد يوم القيامة وما فيها من الأحوال ١٦
- الظلمة لايجدون يوم القيامة قريبا ينفعهم ١٦
- الحكم بأن الله يعلم بعلمه المطلق خيانة عيون خلقه ١٦
- الحكم بأن الله يقضي بالعدل بين عباده ١٦
- تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ...﴾ ٢١-٢٢ ١٦
- أحكام ومسائل الآيتين ١٧
- تقرير دعوة المكذابين لرسول الله ١٧
- من عاقبه الله بسبب ذنوبه لن يجد واليا يواليه ١٨
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ...﴾ ٢٣-٢٧ ١٨

- ٢٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٠ الإخبار عما عاناه المرسلون من أقوامهم
- ٢٠ الطغاة عندما يأتيهم الحق يخشون من انتشاره بين أقوامهم ..
- ٢٠ تقرير بطلان كيد الكافرين ومكرهم
- ٢٠ الله عز وجل هو الملاذ الأمين للمظلومين من المؤمنين
- ٢٠ تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ .. ﴾ ٢٨-٢٩
- ٢٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٢ تقرير فضل المؤمن الذي يؤمن بين قوم لا يؤمنون
- ٢٢ وجوب المجادلة بالحق والتعريف به
- ٢٢ تحريم الإسراف في كل شيء
- ٢٢ تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقَرُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ .. ﴾ ٣٠-٣٥
- ٢٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٥ تقرير خوف المؤمن على قومه أو بلده من عواقب الذنوب
- ٢٥ تقرير سوء الإفراط في كل قول أو فعل لا فائدة فيه
- ٢٥ سوء الارتياح في الحق وعدم اليقين فيه
- ٢٥ تحريم الجدال المبني على الهوى واتباع الباطل
- ٢٥ الله يطبع على قلوب المتكبرين والجبابرة
- ٢٥ تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ لِي صِرَاحًا عَلَيَّ أَتَبْلُغُ الْأَسْبَبَ .. ﴾ ٣٦-٣٧
- ٢٦ أحكام ومسائل الآيتين

- ٢٦ بيان فساد بعض قادة الأمم
إن المرء إذا ضل عن طريق الحق أصبحت تزين له نفسه
- ٢٧ ارتكاب الأفعال المحرمة
تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ اتَّبِعُونِ
- ٢٧ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ..﴾ ٣٨-٤٠
أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨ تقرير أن الدنيا دار وجود مؤقت سرعان ما ينتهي
من رحمة الله أنه يجازي السيئة بواحدة
- ٢٨ تفسير قوله تعالى ﴿وَيَنْقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ
- ٢٩ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ..﴾ ٤١-٤٣
أحكام ومسائل الآيات
- ٣٠ وجوب التفرقة في المعاملة بين من يدعو إلى الخير
ومن يدعو إلى الشر
- ٣٠ تفسير قوله تعالى ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ..﴾ ٤٤-٤٦
أحكام ومسائل الآيات
- ٣١ تقرير أن الداعي إلى الله إذا عجز عن قبول قومه لدعوته
تركهم لأمر الله
- ٣١ الله ينجي عباده المؤمنين
تقرير عذاب القبر
- ٣٢ تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ
- ٣٢ الصُّعْفَتُو لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا..﴾ ٤٧-٤٨
أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٣

- ٣٣ تقرير التخاصم حين العذاب بين التابعين والمتبوعين
- ٣٣ الحكم بأن كل واحد يلقي مصيره يوم القيامة بنفسه
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ
- أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ..﴾ ٤٩-٥٠
- ٣٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٤ تقرير عدم قبول دعاء الكافر
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي
- الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ..﴾ ٥١-٥٢
- ٣٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٥ تقرير نصر الله لأنبيائه والمؤمنين
- ٣٥ العذر لايقبل من الكافرين يوم القيامة
- ٣٦ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا
- بَنِي إِسْرَءِيلَ آلَ كُتُبَ ..﴾ ٥٣-٥٥
- ٣٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٧ بيان أن الله ينزل الكتب السماوية على أنبيائه ورسله
- ٣٧ أمر الله لنبيه بالصبر
- الدلالة على أن الاستغفار من الذنوب والتسبيح وذكر الله
- ٣٧ وسيلة كبرى للصبر
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ
- بِعَيْرِ سُلْطَانٍ أَنْتَهُمُ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ ..﴾ ٥٦
- ٣٧ أحكام ومسائل الآية
- ٣٨ تحريم المجادلة بالباطل

- ٣٩ وجوب الاستعاذة من شرور الأعداء
- تفسير قوله تعالى ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ
- ٣٩ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ..﴾ ٥٨-٥٧
- ٤٠ أحكام ومسائل الآيتين
- تقرير حقيقة كونية هي أن خلق السماوات والأرض
- ٤٠ أكبر من خلق الناس
- ٤٠ فشو الجهل في كثير من الناس
- ٤٠ الأضداد لا تتساوى
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ لَارِيْبَ فِيهَا..﴾ ١٠-٥٩ ..
- ٤٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٢ تأكيد قيام الساعة حين ينتهي الأجل الذي وضعه الله
- ٤٢ وجوب دعاء الله
- ٤٢ تحريم الكبر
- تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ
- ٤٢ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا..﴾ ١٣-٦١
- ٤٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٤ تأكيد فضل الله على خلقه وما أنعم به عليهم
- ٤٤ تشديد الإنكار على المشركين في صرفهم العبادة إلى الأوثان
- تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا
- ٤٤ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً..﴾ ١٥-٦٤
- ٤٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٥ تأكيد مظاهر قدرة الله وعظمته

- ٤٥ تأكيد قدرة الله في جعل السماء سقفا لمخلوقاته
- ٤٦ تأكيد قدرة الله في تيسير الرزق للإنسان بما هيا له الطيبات ...
- ٤٦ تأكيد توحيد الله
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ
- ٤٦ مِنْ دُونِ اللَّهِ.. ﴿٦٦﴾
- ٤٦ أحكام ومسائل الآية
- ٤٦ وجوب عبادة الله وحده
- ٤٧ وجوب الإسلام لله رب العالمين
- تفسير قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ
- ٤٧ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ.. ﴿٦٧-٦٨﴾
- ٤٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٨ تقرير حقيقة خلق الإنسان
- ٤٨ تأكيد قدرة الله في إحياء الخلائق وإماتتهم
- ٤٨ الحكم أن قضاء الله يتمثل في الأمر بكيونوته
- تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ
- ٤٩ أَنِّي يُصْرَفُونَ.. ﴿٦٩-٧٦﴾
- ٥١ أحكام ومسائل الآيات
- ٥١ تعجب الله من المجادلين في آيات الله
- ٥١ وصف حالة العذاب التي يكون عليها المكذبون
- ٥١ سوء عاقبة الفرح المترتب من اللهو
- ٥١ تقرير سوء عاقبة المتكبرين
- ٥١ تفسير قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ.. ﴿٧٧﴾

- أحكام ومسائل الآية ٥٢
- وجوب الصبر في الدعوة إلى الله ٥٢
- الصبر على الدعوة ليس واجب الأنبياء والمصلحين فحسب ٥٢
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ
مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ..﴾ ٧٨ ٥٣
- أحكام ومسائل الآية ٥٤
- تقرير أن الله أرسل رسلا إلى أقوامهم ٥٤
- ليس لأحد من الرسل أن يأتي بآية إلا من الله ٥٥
- تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَمَ
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ..﴾ ٧٩-٨١ ٥٥
- أحكام ومسائل الآيات ٥٦
- تسخير الأنعام من نعم الله على خلقه ٥٦
- الحكم بأن آيات الله واضحة ٥٦
- تفسير قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ..﴾ ٨٢-٨٥ ٥٦
- أحكام ومسائل الآيات ٥٨
- وجوب التدبر والتفكر فيما حل بالأمم ٥٨
- القوة مهما عظمت لا ترد عذاب الله ٥٩
- التوبة لا تنفع عند حلول النقم ٥٩
- تفسير سورة فصلت ٦٠
- تفسير قوله تعالى ﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ

- ٦٠ الرَّحِيمِ .. ﴿٥-١
- ٦١ أحكام ومسائل الآيات
- ٦١ تأكيد نزول القرآن من عند الله
- ٦١ آيات القرآن مفصلة ولغته عربية
- ٦١ القرآن ذو بشارة ونذارة
- ٦٢ من طبع الله على قلبه لم يعد يسمع ما ينفعه
- ٦٢ تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ ٨-٦ ..
- ٦٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٦٣ تأكيد نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ
- ٦٣ تقرير توحيد الألوهية
- ٦٣ وجوب الاستقامة على دين الله
- ٦٣ وجوب استغفار العبد من الذنوب
- ٦٤ تهديد المشركين الذين لا يؤدون صدقة من أموالهم
- الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الأعمال
- ٦٤ الصالحة لهم أجر
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَيِّنَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ
- ٦٤ فِي يَوْمَيْنِ .. ﴿٩-١٢
- ٦٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٦٦ الحكم بأن الكفر بالله خلل عظيم
- ٦٦ تقرير أن الله خلق الأرض والسموات وما فيهما في ستة أيام ..
- ٦٧ تقرير أن الكواكب زينة للسماء
- تفسير قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ

- ٦٧ صَعِفَّةً عَادٍ وَتُمُودَ .. ﴿١٣-١٨
 ٧٠ أحكام ومسائل الآيات
 ٧٠ تقرير سوء عاقبة المعرضين عن الدعوة
 ٧٠ الحكم بوجوب الإقرار بكلمة التوحيد
 المعرضون عن الحق غالباً ما يحاولون تعجيز من
 يدعوهم إلى التوحيد
 ٧٠
 ٧١ تحريم الاستكبار والاعتداد بالقوة والعجب بها
 ٧١ بيان العذاب الذي أصاب الله به المكذبين لرسوله
 ٧١ الإيمان هو الفاصل بين العذاب والنجاة منه
 ٧١ تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ..﴾ ١٩-٢١ ..
 ٧٢ أحكام ومسائل الآيات
 ٧٢ تقرير كيفية حشر المعادين لله فرقاً فرقاً
 ٧٢ جوارح الإنسان تشهد عليه بما فعل
 تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ
 ٧٣ سَمْعَكُمْ وَلَا أَبْصَرَكُمْ وَلَا جُلُودَكُمْ ..﴾ ٢٢-٢٤
 ٧٥ أحكام ومسائل الآيات
 ٧٥ تحريم سوء الظن بالله
 تفسير قوله تعالى ﴿وَقِضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ
 ٧٥ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ..﴾ ٢٥
 ٧٦ أحكام ومسائل الآية
 تقرير أن المرء إذا استمر في المعاصي بعث الله له قريناً
 من الشياطين يزين له سوء أفعاله
 ٧٦

تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ

وَالْعَوَافِيهِ...﴾ ٢٦-٢٩ ٧٦

أحكام ومسائل الآيات ٧٨

تقرير سلوك المشركين تجاه القرآن ٧٨

تقرير عقابهم وهو الخلود في العذاب ٧٨

تقرير أن المجرمين إذا رأوا العذاب يطلبون من الله أن

يريهم من أضلهم ٧٨

تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا

تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ...﴾ ٣٠-٣٢ ٧٨

أحكام ومسائل الآيات ٨٠

تقرير عظم الاستقامة وفضل صاحبها ٨٠

تقرير أن الإيمان والاستقامة عليه يحققان البشرى للمؤمن ..

تفسير قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ

وَعَمِلَ صَالِحًا...﴾ ٣٣ ٨١

أحكام ومسائل الآية ٨٣

الحكم بأن المرتبة الأولى في حسن القول تتطلب الدعوة

إلى الله ٨٣

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ...﴾ ٣٤-٣٥ ... ٨٣

أحكام ومسائل الآيتين ٨٤

الحكم بأن الحسنة لا تتساوى مع السيئة ٨٤

وجوب دفع السيئة بالحسنة ٨٤

تقرير إحدى قواعد السلوك لدى الإنسان ٨٥

تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا يَزَعْنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ

بِاللَّهِ... ﴿٣٦﴾ ٨٥

أحكام ومسائل الآية ٨٦

وجوب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ٨٦

تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ

وَالْقَمَرُ... ﴿٣٧-٣٩﴾ ٨٦

أحكام ومسائل الآيات ٨٨

بيان قدرة الله وعظمته ٨٨

تحريم السجود لغير الله ٨٨

تحريم الاستكبار عن ذكر الله ٨٨

تقرير عظمة الله وقدرته في إحياء الموتى ٨٨

تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ

عَلَيْنَا... ﴿٤٠-٤٢﴾ ٨٨

أحكام ومسائل الآيات ٩٠

تحريم الإلحاد في آيات الله وأسمائه وصفاته ٩٠

التهديد والوعيد لمن يلحد في آيات الله ٩٠

الحكم بأن الله حفظ القرآن بحفظه ٩٠

تفسير قوله تعالى ﴿مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ

قَبْلِكَ... ﴿٤٣﴾ ٩١

أحكام ومسائل الآية ٩١

تعرض الرسل قبل النبي ﷺ للتكذيب ٩١

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا

- ٩٢ ٤٤ ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ...﴾
- ٩٣ أحكام ومسائل الآية
- ٩٣ بيان ما كان عليه المشركون من العناد والمكابرة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ
- فيه...﴾ ٤٥ ٩٣
- ٩٤ أحكام ومسائل الآية
- ٩٤ بيان حال الأمم السابقة لبعثة رسول الله ﷺ
- ٩٤ حكمة الله اقتضت تأجيل الفصل بين المشركين والمؤمنين
- ٩٤ المشركون كانوا في ريب من القرآن
- ٩٤ تفسير قوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ...﴾ ٤٦
- ٩٥ أحكام ومسائل الآية
- ٩٥ الحكم بأن الإنسان يعمل لنفسه
- ٩٥ الحكم بنفي الظلم عن الله عز وجل
- ٩٥ تفسير قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ ٤٧-٤٨
- ٩٦ أحكام ومسائل الآيتين
- ٩٦ الحكم بأن الله وحده هو عالم الغيب
- ٩٧ الحكم بسعة علم الله وإحاطته بكل ما في الوجود
- تفسير قوله تعالى ﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ
- مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ...﴾ ٤٩-٥١ ٩٧
- ٩٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٩٩ تقرير صفات الإنسان خاصة من فقد الإيمان في نفسه
- ٩٩ وإذا كشف الله ضر هذا الصنف من الإنسان جحد نعمته

- ٩٩ تحريم اليأس والقنوط من رحمة الله
- ٩٩ تحريم الكفر بنعم الله
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ
- ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ..﴾ ٥٢-٥٤ ٩٩
- ١٠١ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠١ الحكم بأنه لا أحد أضل ممن يكذب بالقرآن
- ١٠١ الحكم بأن الله يظهر لخلقه آياته الدالة على عظمته
- ١٠٢ آيات الله ستظهر في الآفاق
- ١٠٣ تفسير سورة الشورى
- تفسير قوله تعالى ﴿حَمْدٌ ۝١ عَسَقَ ۝٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ
- وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ..﴾ ١-٦ ١٠٣
- ١٠٤ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن ما أوحى إلى الأنبياء يتشابه وهو دعوة أقوامهم
- ١٠٤ على التوحيد
- ١٠٤ تقرير عظمة الرب جل وعلا
- ١٠٤ تقرير أن الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للمؤمنين..
- ١٠٥ تقرير شهادة الله على المشركين
- تفسير قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ
- الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا..﴾ ٧-٩ ١٠٥
- ١٠٦ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٦ تقرير الوحي لرسول الله ﷺ

- ١٠٧ توكيد رسالة رسول الله ﷺ إلى سائر البلاد والأمم
- ١٠٧ الناس ليسوا أمة واحدة منهم مهتد ومنهم ضال
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أَخْلَفْتُ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ﴾
- ١٠٧ إِلَى اللَّهِ.. ﴿١٠-١٢﴾
- ١٠٩ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٩ الحكم بأن كتاب الله وسنة رسوله هما الحاكرمان لأي خلاف...
- ١٠٩ وجوب التوكل على الله في كل أمر
- ١٠٩ تقرير فضل الله على خلقه
- ١٠٩ تقرير أن الله ليس كمثل شئ
- تفسير قوله تعالى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ﴾
- ١٠٩ نُوحًا.. ﴿١٣-١٤﴾
- ١١١ أحكام ومسائل الآيتين
- ١١١ الحكم بأن دين الله واحد
- ١١٢ تحريم الاختلاف في الدين
- ١١٢ سبب التفرق والاختلاف هو البغي والطغيان
- تفسير قوله تعالى ﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعُ وَأَسْتَقِمَّ كَمَا﴾
- ١١٢ أُمِرْتَ.. ﴿١٥﴾
- ١١٤ أحكام ومسائل الآية
- ١١٤ ثمانية أوامر أمر الله بها
- تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا﴾
- ١١٥ أَسْتَجِيبَ لَهُ، مِنْهُمْ دَاحِضَةٌ.. ﴿١٦﴾

- ١١٦ أحكام ومسائل الآية
- ١١٦ وجوب ترك الخصام مع أهل الكتاب ومن على شاكلتهم
- تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
- وَالْمِيزَانَ...﴾ ١٧-١٨
- ١١٧ أحكام ومسائل الآيتين
- ١١٧ الحكم بأن الله أنزل القرآن حتى يسود العدل بين الناس
- ١١٧ تقرير قرب الساعة في الأجل الذي حدده الله
- ١١٨ المؤمنون يخشون قيام الساعة
- تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ
- يَشَاءُ...﴾ ١٩-٢٠
- ١١٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ١١٩ لطف الله بعباده
- ١١٩ الجزاء من جنس العمل
- تفسير قوله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ
- مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ...﴾ ٢١-٢٣
- ١٢١ أحكام ومسائل الآيات
- ١٢١ تحريم كل حكم أو شرع لم يشرعه الله
- ١٢٢ تقرير خوف الظلمة يوم القيامة من عاقبة أعمالهم في الدنيا ..
- ١٢٢ تقرير حق القرابة
- ١٢٢ تقرير مضاعفة الحسنات
- ١٢٢ تفسير قوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...﴾ ٢٤
- ١٢٣ أحكام ومسائل الآية

- ١٢٣ الحكم بأن الله قد برأ رسوله من الكذب
- ١٢٤ بنزول القرآن أبطل الله الباطل بكل صوره
- ١٢٤ تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ..﴾ ٢٥-٢٦..
- ١٢٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٢٥ وجوب توبة العباد من ذنوبهم وخطيئاتهم
- ١٢٥ وعد الله أنه يستجيب لعباده دعاءهم
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا
- ١٢٥ فِي الْأَرْضِ..﴾ ٢٧-٢٨
- أحكام ومسائل الآيتين
- ١٢٦ تقرير حكمة الله في تصريف الأرزاق
- تقرير حقيقة كونية هي: أن الناس بدون المطر لا يقدر
- ١٢٦ على العيش
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
- ١٢٧ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ..﴾ ٢٩
- أحكام ومسائل الآية
- الحكم بأن من آيات الله الكونية الدالة على كمال قدرته
- ١٢٧ وعظيم سلطانه خلق السماوات والأرض
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مَّصِيبَةٍ فِيمَا
- ١٢٨ كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ..﴾ ٣٠-٣١
- أحكام ومسائل الآيتين
- ١٢٩ ما يصيب الإنسان بسبب ذنوبه
- ١٢٩ لاملأ ولا ملجأ لأحد إلا إلى الله

تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ

١٢٩ كَالْأَعْلَامِ... ﴿٣٢-٣٥

١٣٠ أحكام ومسائل الآيات

١٣٠ بيان قدرة الله في تسيير السفن في البحر

١٣١ الحث على الصبر في الشدائد والنوائب

١٣١ تحريم الجدل في آيات الله بما يحرفها عن حقائقها

تفسير قوله تعالى ﴿فَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَنَعُوا الْحَيَاةَ

١٣١ الدُّنْيَا... ﴿٣٦-٣٩

١٣٢ أحكام ومسائل الآيات

١٣٢ تقرير أن الحياة الدنيا مجرد مُتَع زائلة

١٣٣ تقرير الخير الذي أعده الله للمؤمنين

١٣٣ تقرير الصفات التي يجب أن يتمتع بها المؤمنون

١٣٣ ما وصف الله به المؤمنين هي صفات السلف الصالح

١٣٣ تفسير قوله تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا... ﴿٤٠-٤٣

١٣٥ أحكام ومسائل الآيات

١٣٥ الحكم بمشروعية القصاص من المعتدي

١٣٥ استحباب العفو عن الإساءة

١٣٦ ليس على المظلوم إثم إذا اقتص ممن اعتدى عليه

١٣٦ وجوب معاقبة الظلمة

١٣٦ في الصبر على الإساءة أجر عظيم

تفسير قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ

١٣٦ بَعْدِهِ... ﴿٤٤-٤٦

- ١٣٨ أحكام ومسائل الآيات
- ١٣٨ الحكم أن من يضلّه الله بسبب كفره لن يقدر أحد على توليه ...
- ١٣٨ الإشارة إلى حسرة الظلمة وندامتهم
أعظم الخسران يوم القيامة خسران النفس حين تؤخذ
- ١٣٨ إلى العذاب
تفسير قوله تعالى ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَّ يَوْمٌ
لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ..﴾ ٤٧-٤٨
- ١٤٠ أحكام ومسائل الآيتين
وجوب الاستجابة لأمر الله
لا ملجأ للعباد يوم القيامة إلا إلى الله
تقرير رسالة رسول الله ﷺ
من سلوك الإنسان الفرح بما يصيبه من حسنات، والكفر
حين تصيبه سيئات
١٤٠ تفسير قوله تعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ..﴾ ٤٩-٥٠ ..
- ١٤١ أحكام ومسائل الآيتين
الحكم بأن الله هو المتصرف في عباده
١٤٢ مشروعية علاج العقم
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا
أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ ..﴾ ٥١-٥٣
- ١٤٤ أحكام ومسائل الآيات
١٤٤ تقرير وسائل الوحي الإلهي إلى رسل الله
١٤٤ القرآن روح من الله تحيا به قلوب المؤمنين

- ١٤٥ تفسير سورة الزخرف
- ١٤٥ تفسير قوله تعالى ﴿حَمَّ ۝١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ .. ٥-١
- ١٤٦ أحكام ومسائل الآيات
- ١٤٦ تقرير فضل القرآن وشرفه وعلو مرتبته
- ١٤٦ وجوب عدم اليأس من أهل المعاصي بسبب معاصيهم
- ١٤٦ تفسير قوله تعالى ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ .. ٨-٦﴾
- ١٤٧ أحكام ومسائل الآيات
- ١٤٧ تقرير أنه ما من نبي أرسل إلى قومه إلا استهزؤوا به
- ١٤٧ من يكذب رسل الله لابد أن يحيق به العذاب
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ .. ١٤-٩﴾
- ١٤٧ أحكام ومسائل الآيات
- ١٤٩ تقرير أن المشركين يقرون بربوبية الله
- ١٤٩ تقرير نعم الله على خلقه من إنزال المطر بالقدر الذي ينفعهم
- ١٥٠ تقرير الزوجية في الأشياء
- ١٥٠ وجوب تسمية الله وذكره عند الركوب
- ١٥٠ تفسير قوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا آلَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا .. ٢٠-١٥﴾
- ١٥٢ أحكام ومسائل الآيات
- ١٥٢ الإنسان إذا لم يهتد بنور الإيمان فهو مجرد كائن غير سوي
- ١٥٣ التنديد بالمشركين لكرهم البنات
- تفسير قوله تعالى ﴿أَمْ أَيْنَتْهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ .. ٢٥-٢١﴾
- ١٥٣ أحكام ومسائل الآيات

- ١٥٤ أحكام ومسائل الآيات
تقرير أنه لم يكن للمشركين حجة أو برهان في عبادة
- ١٥٤ الأصنام
- ١٥٥ تحريم القول في شرع الله إلا بدليل من كتابه أو سنة رسوله ...
الإشارة إلى أن المترفين من الأمم هم من أسباب فسادها
- ١٥٥ وانحطاطها
تفسر قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ...﴾ ٣٢-٣٦
- ١٥٥ أحكام ومسائل الآيات
- ١٥٨ تقرير أن إبراهيم عليه السلام جعل ملته باقية في عقبه
التنديد بالمشركين العرب الذين اعترضوا على إرسال
- ١٥٨ رسول الله
- ١٥٨ تقرير حكمة الله في خلقه وتدبيره لهم
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً
- ١٥٩ وَاحِدَةً...﴾ ٣٣-٣٥
- ١٦٠ أحكام ومسائل الآيات
- ١٦٠ التقرير أن الإنسان قد جبل بطبعه على حب الدنيا
- ١٦٠ من حكمة الله أن يؤتي الدنيا للمؤمن والكافر
- ١٦٠ الدنيا لا تساوي عند الله شيئاً
- ١٦٠ نعيم الآخرة هو الذي يجب التسابق إليه بالتقوى
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ،
- ١٦٠ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ...﴾ ٣٦-٤٠

- ١٦٢ أحكام ومسائل الآيات
- ١٦٢ الحكم بأن من يعرض عن كتاب الله يتسلط عليه الشيطان ..
- ١٦٢ الذين يميلون عن الطريق القويم يتسلط عليهم الشيطان
- ١٦٣ قرناء السوء يتبرء بعضهم من بعض
- ١٦٣ من ضل عن الطريق وأعرض عن ذكر الله لا تنفعه المواعظ ..
- تفسير قوله تعالى ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ
- ١٦٣ مُنْقِمُونَ﴾ ٤١-٤٥
- ١٦٥ أحكام ومسائل الآيات
- ١٦٥ تقرير أن من كذب رسل الله ينتقم منه
- ١٦٥ صدق وعد الله في نصر عبده ورسوله محمد ﷺ
- ١٦٥ وجوب التمسك بكتاب الله فإن التمسك به لن يضل
- ١٦٥ إنزال القرآن بلغة العرب شرف لهم إذا تمسكوا به
- سوف تسأل الأمة يوم القيامة عما إذا كانت التزمت
- ١٦٦ بكتاب الله
- ١٦٦ كل الكتب السماوية جاءت بتوحيد الله
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
- ١٦٦ وَمَلَائِهِ﴾ ٤٦-٥٠
- ١٦٧ أحكام ومسائل الآيات
- ١٦٧ تقرير أن الناس قد لا يؤمنون بالآيات التي تأتيهم
- ١٦٧ إنظار الله للعباد إذا أذنبوا ليتوبوا
- ١٦٨ تحريم النكث بالعهد
- تفسير قوله تعالى ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورُ

- ١٦٨ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ... ﴿٥١-٥٦﴾
- ١٧٠ أحكام ومسائل الآيات
- ١٧٠ تحريم الاستعلاء على عباد الله المؤمنين
- ١٧٠ التنديد بمن يصدق كل داع دون التفكير فيما يدعو إليه
- ١٧٠ الأمم إذا استمرت على الفسق والكفر يشتد غضب الله عليها..
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ
- ١٧١ مِنْهُ يَصِدُّونَ... ﴿٥٧-٦٢﴾
- ١٧٣ أحكام ومسائل الآيات
- ١٧٣ تحريم الجدل والخصام بالباطل
- ١٧٣ تقرير أن عيسى عبد من عباد الله أنعم عليه
- ١٧٣ تحريم الشك في قيام الساعة
- ١٧٤ تحريم اتباع الشيطان
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ
- ١٧٤ حَسْبُكُمْ بِالْحِكْمَةِ... ﴿١٢-١١﴾
- ١٧٥ أحكام ومسائل الآيات
- ١٧٥ تقرير أن عيسى أرسل إلى بني إسرائيل بالبينات
- ١٧٦ تحريم الاختلاف في الدين
- وعيد الله بأليم العقاب لليهود والنصارى الذين جحدوا
- ١٧٦ رسالة محمد ﷺ
- تفسير قوله تعالى ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا
- ١٧٦ الْمُتَّقِينَ... ﴿١٧-٧٣﴾
- ١٧٨ أحكام ومسائل الآيات

الحكم بأن المحبة في الدنيا إذا كانت مبنية على المنافع

- ١٧٨ سرعان ما تنتهي
- ١٧٨ فضل التقوى
- ١٧٨ الحكم بأن الله يجمع بين المؤمن وزوجه في الجنة
- ١٧٨ الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ
- ١٧٨ خَالِدُونَ﴾ ٧٤-٨٠
- ١٨٠ أحكام ومسائل الآيات
- ١٨٠ تقرير أن أهل الشرك والكفر يخلدون في العذاب
- ١٨٠ المشركون والكافرون يطلبون أن يقضي الله عليهم
- ١٨١ أهم سبب للعذاب و الخلود فيه هو إنكار الحق
- ١٨١ الحكم بأن الله يعلم بعلمه المطلق ما يخفيه العباد وما يعلنون ..
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ
- ١٨١ الْعَبْدِينَ﴾ ٨١-٨٣
- ١٨٢ أحكام ومسائل الآيات
- ١٨٢ أهمية إقناع المدعو إلى الله بما يقيم الحجة عليه
- ١٨٢ الحكم بتنزيه الله عن الولد
- ١٨٢ تهديد المشركين بسوء العذاب يوم القيامة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ
- ١٨٢ إِلَهٌُ﴾ ٨٤-٨٦
- ١٨٣ أحكام ومسائل الآيات
- ١٨٣ الحكم بأن الله إله في السماء وإله في الأرض يعبداه أهلها ...

- الحكم بأن الله هو الذي يعلم وحده علم الساعة ١٨٤
- كل معبود غير الله لا يقدر أن يشفع يوم القيامة لمن عبده ١٨٤
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ...﴾ ٨٧-٨٩ ١٨٤
- أحكام ومسائل الآيات ١٨٥
- تقرير أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وينكرون توحيد الألوهية ١٨٥
- وجوب الصبر على الأعداء عند العجز عن مقاومتهم ١٨٥
- تفسير سورة الدخان ١٨٦
- تفسير قوله تعالى ﴿حَمَّ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ...﴾ ٨-١ ١٨٦
- أحكام ومسائل الآيات ١٨٧
- الحكم بأن الليلة المباركة هي ليلة القدر ١٨٧
- ليلة القدر أفضل الليالي على الإطلاق ١٨٧
- الله يفصل من اللوح المحفوظ أحداث تلك السنة التي بعد كل ليلة القدر ١٨٨
- إرسال الرسل إلى العباد إنما هو رحمة لهم ١٨٨
- تفسير قوله تعالى ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ...﴾ ٩-١١ ١٨٨
- أحكام ومسائل الآيات ١٩٠
- تقرير أن الله قد صدق في وعده ١٩٠
- الكفار يلجئون إلى الله في الضراء وينسون عبادته في السراء .. ١٩٠

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ

- رَسُولٌ كَرِيمٌ... ﴿١٧-٢٤﴾ ١٩٠
- أحكام ومسائل الآيات ١٩٢
- تقرير تشابه الذين ينكرون آيات الله ويكذبون رسله ١٩٢
- تحريم العلو والاستكبار عن التصديق بآيات الله ١٩٢
- وجوب الاستعانة بالله والاستغاثة به عند الشدائد ١٩٣
- مشروعية طلب المسألة من العدو ١٩٣
- كل من علا في الأرض واستكبر مصيره الهلاك ١٩٣
- تفسير قوله تعالى ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ... ﴿٢٥-٣٣﴾ ١٩٣
- أحكام ومسائل الآيات ١٩٥
- النعم لا تدوم إلا إذا أطاع العباد ربهم ١٩٥
- عظمة العبادة وكيف أن السماء تبكي على العبد إذا
مات وانقطع رفع عمله إليها ١٩٥
- تحريم الاستعلاء والاستكبار ١٩٦
- معنى اختيار بني إسرائيل على العالمين ١٩٦
- حكمة ابتلاء الله للعباد ١٩٦
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا
مَوْتُنَا الْأُولَى... ﴿٣٤-٣٧﴾ ١٩٦
- أحكام ومسائل الآيات ١٩٧
- التوكيد على بعث الأموات للحساب والجزاء ١٩٧
- فساد حجج المنكرين للبعث حين يطلبون إعادة الأموات
إلى الدنيا ١٩٧

التذكير للمشركين بأنهم لن يكونوا أكثر قوة ممن أهلكهم

١٩٧ الله من الأمم قبلهم

تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

لَعِينٍ...﴾ ٤٢-٣٨ ١٩٧

١٩٨ أحكام ومسائل الآيات

١٩٨ الحكم بأن الله جل وعلا منزه عن العبث

الحكم بأن يوم القيامة هو اليوم الذي يفصل الله فيه

١٩٩ بين خلقه

تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٥٣﴾ طَعَامٌ

١٩٩ الْأَثِيمِ..﴾ ٥٠-٤٣

٢٠٠ أحكام ومسائل الآيات

٢٠٠ وصف طعام الكفرة يوم القيامة

٢٠٠ تقرير شدة عذاب الكفرة

٢٠١ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ..﴾ ٥٩-٥١

٢٠٢ أحكام ومسائل الآيات

٢٠٢ الحكم بأن التقوى هي أساس الفوز في الدنيا والآخرة

٢٠٣ بيان أحوال أهل الجنة وما لهم من النعيم المقيم

لا موة في الآخرة إلا موة واحدة هي التي ذاقوها

٢٠٣ في الدنيا

٢٠٣ نزول القرآن بلغة العرب وهي أفصح اللغات

٢٠٣ الأمر لرسول الله ﷺ وهو يدعو قومه أن يصبر ويرتقب

- ٢٠٤ تفسير سورة الجاثية
- تفسير قوله تعالى ﴿حَمَّ ١﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ
- ٢٠٤ الْحَكِيمِ.. ﴿٥-١﴾
- ٢٠٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٠٥ الحكم بنزول القرآن من عند الله
- ٢٠٥ وجوب التفكير في آيات الله العظيمة
- المخاطبون بهذا التفكير هم: العقلاء الذين ترشدهم
- ٢٠٦ عقولهم إلى الإيمان
- ٢٠٦ تفسير قوله تعالى ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ.. ﴿١١-٦﴾
- ٢٠٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٠٨ من لم يهتد بالقرآن فلن يهتدي أبدا
- ٢٠٨ تقرير الوعيد الشديد لمن يتعامى عن القرآن
- ٢٠٨ تقرير الوعيد الشديد للذي يستهزئ بالقرآن
- ٢٠٨ العمل الصالح هو الذي يغني العبد يوم القيامة
- تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ
- ٢٠٩ فِيهِ بِأَمْرِهِ.. ﴿١٣-١٢﴾
- ٢١٠ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢١٠ تقرير نعم الله على خلقه
- ٢١٠ نعم الله على خلقه تقتضي منهم الشكر
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
- ٢١٠ أَيَّامَ اللَّهِ.. ﴿١٥-١٤﴾
- ٢١١ أحكام ومسائل الآيتين

تقرير تسامح المسلمين مع الكفار إذا كان المسلمون في

- ٢١١ حال من الضعف
- ٢١١ الحكم بأن عمل المرء يعود عليه في نفعه وضره
- ٢١١ **وَالْحُكْمُ وَالنُّبُوءَةُ .. ﴿١٦-١٧﴾**
- ٢١٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢١٢ تقرير أن تفضيل بني إسرائيل لم يكن لجنسهم
- ٢١٣ لما علم بنو إسرائيل بنبوة رسول الله ﷺ حسدوه
- ٢١٣ **تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا .. ﴿١٨-٢٠﴾**
- ٢١٤ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن الله جعل لرسوله محمد ﷺ وأمة دين الإسلام
- ٢١٤ شريعة
- ٢١٤ التحذير من اتباع أهل الأهواء الذين يعارضون الحق
- ٢١٥ موالة الظالمين في الدنيا بعضهم بعضا
- ٢١٥ الله يتولى المؤمنين يوم القيامة بولايته
- ٢١٥ القرآن نور يبصر به المؤمنون في الدنيا
- ٢١٥ **تفسير قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ .. ﴿٢١-٢٢﴾**
- ٢١٦ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢١٦ الحكم بعدم التساوي مطلقا بين البر والفاجر
- ٢١٧ من العدل أن يجزي الله كلا بعمله

٢١٧	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ...﴾ ٢٣
٢١٨	أحكام ومسائل الآية
٢١٨	الهوى أعظم خطر يتعرض له المرء
٢١٨	الهوى يورث الضلال
٢١٨	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ...﴾ ٢٤-٢٦
٢٢٠	أحكام ومسائل الآيات
٢٢٠	الحكم بإبطال دعوى الدهريين من الملاحدة
٢٢٠	تقرير أن دعواهم ليس لها سند عقلي أو نقلي
٢٢٠	ليس للدهريين من حجة إلا طلب إحياء آبائهم وأجدادهم
٢٢٠	تقرير أن كثيرا من الناس لا يعلمون الحق من الباطل
٢٢٠	﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ ٢٧-٣٢
٢٢٢	أحكام ومسائل الآيات
		تقرير بعض ما يحدث للكافرين يوم القيامة من
٢٢٢	خسرانهم لأنفسهم
٢٢٢	الأمم تجثو يوم القيامة على ركبها من شدة ما ترى من الهول
		﴿وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ...﴾ ٣٣-٣٧
٢٢٤	أحكام ومسائل الآيات
٢٢٤	الحكم بأن الإنسان يجزى بما عمل
		الحكم بأن من يستهزئ بالله أو آياته أو أحد من رسله

- ۲۲۴ یعد کافرا
- وجوب الحمد والشکر لله عندما ينتهي المرء من عمل
- ۲۲۵ صالح عَمَلَه
- ۲۲۶ تفسیر سورة الأحقاف
- تفسیر قوله تعالى ﴿حَمَّ ۝۱﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْغَزِيرِ
- ۲۲۶ الْحَكِيمِ ۝۳-۱
- ۲۲۷ أحكام ومسائل الآيات
- الحکم بأن الله قد أنزل القرآن من اللوح المحفوظ على نبيه
- ۲۲۷ ورسوله محمد ﷺ
- الحکم بأن خلق السماوات والأرض وما بينهما كان بالحق
- ۲۲۷ على أجل معلوم
- ۲۲۷ الكفار إنما يجزون بسبب إعراضهم عن البينات
- تفسیر قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي
- ۲۲۷ مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ۝۴-۱
- ۲۲۸ أحكام ومسائل الآيات
- ۲۲۸ الحکم بعجز المخلوق عن الخلق
- ۲۲۹ تقرير أنه لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله
- تفسیر قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
- ۲۲۹ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝۷-۹
- ۲۳۰ أحكام ومسائل الآيات
- ۲۳۰ إبطال الله لطعن المشركين في القرآن

- ٢٣١ رسالة رسول الله محمد ﷺ لم تكن أول الرسائل
- ٢٣١ قول الله عز وجل ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي﴾ المراد به في الدنيا من المصائب
- ٢٣١ تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ...﴾ ١٠
- ٢٣٢ أحكام ومسائل الآية
- ٢٣٢ تقرير أن الشهادة أداة لإثبات الحق
- ٢٣٢ تحريم الاستكبار عن اتباع الحق
- ٢٣٢ الإصرار على المعاصي وعدم التوبة منها يؤدي إلى عدم هداية الله لصاحبها
- ٢٣٢ تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ...﴾ ١١-١٢
- ٢٣٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٣٤ من عادة من ضل عن الهدى أن يتهم من كان على الهدى بالجهل
- ٢٣٤ الكتب المنزلة من السماء يصدق بعضها بعضها
- ٢٣٤ نزول القرآن بلغة العرب تشريف لها
- ٢٣٤ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ...﴾ ١٣-١٤
- ٢٣٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٣٥ وجوب استقامة المسلم على طاعة الله
- المستقيمون على طاعة الله لا يخافون من الفرع الأكبر

- ٢٣٥ يوم القيامة
- ٢٣٦ تفسير قوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا..﴾ ١٥-١٦ ..
- ٢٣٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٣٨ وجوب بر الوالدين وما يقتضيه ذلك من طاعتها
- ٢٣٨ الأمر بالبر للوالدين يقتضي العموم
- ٢٣٩ أقل مدة الحمل ستة أشهر
- ٢٣٩ وجوب التوسل إلى الله والإنابة إليه بالتوبة
- ٢٣٩ ثناء الله على أبي بكر الصديق
- تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِي
- ٢٣٩ أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي..﴾ ١٧-١٩
- ٢٤١ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٤١ الحكم بتحريم عقوق الوالدين
- ٢٤٣ عذاب الله حق على الملحدين والكفرة والعاقين
- ٢٤٣ الله يوفي كل عامل بعمله كاملا
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ
- ٢٤٣ طِبْنَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا..﴾ ٢٠
- ٢٤٤ أحكام ومسائل الآية
- ٢٤٤ التحذير من التلذذ بالشهوات في الدنيا
- ٢٤٤ تحريم الكبر والفسق والتحذير منهما
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ كَرَّأَخَاعَادِ إِذْ أَنْذَرْنَاهُمْ
- ٢٤٤ بِالْأَحْقَافِ..﴾ ٢١-٢٥
- ٢٤٦ أحكام ومسائل الآيات

- ٢٤٦ بيان سنة الله في خلقه بأنه يرسل لهم الرسل
- ٢٤٧ البيان عن جهل بعض الأمم أو الأفراد
- ٢٤٧ التوكيد على أن مهمة الرسل هي إبلاغ رسالات الله
- ٢٤٧ يجب أن يكون المؤمن على وجل من عذاب الله
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ
- فِيهِ...﴾ ٢٦-٢٨ ٢٤٨
- أحكام ومسائل الآيات ٢٤٩
- الحكم بأن ما يعطيه الله الأمم من قوة مادية لا يغني
- عنها شيئاً ٢٤٩
- بقاء آثار الأمم الهالكة عظة وعبرة ٢٤٩
- من يعبد غير الله لا ينفعه هذا المعبود يوم القيامة ٢٤٩
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ
- يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ...﴾ ٢٩-٣٢ ٢٥٠
- أحكام ومسائل الآيات ٢٥٣
- توكيد وجود عالم الجن ٢٥٣
- الحكم بأن رسالة رسول الله ﷺ تشمل الجن ٢٥٤
- الله جل وعلا لا يغفر ذنوب العبد كلها إنما يغفر ما بينه
- وبين العبد ٢٥٤
- عاقبة الإعراض عن الدعوة ٢٥٤
- تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
- وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ مَخْلُقُهُنَّ...﴾ ٣٣-٣٥ ٢٥٤
- أحكام ومسائل الآيات ٢٥٦

- الحكم بأن البعث والنشور كائن لا محالة ٢٥٦
- من كذب بوجود الله أو ألحد في أسمائه أو صفاته يعد كافرا ... ٢٥٦
- وجوب الصبر على الدعوة إلى الله ٢٥٦
- لا يظلم الله أحدا من خلقه ٢٥٦
- تفسير سورة محمد** ٢٥٧
- تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ...﴾ ٣-١ ٢٥٧
- أحكام ومسائل الآيات ٢٥٨
- من كفر بالله لا يقبل منه أي عمل ٢٥٨
- العبد على مفترق طريقين ٢٥٨
- حكمة ضرب الأمثال للناس ٢٥٩
- تفسير قوله تعالى ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخَسُّوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ...﴾ ٦-٤ ٢٥٩
- أحكام ومسائل الآيات ٢٦٠
- الحكم بأن الجهاد من فرائض الله على المسلمين ٢٦٠
- قائد الحرب مخير بين المن والفداء ٢٦١
- البشارة العظمى للذين قتلوا في سبيل الله ٢٦١
- قدرة الله على إهلاك الكافرين ٢٦١
- تفسير قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّنَصِّرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ...﴾ ٩-٧ ٢٦٢
- أحكام ومسائل الآيات ٢٦٢

- الحكم بأن من نصر دين الله نصره الله على أعدائه ٢٦٢
- التعاسة نصيب من يكره كتاب الله ٢٦٣
- تفسير قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ..﴾ ١٠-١١ ٢٦٣
- أحكام ومسائل الآيتين ٢٦٤
- وجوب الاعتبار بما يصيب الآخرين ٢٦٤
- ولاية الله خاصة لأهل الإيمان ٢٦٤
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ..﴾ ١٢-١٤ ٢٦٤
- أحكام ومسائل الآيات ٢٦٦
- بيان حال المؤمنين ونقيضهم ٢٦٦
- تسليّة رسول الله ﷺ من الظلم الذي تعرض له من قومه ٢٦٦
- تقرير التضاد بين المؤمنين الذين يعملون وهم على يقين من ربهم وأولئك الذين يعملون تبعاً لأهوائهم ٢٦٦
- تفسير قوله تعالى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ..﴾ ١٥ ٢٦٦
- أحكام ومسائل الآية ٢٦٧
- الحكم بأن تقوى الله وطاعته هي السبب الموجب لرحمته ٢٦٧
- البيان عن أنواع النعيم التي أعدها الله للمتقين ٢٦٨
- الحكم بعدم التماثل بين أهل الإيمان وأهل الشرك ٢٦٨
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ ..﴾ ١٦-١٨ ٢٦٨
- أحكام ومسائل الآيات ٢٦٩

- الحكم بزم المنافقين والتنديد بهم ٢٦٩
- تقرير أن للساعة علامات ٢٧٠
- تقرير انشقاق القمر ٢٧٠
- تفسير قوله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكِ...﴾ ١٩ ٢٧٠
- أحكام ومسائل الآية ٢٧١
- وجوب العلم بأنه لا إله إلا الله وحده وما يقتضيه ذلك من أحكام ٢٧١
- وجوب استغفار العبد من ذنوبه ٢٧٢
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ...﴾ ٢٠-٢٣ ٢٧٢
- أحكام ومسائل الآيات ٢٧٤
- عدم جواز التمني على الله ٢٧٤
- التنديد بالجبن والخور ٢٧٤
- تحريم الفساد في الأرض ٢٧٥
- تحريم قطيعة الرحم ٢٧٥
- تفسير قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا...﴾ ٢٤-٢٨ ٢٧٥
- أحكام ومسائل الآيات ٢٧٧
- وجوب تدبر القرآن وجوب عين على كل مسلم ٢٧٧
- سبب النفاق هو سيطرة الشيطان على النفس ٢٧٧
- المنافق إذا رجع عن طاعة الله إلى معصيته يعد مرتداً ٢٧٧

- ٢٧٧ بيان ما يلاقيه المنافق ومن هو في حكمه
- ٢٧٧ لا يتقبل الله أعمال المنافقين
- ٢٧٧ تفسر قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ..﴾ ٣١-٢٩
- ٢٧٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٧٩ الحكم بأن الله بين أسرار المنافقين وخفائهم
- ٢٧٩ تقرير حقيقة عضوية وهي أن ما يخفيه المرء يظهر
- ٢٧٩ على قسّمات وجهه
- ٢٧٩ الله يبتلي عباده إما بما يوجب الجهاد عليهم أو بما
- ٢٧٩ يصيبهم به من النوازل
- ٢٧٩ تفسر قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
- ٢٧٩ اللَّهِ..﴾ ٣٢
- ٢٨٠ أحكام ومسائل الآية
- ٢٨٠ الحكم بأن الكافر لا يضر إلا نفسه
- ٢٨٠ الحكم بأن أعمال المشركين من صدقة أو بر ونحوها
- ٢٨٠ مردودة عليهم
- ٢٨٠ تفسر قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
- ٢٨٠ الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ..﴾ ٣٥-٣٣
- ٢٨١ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨١ الحكم بوجوب طاعة الله وطاعة رسوله
- ٢٨١ النهي عن إبطال الأعمال بعد عملها
- ٢٨٢ وجوب التوبة من الأعمال الفاسدة

- ٢٨٢ النهي عن الاستكانة للأعداء
- ٢٨٢ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ...﴾ ٣٦-٣٨ ...
- ٢٨٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨٤ التحذير من غرور الدنيا
- ٢٨٤ ذم البخل
- ٢٨٤ تقرير أن من يبخل إنما يبخل عن نفسه
- ٢٨٥ من يتولى عن طاعة الله يأت الله بأفضل منه
- ٢٨٦ تفسير سورة الفتح
- ٢٨٦ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا...﴾ ١-٣ ..
- ٢٨٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨٧ تقرير أن الفتح المراد هو صلح الحديبية
- ٢٨٨ المراد بالذي غفر الله لرسوله ﷺ ليس ذنبا بسبب كبيرة
- ٢٨٨ إتمام الله النعمة على رسوله بالفتوحات العظيمة
- تفسير قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
- ٢٨٨ ﴿...﴾ ٤-٧
- ٢٩٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٩٠ تقرير أن الله أنزل السكينة على أصحاب رسول الله ﷺ
- ٢٩١ تقرير وعد الله للمؤمنين بالجنة
- ٢٩١ الوعيد بالعذاب للمنافقين والمشركين
- إذا شاء الله أرسل جنوده في السماوات والأرض للانتقام
- ٢٩١ من الأعداء

تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا

- وَنَذِيرًا .. ﴿٨-٩ ٢٩١
- أحكام ومسائل الآيتين ٢٩٢
- تقرير نبوة رسول الله ﷺ ٢٩٢
- الثناء على رسول الله ﷺ من ربه ٢٩٢
- وجوب الإيمان بالله ورسوله وتوقيره ٢٩٢
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ
- يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ .. ﴿١٠ ٢٩٢
- أحكام ومسائل الآية ٢٩٤
- وجوب الوفاء بالعهد بين العبد وربّه وبينه وبين الخلق ٢٩٤
- تفسير قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
- شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْنَا .. ﴿١١-١٣ ٢٩٤
- أحكام ومسائل الآيات ٢٩٦
- كشف الله ستر المتخلفين عن العمرة مع رسول الله ﷺ ٢٩٦
- تحريم ظن السوء بالله ٢٩٧
- عدم الإيمان بالله موجب لأشدّ العذاب ٢٩٧
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .. ﴿١٤ ٢٩٧
- أحكام ومسائل الآية ٢٩٧
- ملك السماوات والأرض وما فيهما لله وحده ٢٩٧
- المغفرة والعذاب بمشيئة الله تعالى ٢٩٧
- رحمة الله بعباده وتجاوزه عن سيئاتهم ٢٩٨

تفسير قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ

إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ .. ﴿١٥ ٢٩٨

أحكام ومسائل الآية ٢٩٩

الحكم بأن الله وعد المؤمنين العائدين من الحديبية بالغنيمة .. ٢٩٩

التخلف عن دعوة الحق يورث أصحابه الندامة ٢٩٩

سوء الوصف بالجهل وما يجب من الإعراض عن أصحابه ٢٩٩

تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى

قَوْمٍ أُولَى بِأُسِّ شَدِيدٍ .. ﴿١٦-١٧ ٢٩٩

أحكام ومسائل الآيتين ٣٠١

الاستدلال على صحة خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ... ٣٠١

رفع الله الحرج عن أهل الزمانة ٣٠٢

الجنة جزاء من أطاع الله واستجاب لأمره ٣٠٢

تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ .. ﴿١٨-١٩ ٣٠٢

أحكام ومسائل الآيتين ٣٠٣

بيان ما لأهل بيعة الرضوان من الفضل العظيم ٣٠٣

إن الله إذا علم صدق عباده أنزل السكينة عليهم ٣٠٣

تفسير قوله تعالى ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا

فَعَجَلْ لَكُمْ هَذِهِ .. ﴿٢٠-٢٤ ٣٠٣

أحكام ومسائل الآيات ٣٠٦

لقد صدق الله ما وعد به المؤمنين ٣٠٦

- ٣٠٦ فضل الله على عباده المؤمنين
- ٣٠٦ وعد الله لأجيال المؤمنين بأنهم سوف يغنمون مغانم
- إن الله وعد المؤمنين ووعدده الحق بأن الكفار لو قاتلوهم
- ٣٠٦ يولون الأدبار
- ٣٠٦ سنة الله قد مضت بأن الإيمان يعلو على الكفر
- تفسير قوله تعالى ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ
- الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ..﴾ ٢٥
- ٣٠٧ أحكام ومسائل الآية
- ٣٠٨ التنديد بما فعله المشركون من صد رسول الله عن مكة
- ٣٠٨ تقرير حكم الإحصار
- ٣٠٨ وجوب الحيطة والحذر من إلحاق الأذى بالمسلمين
- تفسير قوله تعالى ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ
- حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ..﴾ ٢٦
- ٣٠٨ أحكام ومسائل الآية
- ٣٠٩ التنديد بحمية الجاهلية المبنية على التعصب
- ٣٠٩ سكينه الله تنزل على عباده المؤمنين
- ٣١٠ تقرير كلمة التقوى
- تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ
- بِالْحَقِّ ..﴾ ٢٧-٢٨
- ٣١٠ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣١١

- الحكم بأن رؤيا الأنبياء حق لابد أن تقع ٣١١
- وجوب التلطف بالمشيئة عندما يهم المسلم بفعل شيء ٣١٢
- وجوب الحلق أو التقصير للتحلل من العمرة أو الحج ٣١٢
- الإسلام هو الدين الحق وأنه لا دين إلا هو ٣١٢
- إن الله شهد لرسوله بالنبوة والرسالة وهي أعظم شهادة ٣١٢
- تفسير قوله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ .. ٢٩ ٣١٢
- أحكام ومسائل الآية ٣١٤
- الحكم بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ ٣١٤
- تقرير صفات صحابة رسول الله ﷺ وبيان بعضها ٣١٤
- تحريم سب الصحابة رضوان الله عليهم ٣١٥
- تفسير سورة الحجرات ٣١٦
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ .. ٣-١ ٣١٦
- أحكام ومسائل الآيات ٣١٧
- يجب على المسلم وجوب عين أن يتبع ما في كتاب الله
وسنة رسوله محمد ﷺ ٣١٧
- وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ ٣١٨
- من لا يتأدب مع رسول الله ﷺ حري أن يحبط عمله ٣١٨

تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ... ﴿٤-٥ ٣١٨

أحكام ومسائل الآيتين ٣١٩

تقرير أن الإسلام يحرص على الأدب ٣١٩

تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِیَا

فَتَبَيَّنُوا... ﴿٦-٨ ٣١٩

أحكام ومسائل الآيات ٣٢٢

الحكم بتحريم الكذب ووجوب تثبت المسلم فيما ينقل إليه ٣٢٢

من نعم الله على عبده أن يزين له الإيمان ٣٢٢

تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا... ﴿٩-١٠ ٣٢٢

أحكام ومسائل الآيتين ٣٢٣

الأمر للأمة بإصلاح ما يحدث فيها من خلل ٣٢٣

وجوب العدل بين المتخاصمين ٣٢٤

الأخوة في الدين هي الأصل في العلاقة بين الأمة ٣٢٤

تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ

عَسَوْا أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ... ﴿١١ ٣٢٥

أحكام ومسائل الآية ٣٢٦

يحرم على المسلم أن يسخر من أخيه ٣٢٦

يحرم على المرء أن يعيب أخاه المسلم أو يلزمه أو يناديه

- ٣٢٦ بلقب يكرهه
- تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ...﴾ ١٢ ٣٢٦
- ٣٢٨ أحكام ومسائل الآية
- ٣٢٨ تحريم الظن المجرد من العلم والدليل
- ٣٢٨ تحريم تجسس المسلم على أخيه
- ٣٢٨ تحريم الغيبة وتعريفها
- ٣٢٩ ما يستثنى من الغيبة
- تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى...﴾ ١٣ .. ٣٢٩
- ٣٣٠ أحكام ومسائل الآية
- ٣٣٠ الحكم بأن الله خلق البشر متشعبين من قبائل كثيرة
- ٣٣٠ أكرم الخلق عند الله الأتقياء
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا...﴾ ١٤-١٨ ٣٣٢
- ٣٣٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٣٤ تقرير الفرق بين الإسلام والإيمان
- ٣٣٤ الأعراب الذين ادعوا الإيمان لم يصلوا إليه
- ٣٣٤ المؤمنون الحقيقيون هم الذين آمنوا بالله ورسوله
- ٣٣٥ تحريم المن على الله بعبادته والدخول في دينه
- ٣٣٥ علم الله لكل ما في مغيبات الكون

- ٣٣٦ تفسير سورة ق
- ٣٣٦ تفسير قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ ٥-١
- ٣٣٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٣٧ الحكم بحقيقة القرآن وعظمته وهدايته للبشرية
- ٣٣٧ الحكم بأن البعث حقيقة لا مرأى فيها
- ٣٣٧ الأرض لا تأكل كل أجساد الأموات
- ٣٣٨ الحكم بأن كل أعمال الخلق مدونة ومحفوظة
- ٣٣٨ الكافرون الذين يكذبون بالقرآن هم دائماً في قلق
- تفسير قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ
- ٣٣٨ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ ١١-٦
- ٣٣٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٣٩ التنديد بالكافرين لعدم إيمانهم بالبعث
- ٣٤٠ الأمر بالإنابة إلى الله وذلك بالعمل في طاعته
- تفسير قوله تعالى ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيِّسِ
- ٣٤٠ وَنُوحٌ﴾ ١٢-١٥
- ٣٤١ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن الذين كذبوا رسول الله لم يكونوا أول المكذبين
- ٣٤١ برسول يأتي من عند الله
- ٣٤٢ تقرير حقيقة البعث بالدليل العقلي
- ٣٤٢ اضطراب عقول من يفقدون الإيمان

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ﴾

نَفْسُهُ... ﴿١٦-٢٢﴾ ٣٤٢

أحكام ومسائل الآيات ٣٤٤

تقرير عظمة الله وقدرته وتصرفه في عبادته ٣٤٤

الله يعلم بعلمه المطلق ما توسوس به نفس العبد ٣٤٤

تقرير أن لكل عبد ملكين ٣٤٤

تقرير أن للموت غشاوة وسكرات ٣٤٥

كل نفس تأتي يوم القيامة ومعها ملك يسوقها للحساب ٣٤٥

تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ...﴾ ﴿٢٣-٢٩﴾ ٣٤٥

أحكام ومسائل الآيات ٣٤٧

أمر الله للملكين الذين يعرضان الكافر أن يلقيه

في العذاب ٣٤٧

الكافر وقرينه من الشياطين يختصمان أمام الرحمن ٣٤٧

الحكم بعدل الله ٣٤٧

تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ

مَزِيدٍ... ﴿٣٠-٣٥﴾ ٣٤٨

أحكام ومسائل الآيات ٣٤٩

تقرير أن النار تسأل عن المزيد ٣٤٩

تقرير كرامة المتقين الذين يرجعون دائما إلى ربهم ٣٥٠

أعظم حظ يناله أهل الجنة رضا الله عنهم ٣٥٠

تفسير قوله تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ

مِنْهُمْ بَطْشًا .. ﴿٣٦-٣٧ ٣٥٠

أحكام ومسائل الآيتين ٣٥١

تقرير أن الله أهلك أمما كثيرة بسبب تكذيبها لرسولها ٣٥١

العبد لا ينتفع بالموعظة إلا إذا كان قلبه حاضراً ٣٥١

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ .. ﴿٣٨-٤٠ ٣٥١

أحكام ومسائل الآيات ٣٥٢

تقرير عظمة الله وإرادته في خلق السماوات والأرض ٣٥٢

وجوب الاستعانة بالصبر والصلاة عند النوائب ٣٥٢

تقرير فضل التسبيح في دبر كل صلاة ٣٥٣

تفسير قوله تعالى ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ

قَرِيبٍ .. ﴿٤١-٤٥ ٣٥٣

أحكام ومسائل الآيات ٣٥٥

تقرير واقعة البعث والنشور ٣٥٥

بيان الله لرسوله أنه يعلم ما يقوله المكذبون له ٣٥٥

بيان الله لرسوله أنه لا يقدر على هداية من كفر من قومه ٣٥٥

تفسير سورة الذاريات ٣٥٦

تفسير قوله تعالى ﴿وَالذَّارِيَّتِ ذَرَوْا .. ﴿١-٩ ٣٥٦

- أحكام ومسائل الآيات ٣٥٧
- تقرير قسم الله على وقوع البعث في أجله ٣٥٧
- تقرير اختلاف المكذبين لرسول الله ٣٥٧
- الله يصرف عن الحق الذين يستكبرون عنه ٣٥٧
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلِ الْخَرَصُونَ...﴾ ١٠-١٤ ٣٥٧
- أحكام ومسائل الآيات ٣٥٨
- تقرير لعنة الله للخراصين الذين يكذبون آيات الله ٣٥٨
- الخراصون يعذبون يوم القيامة بسبب تكذيبهم ٣٥٨
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ...﴾ ١٥-١٩ ٣٥٨
- أحكام ومسائل الآيات ٣٥٩
- تقرير جزاء المتقين ٣٥٩
- تفسير قوله تعالى ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ...﴾ ٢٠-٢٣ ٣٥٩
- أحكام ومسائل الآيات ٣٦١
- تقرير أن في الأرض آيات للذين ينظرون في الكون
ويتديرون فيه ٣٦١
- المطر هو مصدر رزق الخلق ٣٦١
- قسم الله حق ٣٦١
- البعث ووعد الله للمتقين بالثواب حق ٣٦١
- تفسير قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ
الْمُكْرَمِينَ...﴾ ٢٤-٣٠ ٣٦١

- أحكام ومسائل الآيات ٣٦٣
- تقرير فضل إبراهيم عليه السلام ٣٦٣
- تقرير إرادة الله وقوته وتدبيره ٣٦٣
- وجوب إكرام الضيف والتلطف به ٣٦٣
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ فَاخْطُبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ..﴾ ٣١-٣٧ ٣٦٣
- أحكام ومسائل الآيات ٣٦٤
- تقرير أن سنة الله قد خلت بعقاب المجرمين ٣٦٤
- كل مؤمن مسلم ٣٦٥
- تفسير قوله تعالى ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ..﴾ ٣٨-٤٦ ٣٦٥
- أحكام ومسائل الآيات ٣٦٧
- بيان من الله عن الأمم التي هلكت بسبب تكذيبها رسلها ٣٦٧
- تفسير قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيِّدٍ..﴾ ٤٧-٤٩ ٣٦٨
- أحكام ومسائل الآيات ٣٦٩
- تقرير عظمة الله وقدرته المطلقة ٣٦٩
- تقرير عظمة الله في جعل المخلوقات زوجية ٣٦٩
- تفسير قوله تعالى ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ..﴾ ٥٠-٥١ ... ٣٦٩
- أحكام ومسائل الآيتين ٣٧٠
- وجوب اللجوء إلى الله في السراء والضراء ٣٧٠
- تحريم الشرك بالله ٣٧٠

تفسير قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ

إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ بِحْنٌ.. ﴿٥٢-٥٥ ٣٧٠

أحكام ومسائل الآيات ٣٧١

تقرير التماثل بين الأمم السابقة في تكذيبها لرسولها ٣٧١

طغيان الإنسان مصدر شقاوته وتعاسته ٣٧١

وجوب تذكير الناس بأوامر الله ونواهيه ٣٧١

تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيعْبُدُونِ.. ﴿٥٦-٥٨ ٣٧٢

أحكام ومسائل الآيات ٣٧٢

الحكم بأن الله خلق الخلق من الجن والإنس لعبادته ٣٧٢

فائدة العبادة تعود للخلق أنفسهم ٣٧٢

تفسير قوله تعالى ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ

أَصْحَابِهِمْ.. ﴿٥٩-٦٠ ٣٧٣

أحكام ومسائل الآيتين ٣٧٣

التهديد والوعيد للمكذبين لرسول الله محمد ﷺ ٣٧٣

تفسير سورة الطور ٣٧٤

تفسير قوله تعالى ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ.. ﴿١-٨ ٣٧٤

أحكام ومسائل الآيات ٣٧٥

الحكم بأن لله أن يقسم بمن شاء من خلقه ٣٧٥

- ٣٧٥ تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا..﴾ ٩-١٦
- ٣٧٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٧٦ تقرير أحوال البعث وأحوال يوم القيامة
- ٣٧٦ الحكم بأن الجزاء من جنس العمل
- ٣٧٧ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ..﴾ ١٧-٢٠
- ٣٧٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٧٨ تقرير ما للمتقين عند الله من النعيم المقيم
- تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ
الْحَقَنَّا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ..﴾ ٢١-٢٨
- ٣٧٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٠ تقرير فضل الله وامتنانه على المؤمنين
- ٣٨٠ الحكم بأن كل إنسان مرتهن بعمله يوم القيامة
- ٣٨٠ على المرء أن يخشى الله خوفا من عذابه
- ٣٨٠ وجوب دعاء المسلم ربه
- تفسير قوله تعالى ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ
وَلَا مَجْنُونٍ..﴾ ٢٩-٣٤
- ٣٨١ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٢ وجوب تذكير عباد الله ووعظهم بكتاب الله
- ٣٨٢ تحريم الكهانة
- ٣٨٢ تحريم الطغيان

- ٣٨٢ تحريم الكذب على الله أو على رسوله
تفسير قوله تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ
الْخُلُقُونَ...﴾ ٤٣-٣٥
- ٣٨٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٥ الحكم بأن الله عز وجل هو الخالق
- ٣٨٥ بيان عجز المشركين وضعفهم
- تقرير سفاهة المشركين وجهلهم في وصفهم الملائكة
- ٣٨٥ بأنهم بنات الله
- ٣٨٥ كيد الكافرين يرتد إليهم
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا
سَحَابٌ مَرْكُومٌ...﴾ ٤٧-٤٤
- ٣٨٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٦ تقرير سفاهة المشركين وجهلهم وعنادهم
- ٣٨٦ الظلمة إذا لم يتوبوا يلاقوا عذابا في الدنيا
- ٣٨٧ تفسير قوله تعالى ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾ ٤٩-٤٨ ..
- ٣٨٧ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٨٧ وجوب الصبر على أوامر الله بامثالها ونواهيها باجتنابها
- فضل التسبيح عند قيام المرء من نومه ومجلسه
- ٣٨٨ وفي الصلاة عند طلوع الفجر

- ٣٨٩ تفسير سورة النجم
- ٣٨٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ١٠-١
- ٣٩٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٩٠ تقرير قسم الله عز وجل بالنجم إذا هوى
- ٣٩٠ تقرير أمانته رسول الله ﷺ
- ٣٩٠ الحكم بأن ما يقوله ﷺ وحي يوحيه الله إليه
- ٣٩٠ إثبات رؤيته لجبريل
- ٣٩٠ تفسير قوله تعالى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ١٨-١١
- ٣٩٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٩٢ تقرير رؤية رسول الله ﷺ لجبريل في هيئته الطبيعية
- ٣٩٢ سدرة المنتهى شجرة عظيمة ينتهي عندها علوم الخلائق
- ٣٩٢ الحكم بوقوع حادثة الإسراء
- ٣٩٢ تفسير قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ٢٦-١٩
- ٣٩٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٩٤ التنديد بالمشركين
- ٣٩٥ المشركون عبدوا الأصنام تقليدا لآبائهم
- ٣٩٥ الإنسان لا يحصل على كل ما يتمناه
- ٣٩٥ الدنيا والآخرة ملك لله تعالى
- لا ملك مقرب ولا نبي مرسل يستطيع أن يشفع لأحد
- ٣٩٥ إلا بعد رضا الله

تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَهُ

الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى .. ﴿٢٧-٣٠ ٣٩٥

أحكام ومسائل الآيات ٣٩٧

الحكم بأن من لا يؤمن باليوم الآخر سوف يرتكب كل

أنواع الضلال ٣٩٧

من الجهل وفساد العقول القول بالظن والبعد عن الأدلة ٣٩٧

التنديد والوعيد لمن يعرض عن كتاب الله ٣٩٧

تفسير قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا .. ﴿٣١-٣٢ ٣٩٧

أحكام ومسائل الآيتين ٣٩٩

الحكم بأن لله ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما ٣٩٩

تقرير قاعدة: الجزاء من جنس العمل ٣٩٩

تجاوز الله عن اللوم من الذنوب ومعنى اللوم ٣٩٩

تحريم تزكية النفس ٤٠٠

تفسير قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى .. ﴿٣٣-٤١ ٤٠٠

أحكام ومسائل الآيات ٤٠٢

الحكم أن كل نفس تجزى بما كسبت ٤٠٢

ليس للإنسان إلا سعيه ٤٠٢

عمل الإنسان وسعيه في الدنيا سوف يكشف يوم القيامة ٤٠٣

تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ .. ﴿٤٢-٥٥ ٤٠٣

- ٤٠٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٠٥ الحكم بأن المصير إلى الله
- ٤٠٥ بيان مظاهر قدرة الله وعظمته
- ٤٠٥ بيان قدرة الله وعدله في خلقه
- ٤٠٥ تفسير قوله تعالى ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾ ٥٦-٦٢
- ٤٠٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٠٦ الحكم بأن رسول الله ﷺ أحد الرسل المنذرين لأممهم
- ٤٠٦ قرب قيام الساعة
- ٤٠٦ ذم كثرة الضحك
- ٤٠٧ مشروعية السجود عند تلاوة آية السجدة
- ٤٠٨ تفسير سورة القمر
- ٤٠٨ تفسير قوله تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ١-٥
- ٤٠٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٠٩ تقرير أن الساعة قد اقتربت
- ٤٠٩ بيان بعض علامات الساعة
- ٤٠٩ تحريم اتباع الهوى
- ٤١٠ النذر لا تنفع الذين يتبعون أهواءهم
- تفسير قوله تعالى ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ ٦-٨
- ٤١١ أحكام ومسائل الآيات

- ٤١١ وصف حال الخلائق يوم تقوم الساعة
- ٤١١ الكفرة يرون عسر ذلك اليوم عليهم
- ٤١١ تفسير قوله تعالى ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ ١٧-٩
- ٤١٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٤١٣ تقرير واقعة الطوفان
- ٤١٣ تقرير أن الله يستجيب دعاء المغلوبين على أمرهم
- ٤١٣ إن الله إذا أهلك قوما ترك آية لغيرهم
- ٤١٣ الحكم بأن الله يسر القرآن للتذكر
- تفسير قوله تعالى ﴿كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
- ٤١٣ وَنُذِرِ..﴾ ٢٢-١٨
- ٤١٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٤١٤ تقرير ما حدث من العذاب لقوم عاد الذين كذبوا رسولهم
- ٤١٤ الحكم بأن قدرة الله غالبية
- ٤١٤ تفسير قوله تعالى ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ ٣٢-٢٣
- ٤١٦ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن سنة الله اقتضت أن يتعرض المكذبون لآيات الله
- ٤١٦ ورسوله في كل زمان ومكان لغضب الله ونقمته
- ٤١٦ قوة الإنسان لا تنفعه بشيء
- ٤١٦ حين يعطي الله الكافر في الدنيا مبتغاه إنما يفتنه
- ٤١٦ من شقاء الإنسان أن ينتهك حرمات الله

- ٤١٦ تفسير قوله تعالى ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطًا بِالنُّذُرِ...﴾ ٤٠-٣٣
- ٤١٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٤١٨ تقرير أن الله يجزي الشاكرين لنعمه
- ٤١٨ على المضيف أن يدافع عن ضيفه
- ٤١٨ فعل قوم لوط لم يسبقهم إليه أحد
- ٤١٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ...﴾ ٤١-٤٦
- ٤٢٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٢٠ تقرير أنه لا فرق بين الكفار
- ٤٢٠ قوة الكافرين وبأسهم لا تغني عنهم شيئاً
- ٤٢٠ عذاب الآخرة لا يقاس بعذاب الدنيا
- ٤٢٠ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ...﴾ ٤٧-٥٥
- ٤٢٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٢٢ بيان مآل المجرمين يوم القيامة
- ٤٢٢ إن الله قد علم بسابق علمه مقادير الأشياء
- ٤٢٣ أقوال العباد وأفعالهم مدونة في صحائف أعمالهم
- ٤٢٤ تفسير سورة الرحمن
- ٤٢٤ تفسير قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾ ١-١٣
- ٤٢٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٢٦ الحكم بأن الله هو الذي علم نبيه ورسوله القرآن

- ٤٢٦ إن الله هو الذي قرر العدل بين خلقه
- ٤٢٦ وجوب إقامة العدل وعدم بخس الناس حقوقهم
- تفسير قوله تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ
- كَالْفَخَّارِ..﴾ ١٤-٢٥ ٤٢٦
- ٤٢٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٢٨ الإنسان خلق من طين
- ٤٢٨ بيان الله لنعمه على العباد
- ٤٢٨ إيجاد البرزخ بين البحرين
- ٤٢٨ إلهام الله للإنسان صناعة السفن
- تفسير قوله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ..﴾ ٢٦-٣٠ ٤٢٨
- ٤٣٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٣٠ الحكم بأن كل من في الكون يفنى فلا يبقى إلا الله
- ٤٣٠ كل من في السموات والأرض محتاج إلى الله
- تفسير قوله تعالى ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ..﴾ ٣١-٣٦ ٤٣٠
- ٤٣١ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٣١ الحكم بأن الله يفصل يوم القيامة بين الجن والإنس
- من تصور أنه يستطيع الفرار يوم القيامة سوف يصاب
- ٤٣٢ بلهب نار جهنم
- تفسير قوله تعالى ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً
- كَالدِّهَانِ..﴾ ٣٧-٤٥ ٤٣٢

- ٤٣٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٣٣ الحكم بأن الساعة حين تقوم يتغير الكون من أساسه
- ٤٣٤ وصف السماء حين تتشقق يوم القيامة
- ٤٣٤ تقرير أن الناس سيكون لهم علامات يوم القيامة
- ٤٣٤ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ...﴾ ٥٣-٤٦
- ٤٣٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٣٥ فضل الخوف من عذاب الله عز وجل
- ٤٣٥ الخوف من الله يوصل إلى تقواه
- تفسير قوله تعالى ﴿مُتَّكِفِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ
- ٤٣٥ إِسْتَبْرَقٍ...﴾ ٦١-٥٤
- ٤٣٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٣٧ تقرير طهر نساء أهل الجنة
- ٤٣٧ من عدل الله في عباده مجازاة المحسن
- ٤٣٨ تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ...﴾ ٧٨-٦٢
- ٤٣٩ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير الفرق بين الجنتين اللتين أعدتا للمقربين واللتين
- ٤٣٩ أعدتا لأصحاب اليمين
- ٤٤٠ خص الله نوعين من الفاكهة وهما التمر والرمان
- ٤٤٠ الله مدح المرأة التي تقر في بيتها